روبن ديانجلو

# هشاشة بيضاء

صعوبة أن يتحدث البيض عن العنصرية

ترجمة: نوال العلي

منشورات تكوين | تساؤلات
TAKWEEN PUBLISHING

للمزيد من الكتب النصية الجديدة، اضغط على الرابط الآن وانضم إلى القناة:

https://t.me/xepub

القناة الاحتياطية:

https://t.me/xepub1

# هشاشة بيضاء

## صعوبة أن يتحدث البيض عن العنصرية

روبن ديانجلو

ترجمة

نوال العلي

منشورات تكوين

# هشاشة بيضاء

هذه الشعائر التي تقام على شرف التفوق الأبيض، منذ المهد، تتسرب من العقل الواعي عميقًا داخل العضلات... يصبح من العسير اجتثاثها.

ليليان سميث، قتلة الحلم (١٩٤٩)

# مقدمة

كايرز سوزيه وبيونسيه وبرنامج حماية الشهود

مايكل إيريك دايسون

اِستعارة واحدة للعِرق والعنصرية لا تكفي. فهما، في نهاية الأمر، قوتان معقدتان إلى حدٍّ بعيد. لا، نحن في حاجة إلى استعاراتٍ عديدة وعمل جماعي، حتى لو كان في مجالات مختلفة من الثقافة من خلال تقسيمٍ ذكيٍّ للجهد اللغوي. العِرق: شرط. مرض. ورقة لعب. طاعون. خطيئة أصلية. بالنسبة إلى الكثير من التاريخ الأميركي، كان العِرق قضيةً تخصُّ ثقافة السود. العنصرية عبء الرجل الأسود، يمكن استبدال كلمة الأسود بأيَّ عِرق ملوَّن آخر وستجد المعضلة ذاتها. لكن البياض ظل مستقرًّا. في معادلة العرق، هناك استعارة عرقية أخرى تلوح في الأفق؛ البياض هو العامل اللامتغير. أو، لنقلب الاستعارات ونلجأ إلى عبارة أميري بركة الرنانة «المتغير بالبقاء على حاله» Changing Same[1]، كان البياض قوة سائلة وقابلة للتكيف بحيث تظل في القمة بغضِّ النظر عن المكان الذي تهبط فيه. بمعنًى ما، فإن البياض هو في وقت واحد وسيلة الهيمنة، الغاية التي تشير إليها الهيمنة، والجدوى من الهيمنة أيضًا، والذي، وهو في أنقى أشكاله وأعظم خيالاته جموحًا، لا ينتهي أبدًا.

البياض بالتأكيد، مثله مثل أي عرق، تصوُّرٌ مُتَخَيَّل، ما يوصف برطانة أكاديمية بأنه بنية اجتماعية، وهو أسطورة متفق عليها لها قوة تجريبية (إمبريقية) بسبب تأثيرها وليس جوهرها. لكن البياض يذهب أبعد من ذلك بدرجة: إنه فئة من الهوية تكون أكثر فائدة عندما يجري إنكار وجودها في حد ذاته. هذه هي عبقريته الملتوية. يجسِّد البياض تحذير تشارلز بودلير بأن «أحلى خدع الشيطان هي إقناعه لك بأنه غير موجود». أو، كما يقول الأنا البديل لكايزر سوزيه الشخصية في فيلم «المشتبهون المعتادون» The Usual Suspects: «كانت أعظم حيلة قام بها الشيطان على الإطلاق هي إقناع العالم بأنه غير موجود». الشيطان. العنصرية. استعارة أخرى. الاختلاف الباقي على حاله. روبن ديانجلو هنا لتعلن، على حد تعبير الإنجيليين -ومغني الراب ريك روس وجاي زي - «الشيطان كذبة». قد لا يكون البياض، مثله مثل العرق، صحيحًا - فهو ليس خاصية وراثية بيولوجيةً لها جذور في الهياكل الفسيولوجية أو في الجينات أو الكروموسومات. لكنه واقعي، بمعنى أن المجتمعات والحقوق والسلع والموارد والامتيازات قد بُنيت على أساسه. تسمِّي ديانجلو ببراعةٍ البياض الذي لا يريد أن يُسمَّى، وتعرِّي البياض الذي

يرتدي ملابس للتمويه بوصفه الإنسانية، وتكشف قناع بياضٍ متنكِّر بأنه أميركي، وتجلب إلى الانتباه البياض الذي من شأنه أن يختبئ في خفاءٍ مرئي.

لا يكفي أن تكون بليغًا وسيميائيًّا لتفكيك البياض وتجريده من الأسطورة. يجب على المرء أن يكون حاويًا يفهم في السياسي والاجتماعي، وخيميائي يفهم في الروحي والنفساني أيضًا. لا بد للمرء أن يتخلص من الصور العنصرية النمطية وأن يستحضر تاريخًا ضخمًا ليكافح التفوق الأبيض[2] والامتياز الأبيض والأكاذيب البيضاء - وهو تاريخ غالبًا ما دُفن في أعماق التربة الأميركية السوداء الغنية القاتمة. تعرف ديانجلو أن ما تقوله للبيض في هذا الكتاب هو ما فكر فيه الكثير من السود على مرِّ السنين وآمنوا به وقالوه ولكن لا يمكن سماعه لأن الآذان البيضاء كانت بالغة الحساسية، والأرواح البيضاء بالغة الهشاشة.

تنضم ديانجلو إلى الصفوف الأمامية من المفكرين البيض المناهضين للعنصرية بدعوة مؤثرة متوجهة إلى الضمير، والأهم من ذلك، إلى الوعي لدى إخوتها وأخواتها البيض. الهشاشة البيضاء فكرة ولَّادة فعلًا؛ إنها مفهوم مهم يلهمنا للتفكير بشكل أعمق في فهم البيض لبياضهم، واستجاباتهم الدفاعية عندما يُدعون إلى تفسير الكيفية التي ظل بها البياض بعيدًا عن متناول رادار العِرق لفترة طويلة جدًّا. ديانجلو حكيمة وصاعقة في هجومها الذي تواصله بلا هوادة على ما وصفه لانغستون هيوز بـ«طرق الناس البيض»[3]. لكنها واضحة الرؤية وبعيدة عن الانفعالات وهي تفكك الخيوط المتشابكة للمصير الاجتماعي والتشخيص السياسي الذي يربط الهوية البيضاء بالحياد الأخلاقي والكليَّات الثقافية.

تتحدى ديانجلو بشجاعة سقوط البياض في الهوية القومية. البياض الذي ليس أقل سطوة وهيمنة مما لاحظت بيونسيه نولز أخيرًا: «لكثرة ما قيل إن العنصرية أميركية جدًّا يفترض البعض أننا حين نحتجُّ على العنصرية فإنما نحتجُّ على أميركا». تثبت ديانجلو أن بيونسيه على حق، وأن تدفق الهوية البيضاء في الهوية الأميركية -المعتقدات العنصرية في المعتقدات القومية - لا بد أن يجابه بإصرار ووضوح فمٍ ملآن بأن معنى أن تكون أميركيًّا ليس نفسه معنى أن تكون أبيض، على الأقل إنه ليس منحصرًا في ذلك، وليس في المقام الأول. هذه الأمة أكثر تعقيدًا بكثير في فهمها الجمعي للذات. تفكِّك ديانجلو بمهارة القول بأن سياسات الهوية آفة، على الأقل عندما تشمل الأشخاص الملونين أو النساء. لقد قامت بتفجير منزل من ورق البيض العِرقي بُنيَ على فرض أنه يمكن له، أو ينبغي له، أن يرتكز على شيء يتجاوز سياسات الهوية.

تجبرنا ديانجلو على رؤية أن كل السياسات قامت على الهويات، وأن هذه الهويات هي سمات حاسمة في صراعنا مع الكيفية التي أخطأنا فيها ونحن

نحاول تصحيح الأمور؛ وهو ما يعني في كثير من الأحيان جعلها بيضاء. لا يمكننا تسمية أعداء الديمقراطية أو الحقيقة أو العدالة أو المساواة إذا لم نتمكن من تسمية الهويات التي ارتبطوا بها. في معظم تاريخنا، شارك الرجال البيض في برنامج حماية الشهود الذي يحمي هوياتهم ويبرئهم من جرائمهم ويقدم إليهم مستقبلًا خاليًا من أعباء الماضي ومن خطاياهم.

روبن ديانجلو هي العمدة العرقي الجديد في المدينة. إنها تقدم قانونًا ونظامًا مختلفين للتأثير في الممارسات العرقية. فبدلًا من التستُّر على البياض الذي رفض مواجهة فوائده ومزاياه وأخطاءه وعيوبه، سعت إلى دعم إنسانية المُهانين ظُلمًا مع كشف جرائم المُحتفَى بهم دون أن يكونوا قد فعلوا ما يستحق الاختفاء. الهشاشة البيضاء فكرة حان وقتها. إنها فكرة تسجِّل المشاعر المتألمة، والغرور المحطم، والأرواح المشحونة، والأجساد المغتاظة، والانفعالات المرهقة للناس البيض. في الحقيقة، تأتي معاناتهم من الاعتراف بأنهم من ذوي البشرة البيضاء - وأن بياضهم أعطاهم دورًا كبيرًا في الحياة بينما سحق أحلام الآخرين، وأن بياضهم أوضح مثال على سياسات الهوية التي يزعمون أنها تلحق الضرر بالأمة، وأن بياضهم حال دون أن يتطوروا عرقيًّا بالسرعة التي كان من الممكن أن يتطورا بها لو لم يتكئوا بقوَّة عليه لينجحوا في الحياة. «هشاشة بيضاء» كتاب حيوي وضروري وجميل، إنه دعوة قوية للبيض في كل مكان ليروا بياضهم على حقيقته وليغتنموا الفرصة الآن للتغيير. تركل روبن ديانجلو جميع العكازات وتطالب البيض بالنضوج ومواجهة العالم الذي صنعوه بينما يسعون إلى المساعدة في إعادة صنعه لأولئك الذين لا يتمتعون بامتيازاتهم ولا بالحماية التي يحظون بها.

# تمهيد المؤلفة:
# سياسات الهوية

تأسَّست الولايات المتحدة الأميركية على مبدأ أن الناس جميعًا خُلقوا سواسية. مع ذلك، بدأت الأمة بمحاولة الإبادة الجماعية للسكان الأصليين وسرقة أراضيهم. بُنيت الثروة الأميركية على عمل الأفارقة المخطوفين والمستعبدين وأحفادهم. حُرِمت النساء من حق التصويت حتى عام ١٩٢٠، وحُرِمت النساء السود من الوصول إلى هذا الحق حتى عام ١٩٦٤. يشير مصطلح سياسات الهوية إلى التركيز في الحواجز التي تواجهها مجموعات معينة في نضالها من أجل المساواة. لم نحقق بعدُ مبدأنا التأسيسي، لكن أي مكاسب حققناها حتى الآن جاءت من خلال سياسات الهوية.

ظلت هويات الجالسين على طاولات السلطة في هذا البلد متشابهة على نحوٍ واضح: البيض، والذكور، والطبقة الوسطى والعليا، وأصحاب الأجساد السليمة. قد يتم رفض الاعتراف بهذه الحقيقة باعتبارها صوابية سياسية، لكنها لا تزال حقيقة. القرارات التي تُتخذ على هذه الطاولات تؤثر في حياة أولئك الذين لا يجلسون عليها. الإقصاء الممارَس من قبل أولئك الجالسين على الطاولة لا يقوم على نية عامدة متعمدة، لا يتعين علينا أن ننوي الإقصاء حتى تكون نتائج أفعالنا إقصاءً. في حين أن التحيز الضمني فاعل دائمًا لأن التحيز موجود لدى جميع البشر، يمكن للامساواة أن تحدث ببساطة من خلال التجانس؛ إذا لم أكن على دراية بالعوائق التي تواجهها أنت، فلن أراها، ناهيك عن أن أجد دافعًا لإزالتها. كما لن يكون لديَّ دافع لإزالة الحواجز إذا كان وجودها يوفر ميزة أشعر أنها من حقِّي.

كل التقدّم الذي أحرزناه في مجال الحقوق المدنية تحقّق من خلال سياسات الهوية: حق المرأة في التصويت، القانون الأميركي لذوي الإعاقة، قانون رقم ٩[4]، الاعتراف الفيدرالي بزواج المثليين. وفي عام ٢٠١٦، كانت الطبقة العاملة البيضاء من القضايا الرئيسية في انتخابات ٢٠١٦ الرئاسية. كل هذه الحقوق ليست إلا مظاهر لسياسات الهوية.

لنأخذ حق الاقتراع للمرأة. إذا كان كونكِ امرأة يحرمك من حق التصويت، فلا يمكنكِ بحكم الواقع أن تكفليه لنفسك. وأنتِ بالتأكيد لا تستطيعين التصويت لحقكِ في التصويت. إذا كان الرجال يسيطرون على جميع الآليات التي تستثني النساء من التصويت وكذلك الآليات التي يمكنها أن تعكس هذا الإقصاء، فينبغي على النساء إذن مطالبة الرجال بالعدالة. لا يمكنك إجراء محادثة حول حق المرأة في التصويت وحاجة الرجال إلى منحه دون تسمية

النساء والرجال. عدم تسمية المجموعات التي تواجه العقبات يخدم فقط أولئك الذين يملكون القدرة بالفعل؛ الافتراض هو أن القدرة التي تتمتع بها المجموعة المسيطرة قدرة كليّة. على سبيل المثال، بالرغم من أننا تعلمنا أن النساء حصلن على حق الاقتراع في عام ١٩٢٠، فإننا نتجاهل حقيقة أن النساء البيض هنَّ مَن حصلن على حق الاقتراع الكامل، أو أن الرجال البيض هم مَن منحوه. ليس حتى الستينيات، ومن خلال قانون حقوق التصويت، حين مُنحت جميع النساء -بغض النظر عن العِرق - حق الاقتراع الكامل. إن تسمية من لديه القدرة والصلاحية ومن لا يملكها ترشد جهودنا في تحدي الظلم.

هذا الكتاب متجذر، بلا هوادة، في سياسات الهوية. أنا بيضاء وأخاطب ديناميكية بيضاء مشتركة. أكتب بشكل أساسي لجمهور أبيض؛ فعندما أستخدم المصطلحات إننا ونحن، فإنني أشير إلى مجموعة البيض. قد يكون هذا الاستخدام مزعجًا للقراء البيض، فنادرًا ما يُطلب منا التفكير في أنفسنا أو في البيض مثلنا من منظور عِرقي. وبدلًا من الانسحاب أمام هذا الضيق، يمكننا التدرب على بناء جَلَدنا لنتمكن من تفحص الهوية البيضاء على نحوٍ نقدي - وهو ترياق ضروري للهشاشة البيضاء. يثير هذا قضية أخرى متجذرة في سياسات الهوية: فعند التحدث بصفتي شخصًا أبيض أمام جمهور من البيض في المقام الأول، فأنا أكرر وضع البيض والصوت الأبيض في المركز. لم أجد طريقة للتغلب على هذه المعضلة، إلا أنني بصفتي من داخل تجربتهم فيمكنني التحدث عن تجربة البيض بطرق قد يكون من الصعب إنكارها. لذلك، فعلى الرغم من أنني أمركز الصوت الأبيض، فإنني أستخدم أيضًا وضعي كبيضاء لمواجهة العنصرية. وإن لم أفعل، إن لم أستخدم مكاني كبيضاء لمواجهة العنصرية فإنني أساندها، وهذا مرفوض؛ فالأمران هما «كِلا/و» ما يتحتم عليّ أن أعيش معه. ليس لي أن أقترح أبدًا أن صوتي هو الصوت الوحيد الذي يجب أن يُسمع، إنه واحد فقط من القطع العديدة اللازمة لحل الأحجية ككل.

قد يجد الأشخاص الذين ليسوا من البيض هذا الكتاب مفيدًا أيضًا لفهم السبب في صعوبة التحدث إلى البيض حول العنصرية. لا يمكن للملونين تجنب فهم الوعي الأبيض إلى حدٍّ ما إذا أرادوا النجاح في هذا المجتمع، ومع ذلك فلا شيء في الثقافة المهيمنة يؤكد فهمهم أو يشرعن إحباطاتهم عندما يتفاعلون مع البيض. آمل أن يؤكد هذا الاستكشافُ التجاربَ العِرقية المتقاطعة للملونين وأن يقدم رؤية ذات جدوى.

يبحث هذا الكتاب في الولايات المتحدة والسياق العام للغرب (الولايات المتحدة وكندا وأوروبا)، ولا يعالج الفروق الدقيقة والاختلافات داخل البنى الاجتماعية والسياسية الأخرى. ومع ذلك، فقد لوحظت هذه الأنماط أيضًا عند

البيض في مجتمعات المستوطنين البيض الأخرى، مثل: أستراليا ونيوزيلندا وجنوب إفريقيا.

### ماذا عن متعددي الأعراق؟

أحاجج عبر هذا الكتاب أن العنصرية متفاوتة بدقة ومعقدة بشكل متجذِّر وعميق. وبالنظر إلى ذلك، لا يمكننا أبدًا اعتبار أن معرفتنا عنها اكتملت أو انتهت. أحد الأمثلة على هذا التعقيد استخدام التصنيفين العِرقيين «البيض» و«الملونين». أستخدم المصطلحين: البيض والملونين، للإشارة إلى التقسيمين على المستوى الكلي والمعترَف بهما اجتماعيًّا للتسلسل الهرمي العِرقي. ومع ذلك، باستخدام هذين التعبيرين، فإنني أتجاهل قدرًا كبيرًا من التباين. وعلى الرغم من أنني أعتقد (لأسباب موضحة في الفصل ١) أن تعليق الفردية مؤقتًا للتركيز في هوية المجموعة أمرٌ صحي لذوي البشرة البيضاء، فإن القيام بذلك له تأثيرات مختلفة جدًّا في ذوي البشرة الملونة. بالنسبة إلى متعددي الأعراق على وجه الخصوص، فإن هذه الثنائية تتركهم في منطقة «بين» محبطة.

يواجه متعددو الأعراق، لأنهم يجابهون الهياكل والحدود العرقية، تحدياتٍ فريدة في مجتمع للتصنفيات العِرقية فيه معنًى عميق. هؤلاء سيحدِّد لهم المجتمع المهيمن الهوية العرقية التي يشبهونها جسديًّا، لكن هويتهم العرقية الداخلية قد لا تتوافق مع تلك التي حدَّدها المجتمع. على سبيل المثال، على الرغم من أن الموسيقي بوب مارلي كان متعدد الأعراق، فإن المجتمع نظر إليه على أنه أسود وبالتالي فقد استجاب هو كما لو كان أسود. عندما تكون الهوية العرقية لمتعددي الأعراق غامضة، فسيواجهون ضغطًا مستمرًّا لشرح أنفسهم و«اختيار جانب». تزداد الهوية العرقية لمتعددي الأعراق تعقيدًا بسبب الهوية العرقية لوالديهم والتركيبة السكانية العرقية للمجتمع الذي نشؤوا فيه. على سبيل المثال، على الرغم من أن الطفل قد يبدو أسود ويعامل على أنه أسود، فقد يتربى بشكل أساسي على يد والد أبيض وبالتالي يعرَّف بشكل أكبر على أنه أبيض.

ستشكل آليات ما يسمى ب«المرور» passing -أن يُنظر إليه على أنه أبيض - أيضًا هوية الشخص متعدد الأعراق، حيث أن المرور سوف يمنحه أو يمنحها مكافأة المجتمع للبياض. ومع ذلك، فإن الأشخاص مختلطي الأعراق الذين يمرُّون باعتبارهم بيضًا، قد يتعرضون أيضًا إلى الرفض والإقصاء من قِبَل الملونين الذين لا يستطيعون المرور. قد لا يُنظر إلى متعددي الأعراق على أنهم ملونون «حقيقيون» أو بيض «حقيقيون». (من الجدير بالذكر أنه على الرغم من أن مصطلح «المرور» يشير إلى القدرة على الاندماج

كشخص أبيض، فلا يوجد مصطلح مماثل للقدرة على المرور كشخص ملون. وهذا يوضح حقيقة أن الاتجاه المنشود في مجتمع عنصري يكون دائمًا نحو البياض وبعيدًا عن أن يُنظر إلى الشخص كشخص ملون).

لن أكون قادرة على أن أنصف تعقيد الهوية المتعددة الأعراق. ولكن لأغراض مواجهة الهشاشة البيضاء، أقدم إلى متعددي الأعراق مفهوم «البروز» saliency. كلنا نشغل مواقع اجتماعية متعددة ومتقاطعة. أنا بيضاء، لكنني أيضًا امرأة متوافقة الجنس cisgender[5]، متمكّنة جسديًّا (لا أعاني من أي إعاقة)، ومتوسطة العمر. هذه الهويات لا تلغي بعضها بعضًا. كل واحدة منها تبرز أكثر أو أقل في سياقات مختلفة. على سبيل المثال، في مجموعة أكون فيها المرأة الوحيدة، من المرجح أن يكون جندري أكثر ما هو بارز فيَّ. عندما أكون في مجموعة بيضاء بالكامل باستثناء شخص واحد ملون، فمن المحتمل أن يكون العِرق هو هويتي الأكثر بروزًا.

أثناء قراءتك، سيكون عليك أن تقرر ما الذي يتحدث عن تجربتك وذلك الذي لا يتناسب معها، وفي أي سياقات. أملي هو أنك قد تكوّن فهمًا حول السبب الذي يجعل المحادثات المتعلقة بالعِرق مع مَن يعرِّفون أنفسهم بأنهم بيض صعبة، و/ أو أن تكوّن فهمًا لاستجاباتك العرقية أثناء إبحارك في المياه العرقية العكرة للحياة اليومية.

# مقدمة

لا يمكننا الوصول إلى هناك من هنا

أنا امرأة بيضاء. أقف إلى جانب امرأة سوداء. نحن نواجه مجموعة من البيض يجلسون أمامنا. نحن في مكان عملهم حيث عُيِّنَّا من قِبَل صاحب العمل لإجراء حوار مع الموظفين حول العِرق. الغرفة مليئة بالتوتر ومشحونة بالعداء. لقد قدَّمت لتوّي تعريفًا للعنصرية يتضمن الإقرار بأن البيض يتمتعون بسلطة اجتماعية ومؤسسية على الملونين. رجل أبيض يضرب بقبضته على الطاولة. وبينما يفعل ذلك يصرخ: «لم يعد بإمكان الرجل الأبيض أن يحصل على وظيفة!» نظرت حولي ورأيت أربعين موظفًا، ثمانية وثلاثون منهم من البيض. لِمَ يشعر هذا الرجل الأبيض بكل هذا الغضب؟ لماذا لا يبالي بتأثير غضبه؟ لماذا لا يلاحظ تأثير انفجاره هذا في قلَّة من الأشخاص الملونين في الغرفة؟ لماذا يجلس جميع البيض الآخرين في اتفاق صامت معه أو بلا اكتراث؟ كل ما فعلته أنني شرحت تعريفًا للعنصرية فقط.

يعيش البيض في أميركا الشمالية في مجتمع منفصل تمامًا وتغيب عنه المساواة بسبب العرق، والبيض هم المستفيدون من هذا الفصل واللامساواة. وبالنتيجة، فنحن معزولون عن التوتر العرقي[6]، في نفس الوقت الذي نشعر فيه بأننا مستحقون لما نحن فيه وأن هذا الامتياز من حقنا. بالنظر إلى ندرة أن نمر بحالة من الانزعاج العرقي في مجتمع نسيطر عليه، لم نضطر إلى أن نبني جَلَدنا العرقي racial stamina. لقد جرت تنشئتنا اجتماعيًّا لنحمل ذلك الشعور المستدخل[7] بالتفوق الذي إما أننا غير مدركين له وإما لا يمكننا الاعتراف به لأنفسنا أبدًا، لذلك نشعر بهشاشة كبيرة حين يجري الحديث معنا حول العرق. نعتبر أي تحدٍّ لوجهات نظرنا العرقية بمثابة تحدٍّ لهوياتنا كأشخاص صالحين وأخلاقيين. وبالتالي، فإننا نفهم أي محاولة لربطنا بنظام العنصرية إهانةً أخلاقية مقلقة وظالمة. أقل قدر من التوتر العرقي لا يطاق - مجرد الإيحاء بأن كونك أبيض له معنًى يؤدي غالبًا إلى مجموعة من الاستجابات الدفاعية، وهذه تشمل مشاعر من قبيل الغضب والخوف والشعور بالذنب، إلى جانب سلوكيات، مثل: المجادلة والصمت والانسحاب من الموقف الذي سبَّب التوتر. تعمل هذه الاستجابات على إعادة التوازن الأبيض من حيث أنها تصدُّ التحدي وتعيد راحتنا العرقية وتحافظ على هيمنتنا داخل التسلسل الهرمي العِرقي. أطلق على هذه العملية مفهوم الهشاشة البيضاء. على الرغم من أن الهشاشة البيضاء تنجم عن الضيق والقلق، فإنها تولد أساسًا من التفوق والاستحقاق. الهشاشة البيضاء ليست

ضعفًا في حد ذاتها. في الواقع، إنها وسيلة العِرق الأبيض القوية للسيطرة وحماية امتيازات البيض.

تلخيص الأنماط المألوفة لاستجابات البيض تُجاه الانزعاج العرقي باعتبارها هشاشة بيضاء كان له صدًى لدى العديدين. بدا أن الإحساس مألوف جدًّا، ففي حين تختلف رواياتنا الشخصية، فإننا جميعًا نسبح في نفس الماء العرقي. بالنسبة إليَّ، جاء الاعتراف من خلال عملي. لديَّ وظيفة نادرة؛ أقوم يوميًّا بقيادة جمهور أبيض، بشكل أساسي، في مناقشات حول العرق، وهو أمر يتجنبه كثير منا بأي ثمن. في الأيام الأولى لعملي الذي صار يُطلق عليه فيما بعد «مدربة التنوع»، صُدمت بإلى أي حد غضب كثير من المشاركين البيض وأخذوا موقفًا دفاعيًّا لمجرد الإيحاء بأنهم مرتبطون بالعنصرية بأي شكل. مجرد فكرة أن حضورهم مطلوب لورشة عمل حول العنصرية أثارت غضبهم. دخلوا الغرفة غاضبين وأظهروا لنا هذا الشعور على مدار اليوم وهم يضربون بدفاترهم على الطاولة، ويرفضون المشاركة في التمارين، ويجادلون ضد جميع النقاط وأيٍّ منها. لم أستطع فهم استياءهم أو لامبالاتهم بمعرفة المزيد عن ديناميكية اجتماعية معقدة، مثل العنصرية. كانت ردود الفعل هذه محيّرة بشكل خاص من حيث أن هناك عددًا قليلًا من الملونين في مكان عملهم أو لا يوجد أصلًا، والفرصة أتيحت لهم للتعلم من زملائي الميسَّرين الملوَّنين. في ظل هذه الظروف، افترضت أن ورشة تعليمية حول العنصرية ستكون موضع تقدير. بعد كل شيء، ألا يشير الافتقار إلى التنوع إلى وجود مشكلة، أو على الأقل، إلى أن بعض وجهات النظر مفقودة؟ ألا يشير ربما إلى أن المشاركين محدودو الاطلاع بشأن العِرق بسبب التفاعل القليل بين الأعراق في محيطهم؟

استغرق الأمر مني عدة سنوات لأدرك ما يقف خلف ردود الفعل هذه. في البداية أخافوني، وأوقفوني ودفعوني إلى أن أظل حذرةً وهادئة. بمرور الوقت، بدأت أرى ما يكمن وراء غضبهم هذا ومقاومتهم مناقشة مسألة العِرق أو الاستماع إلى أشخاص ملونين. لقد لاحظت استجابات متسقة ومتشابهة من مجموعة متنوعة من الحضور. على سبيل المثال، كان العديد من المشاركين البيض الذين عاشوا في الضواحي البيضاء وليس لديهم علاقات دائمة مع الملونين متأكدين تمامًا من غياب أي تحامل أو عداء عرقي. مشاركون آخرون اختزلوا العنصرية بشكل مبسط في مسألة أشخاص طيبين مقابل أشخاص لئام. بدا أن معظمهم يعتقدون أن العنصرية انتهت بنهاية العبودية في عام ١٨٦٥. كان هناك موقف دفاعي غير متوقع ضد أية إشارة إلى أن هناك معنًى أو قيمة خاصة لأن يكون المرء أبيض، ورفض للاعتراف بأي امتياز لكون المرء أبيض. بل زعم العديد من المشاركين أن البيض هم الآن المجموعة المضطهدة، وقد رفضوا واستاءوا بشدة من أي شيء يعدُّ

تأكيدًا على تمتعهم بامتيازٍ ما. كانت هذه الاستجابات متوقعة -متجانسة وقوية - تمكنتُ من التوقف عن أخذ هذه المقاومة على محمل شخصي، ومن تجاوز تجنبي خوض الصراع والتفكير في ما يقف خلف تلك الاستجابات.

بدأت أرى ما أعدُّه الآن ركائز البياض، أي المعتقدات غير المدروسة التي تدعم استجاباتنا العرقية. أدركت قوة الاعتقاد بأن الأشرار فقط هم العنصريون، مثلما رأيت كيف أتاحت الفردانية للبيض إعفاء أنفسهم من قوى التنشئة الاجتماعية. وكيف يتم تعليمنا التفكير في العنصرية كأفعال منفصلة يرتكبها أفراد، وليس كنظام معقد ومترابط. وفي ضوء الكثير من تعبيرات رفض البيض واستيائهم من الملونين، أدركت أننا نرى أنفسنا جديرين ب ومستحقين أكثر مما يستحق ذوو البشرة الملونة؛ رأيت استثمارنا في نظام يخدمنا. رأيت أيضًا كم اشتغلنا بجهد كبير لإنكار كل هذا وكيف أخذنا موقفًا دفاعيًّا عندما سُمِّيت هذه الديناميكيات بأسمائها. في المقابل، رأيتُ كيف حافظت مواقفنا الدفاعاية هذه على الوضع العِرقي الراهن.

ساهمت تأملاتي في عنصريتي الشخصية، وآراء عميقة ناقدة لدور وسائل الإعلام وأدوات الثقافة الأخرى، والاطلاع على وجهات نظر العديد من المفكرين من أعراق أخرى والذين أصبحوا مرشدين لي. كل هذه الأمور ساعدتني في تكوين معرفة عميقة حول الكيفية التي تعمل بها القوى المحركة للعنصرية وتقوم عليها ركائزها. بات الأمر واضحًا لي، فإذا اعتقدتُ بأن الأشرار وحدهم -ممن يحملون نوايا إيذاء الآخرين بسبب أعراقهم - قادرون على إتيان الفعل العنصري، إذا صدَّقتُ ذلك فإنني سأكون ساخطة على أية إشارة إلى أنني متورطة في العنصرية. سيقودني هذا الاعتقاد إلى الشعور بأنني متهمة ظلمًا بشيء فظيع، وبالطبع سأدافع عن شخصي (لقد مررت فعلًا بكثير من المواقف الشخصية التي ينبغي التفكير فيها وتأملها، والتي تصرفتُ فيها على هذا الأساس). الآن أدرك أن الطريقة التي نتعلم بها تعريف العنصرية تجعل فهمها مستحيلًا تقريبًا على البيض. نظرًا إلى عزلنا عرقيًّا، إلى جانب تزويدنا بمعلومات قليلة ومغلوطة، فإن أي اقتراح بأننا شركاء في العنصرية هو نوع من الصدمة المرفوضة والمهينة للنظام.

ومع ذلك، إذا فهمت العنصرية كنظام تمت تنشئتي اجتماعيًّا فيه، عند ذلك فقط يمكنني أن أقبل ملاحظات وانتقادات حول الأنماط العرقية الإشكالية التي أمارسها، كطريقة مجدية وبناءة لدعم التعلم والنمو نحو التغيير. بالنسبة إلى شخص أبيض، فإن إحدى أكبر مخاوفه الاجتماعية أن يخبره أحدهم بأن شيئًا قاله أو فعله يعدُّ إشكاليًّا وجدليًّا من ناحية عرقية. ومع ذلك، فعندما يخبرنا أحدهم بأننا فعلنا شيئًا كهذا، بدلًا من أن نرد بامتنان وارتياح (لا سيما وقد أدركنا إحدى الممارسات العنصرية التي نرتكبها بلا وعي، وبالتالي فلن نكررها)، غالبًا ما نجيب ساخطين في إنكار. لا يمكن تجربة مثل هذه اللحظات

باعتبارها مواقف قيِّمة لنا وذات مغزًى، وإن كانت مؤلمة مؤقتًا، إلا بعد أن نقبل بأن العنصرية أمر لا مفر منه وأن من المستحيل الخلاص منها بشكل كامل نظرًا إلى أننا كوَّنا وطوَّرنا منظومة معقدة وملتبسة من الافتراضات والسلوكيات العرقية.

لا أحد من البيض الذين أصف أفعالهم في هذا الكتاب يمكن اعتباره عنصريًّا. بل إنهم على الأرجح يرون أنفسهم كتقدميين فيما يتعلق بالعِرق ومتجاوزين لمشاكله، وينكرون بشدة أي تواطؤ مع العنصرية. ومع ذلك، فإن استجاباتهم وردود أفعالهم تكشف الهشاشة البيضاء وكيف تحافظ هذه الهشاشة على العنصرية وتبقيها في مكانها. هذه الاستجابات هي ما يسبب الإحباطات والإهانات اليومية التي يتحمَّلها الملونون من بيضٍ يعدُّون أنفسهم منفتحين ومتنورين وبالتالي ليسوا عنصريين. هذا الكتاب مخصص لنا، للتقدميين البيض الذين كثيرًا -على الرغم من نوايانا الواعية - يجعلون الحياة صعبة جدًّا على الأشخاص الملونين. أعتقد أن التقدميين البيض يسببون أكبر ضرر يومي للملونين. أعرِّف التقدمي الأبيض على أنه أي شخص أبيض يعتقد أنه ليس عنصريًّا، أو أنه أقل عنصرية، أو «أنا معكم أصلًا» أو أنه «فاهم» من الأساس. يمكن أن يكون التقدمي الأبيض هو الأصعب بالنسبة إلى الأشخاص الملونين، لأنه، بنفس الدرجة التي نعتقد أننا وصلنا إليها في كوننا لسنا عنصريين، سنضع جزءًا معتبرًا من طاقتنا للتأكد من أن الآخرين يروننا وقد وصلنا. لن يذهب أيٌّ من طاقتنا إلى ما نحتاج إلى القيام به حقًّا بقيَّةَ حياتنا: الانخراط في توعية ذاتية مستمرة، والتعليم المتواصل، وبناء العلاقات، وممارسة فعلية لمناهضة العنصرية. يحافظ التقدميون البيض على العنصرية فعلًا ويرتكبونها، لكن دفاعنا عن أنفسنا ويقيننا بأننا لا يمكن أن نأتي على ممارسات عنصرية يجعلان من المستحيل عمليًّا أن يشرح أيُّ أحد لنا كيف نفعل ذلك. كانت العنصرية من بين أكثر المعضلات الاجتماعية تعقيدًا منذ تأسيس هذا البلد. في حين أنه لا يوجد عِرق بيولوجي كما نفهمه (انظر الفصل ٢)، فإن للعِرق كبناء اجتماعي أهمية عميقة ويشكِّل كل جانب من جوانب حياتنا[١]. سيؤثر العِرق في ما إذا كنا سننجو عند ولادتنا، والمكان المرجَّح أن نعيش فيه، والمدارس التي سنلتحق بها، ومن سيكون أصدقاءنا وشركاءنا، وما هي الوظائف التي سنحصل عليها، ومقدار المال الذي سنجنيه، ومدى صحتنا، وحتى إلى متى يُتوقع أن نعيش[٢]. لا يحاول هذا الكتاب تقديم حلٍّ للعنصرية، كما أنه لا يحاول إثبات وجود العنصرية، إنما أبدأ من هذه الفرضية. هدفي أن أكشف كيف يحافظ جانب واحد من حساسية البيض على العنصرية في مكانها: وهذا الجانب هو الهشاشة البيضاء. سأشرح ظاهرة الهشاشة البيضاء، وكيف تنمو فينا، وكيف تحمي اللامساواة العرقية، وما الذي يمكننا فعله حيالها.

# الفصل الأول: صعوبات الحديث إلى البيض عن العنصرية

**نحن لا نرى أنفسنا بلغةٍ عِرقية**

أنا أميركية بيضاء نشأت في الولايات المتحدة. لديَّ إطار مرجعي أبيض ونظرة بيضاء إلى العالم، وأتنقل عبر العالم بتجربة بيضاء. تجربتي ليست تجربة إنسانية كليَّة. إنها تجربة بيضاء وبشكل خاص في مجتمعٍ للعِرق فيه أهمية كبيرة؛ مجتمع منفصل عرقيًّا على نحو عميق وتغيب فيه المساواة لأسباب عرقية أيضًا. ومع ذلك، مثل معظم البيض الذين نشؤوا في الولايات المتحدة، لم أتعلم أن أرى نفسي من منظور عرقي، وبالتأكيد تعلمت ألا ألفت الانتباه إلى عرقي أو أن أتصرف كما لو كان الأمر مهمًّا بأي شكل من الأشكال. بالطبع، عُلِّمتُ أن أدرك أن عِرق شخص ما مهم، وإذا نوقش العرق، فسيكون المقصود عرقهم هم، وليس عرقي أنا. ومع ذلك، فإن أحد المكونات الحاسمة في بناء مهارة التفاعل العرقي هو القدرة على الجلوس مع الشعور بالضيق والقلق من أن يُنظر إليك على أساس عرقي، أو الاضطرار إلى المضي قدمًا كما لو كان عرقنا مهمًّا (وهو مهم بالفعل). أن تكون مرئيًّا من منظور عرقي هو سبب شائع للهشاشة البيضاء، وبالتالي، لبناء جَلَدنا العرقي، لا بد أن يواجه البيض التحدي الأول: تسمية عرقنا.

**آراؤنا تفتقر إلى معرفة**

لم أقابل شخصًا أبيض ليس لديه رأي في العنصرية. ليس من الممكن فعلًا أن تكبر في الولايات المتحدة أو أن تمضي وقتًا كبيرًا هنا -أو في أي ثقافة أخرى لها تاريخ من الكولونيالية الغربية - دون أن تكوِّن آراء حول العنصرية، وآراء البيض حولها تميل إلى أن تكون قوية. ومع ذلك، فإن العلاقات بين الأعراق معقدة إلى حد كبير جدًّا. لا بد أن نكون مستعدين للأخذ بعين الاعتبار أنه ما لم نكرِّس دراسة مقصودة ومستمرة، فإن آراءنا بالضرورة اعتباطية، بل إنها جاهلة.

كيف يمكنني القول إنك إذا كنت من البيض فالأرجح أن آراءك بشأن العنصرية قائمة على جهل وأنا لا أعرفك حتى؟ أستطيع قول ذلك لأنه لا يوجد شيء في التيار المهيمن على ثقافة الولايات المتحدة يعطينا المعلومات التي نحتاجها للوصول إلى الفهم الدقيق للديناميكية الاجتماعية، الأكثر تعقيدًا ربما، التي استمرَّت لعدة مئات من السنين الماضية.

على سبيل المثال، يمكن أن يُنظر إليَّ على أنني مؤهلة لقيادة منظمة رئيسية أو ثانوية في هذا البلد دون أن يكون لديَّ أيُّ فهم على الإطلاق لوجهات نظر أو تجارب الأشخاص ذوي البشرة الملونة، ولديَّ القليل من العلاقات مع أشخاص من ذوي البشرة الملونة، هذا إن وُجدت، كما أنني عاجزة عن مناقشة موضوع العِرق بشكل نقدي. بل يمكنني أن أمرَّ في تجربة كلية الدراسات العليا منذ أن ألتحق بها وحتى أنهي دراستي فيها دون مناقشة العنصرية قط. يمكنني الانتهاء من دراستي في كلية الحقوق دون مناقشة العنصرية. يمكنني الحصول على برنامج لتدريب المعلمين دون مناقشة العنصرية. إذا كنت مشاركةً في برنامج يُعدُّ تقدميًّا، فقد يكون لديَّ مساق دراسي واحد مطلوب عن «التنوع». لقد قاتل عدد قليل من أعضاء هيئة التدريس لسنوات لكي يكون هذا المساق موجودًا ويلتحق به أمثالي، ومن المحتمل أنهم اضطروا إلى التغلب على مقاومة أغلب زملائهم البيض، وما زالوا يقاتلون للإبقاء على هذا المساق الدراسي. في دراسة التنوع هذه، قد نقرأ لمؤلفين «إثنيين» ونتعرف على أبطال وبطلات من أعراق مختلفة، ولكن ليس هناك ما يضمن أننا سنناقش العنصرية.

في الواقع، عندما نحاول التحدث بصراحة وصدق عن العرق، تظهر الهشاشة البيضاء سريعًا لأننا كثيرًا ما نواجَه بالصمت والمواقف الدفاعية، والأخذ والرد، واليقين وأساليب أخرى من الصدِّ. هذه ليست ردود فعلٍ طبيعية. إنها قوًى اجتماعية تمنعنا من تحقيق المعرفة العرقية التي نحتاجها للمشاركة في النقاش على نحوٍ يفضي إلى نتيجة، وتعمل بقوة للحفاظ على التسلسل الهرمي العرقي كما هو. تشمل هذه القوى أيديولوجيات الفردانية وحكم الجدارة (ميريتوقراطية)، والتمثيلات الإعلامية الضيقة والمتكررة للملونين، والفصل العنصري في المدارس والأحياء، وتصوير البياض على أنه المثل الأعلى للإنسان، والتاريخ المقطوع، والنكات والتحذيرات، وتابو الحديث الصريح عن العرق، وتكافل البيض.

إن مقاطعة قوى العنصرية عملية مستمرة، وعمل يتواصل مدى الحياة لأن القوى التي تُكيِّفنا داخل أطر عنصرية تواصل لعبها؛ لن ينتهي تعلُّمنا أبدًا. ومع ذلك، فإن تعريفنا التبسيطي للعنصرية -كأفعالٍ مقصودة من التمييز العنصري يرتكبها أفراد لاأخلاقيين - يولد الثقة بأننا لسنا جزءًا من المشكلة وأن تعلُّمنا بذلك قد اكتمل. الادعاءات التي نقدمها كدليل غير قابلة للتصديق. على سبيل المثال، ربما سمعت أحدهم يقول «لقد تعلمت أن أعامل الجميع بنفس الطريقة» أو «يحتاج الناس فقط إلى أن يتعلموا احترام بعضهم بعضًا، وهذا يبدأ في البيت». تميل هذه العبارات إلى إنهاء المناقشة والتعلم الذي يمكن أن يتحقق من المشاركة الدائمة. علاوة على ذلك، فهي غير مقنعة لمعظم الأشخاص ذوي البشرة الملونة وتنفي صحة تجاربهم. كثير من البيض

ببساطة لا يفهمون عملية التنشئة الاجتماعية، وهذا هو التحدي التالي الذي يواجهنا.

**نحن لا نفهم التنشئة الاجتماعية**

عندما أتحدث إلى البيض عن العنصرية، تكون ردودهم متوقعة إلى درجة أشعر معها كما لو أننا جميعًا نُسمِّع سطورًا من نص مشترك. ونحن بالفعل كذلك، على مستوًى ما، لأننا لاعبون في ثقافة مشتركة. يُستمَد جانب مهم من النص الأبيض من رؤيتنا لأنفسنا باعتبارنا موضوعيين ومتمايزين الواحد منا عن الآخر. لفهم الهشاشة البيضاء، ولنبدأ في فهم سبب عجزنا عن أن نكون أيًّا منهما؛ ينبغي أن نفهم قوى التنشئة الاجتماعية.

نحن نفهم التصورات والتجارب من خلال عدساتنا الثقافية الخاصة. هذه العدسة ليست كليّة ولا موضوعية، وبدونها، لا يمكن للإنسان أن يكون فاعلًا في أي مجتمع بشري. لكن استكشاف هذه الأطر الثقافية يمكن أن يكون تحديًا في الثقافة الغربية على وجه التحديد بسبب اثنتين من الأيديولوجيات الغربية الرئيسية: الفردانية والموضوعية. باختصار، تعتبر الفردانية أن كلًّا منا فريد في نوعه ويتميز عن الآخرين، حتى أولئك الذين من داخل مجموعتنا الاجتماعية. أما الموضوعية فتخبرنا أنه من الممكن التحرّر من جميع التحيُّزات والتعصُّبات. تصعِّب هاتان الأيديولوجيتان على البيض استكشاف الجوانب الجماعية لتجربة البيض.

الفردانية تشبه خطًّا سرديًّا يبني ويتصل ب ويعيد إنتاج ويعزّز مفهوم أن كل واحد منا متمايز عن الآخر وأن عضويات مجموعتنا، مثل العِرق أو الطبقة أو الجندر، لا علاقة لها بفُرصنا. تزعم الفردانية أنه لا توجد حواجز جوهرية أمام النجاح الفردي وأن الفشل ليس نتيجة الهياكل الاجتماعية ولكنه نتاج شخصية الفرد نفسه. وفقًا لأيديولوجية الفردانية، فإن العِرق لا علاقة له بالأمر. بالطبع، نحن نشغل عِرقًا وجنسًا وطبقة ومناصب أخرى مميزة تشكل فرص حياتنا بعمق وبطرق ليست طبيعية ولا طوعية أو عشوائية؛ لا يتم توزيع الفرصة بالتساوي عبر العِرق والطبقة والجنس. على مستوًى ما، نعلم أن ابن بيل غيتس ولد في مجموعة من الفرص التي ستفيده طوال حياته، سواء أكان عديم الموهبة أو استثنائيًّا. ومع ذلك، فعلى الرغم من أنه من الواضح أن ابن غيتس قد حصل على ميزة غير مكتسبة، فإننا نتمسك بشدة بأيديولوجيا الفردانية عندما يُطلب منا النظر في مزايانا غير المكتسبة.

بغضِّ النظر عن اعتراضاتنا والزعم بأن الفئات الاجتماعية ليست مهمة وأننا نرى الجميع متساوين، نعلم أن تجربة الرجل كما تحددها الثقافة السائدة هي تجربة مختلفة عن تجربتك كامرأة. نعلم أن النظرة إليك على أنك مسن

تختلف عن أن يُنظر إليك على أنك شاب، وأن الثري يختلف عن الفقير، والقادر جسديًّا مختلف عن ذي الإعاقة، ومثليَّ الجنس يختلف عن مغاير الجنس، وما إلى ذلك. هذه المجموعات مهمة، لكنها ليست مهمة بشكل طبيعي، كما جرى تعليمنا أن نعتقد. بدلًا من ذلك، لقد جرى تعليمنا أنها مهمة، والمعنى الاجتماعي المنسوب إلى هذه المجموعات يولّد اختلافًا في التجربة المُعاشة. لقد جرى تعليمنا هذه المعاني الاجتماعية بطرق تُعدُّ فلا تحصى، من قِبَل مجموعة من الناس، ومن خلال مجموعة متنوعة من الوسائط. يستمر هذا التدريب بعد الطفولة يتواصل طوال حياتنا، الكثير منه تدريب غير لفظي يتحقق من خلال مراقبة الآخرين ومقارنة أنفسنا بهم.

تجري تنشئتنا اجتماعيًّا معًا في هذه المجموعات. نتلقى جميعًا، في الثقافة السائدة المهيمنة، الرسائل نفسها حول ما تعنيه هذه المجموعات، ولماذا يكون الوجود في مجموعة تجربةً مختلفةً عن الوجود في مجموعة أخرى. ونعلم أيضًا أنه من «الأفضل» أن تكون في إحدى هذه المجموعات على أن تكون في نقيضها؛ على سبيل المثال، أن تكون شابًّا بدلًا من مسن، قادرًا جسديًّا بدلًا من معاق، غنيًّا وليس فقيرًا. نكتسب كلنا فهمنا لمعنى المجموعة من خلال المظاهر المشتركة للمجتمع من حولنا والتي لا يمكن تحاشيها: التلفزيون، والأفلام، والمواد الإخبارية، وكلمات الأغاني، والمجلات، والكتب المدرسية، والمدارس، والدين، والأدب، والقصص، والنكات، والتقاليد والممارسات، والتاريخ وما إلى ذلك. هذه الأبعاد لثقافتنا تشكِّل هويات مجموعتنا.

يعتمد فهمنا لأنفسنا بالضرورة على مقارنتنا بالآخرين. لا معنى لمفهوم الجميل بدون مفهوم القبيح، والذكي يفقد الكثير من معناه بدون فكرة غير الذكي أو «الغبي»، والمستحق لا معنى له بدون مفهوم «غير المستحق». نتوصل إلى فهم من نكون من خلال فهم من لا نكون. ولكن نظرًا إلى تركيز مجتمعنا في الفردانية، فإن العديد منا ليسوا مدربين على التفكير في عضوية مجموعتنا. ولفهم العلاقات بين الأعراق اليوم، يجب أن ندفع ضد تكييفنا ونكافح مع كيف تكون عضوية المجموعة العرقية مؤثرة ولماذا.

بالإضافة إلى تحدي إحساسنا بأنفسنا كأفراد، فإن مقاربة هوية المجموعة تتحدى أيضًا إيماننا بالموضوعية. وإذا كانت عضوية المجموعة وثيقة الصلة بمن نكون وما نحن عليه، فإننا لا نرى العالم من منظور إنساني شامل ولكن من منظور نوع معين من البشر. بهذه الطريقة، يمكن تعطيل كلتا الأيديولوجيتين (الفردانية والموضوعية). وبالتالي، فإن التفكير في أطرنا العرقية يمثِّل تحديًا خاصًّا للعديد من البيض، لأننا عُلِّمنا أنك حين تملك وجهة نظر عرقية فهذا يعني التعصب. لسوء الحظ، فإن هذا الاعتقاد يحمي انحيازاتِنا لأن إنكار وجودها يضمن أننا لن نتفحصها أو نغيرها. سيكون من

المهم أن نتذكر هذا عندما نفكر في التنشئة الاجتماعية العرقية، لأن هناك فرقًا شاسعًا بين ما نقوله شفهيًّا لأطفالنا وجميع الطرق الأخرى التي ندربهم من خلالها على المعايير العرقية لثقافتنا.

بالنسبة إلى العديد من البيض، فمجرد عنوان هذا الكتاب مدعاة إلى مقاومته، لأنني أخالف القاعدة الجوهرية للفردانية؛ أنا أعمِّم. أمضي قدمًا كما لو كان بإمكاني معرفة أي شيء عن شخص ما لمجرد أنه أبيض. ربما أنك تفكر الآن في كل الطرق التي تختلف بها عن الأشخاص البيض الآخرين، وأنني لو كنت أعرف فقط كيف أتيت إلى هذا البلد، أو كيف كنت قريبًا من هؤلاء الأشخاص، أو كيف نشأت في هذا الحيِّ، أو تحمَّلت ذلك الصراع، أو مررت بتلك التجربة، فعندئذ سأدرك أنك مختلف - وأنك لم تكن عنصريًّا. لقد قابلتُ رد الفعل الشائع هذا في عملي مراتٍ لا تحصى.

على سبيل المثال، ألقيت محاضرة أخيرًا مع مجموعة من حوالي مئتي موظف. لم يكن هناك أكثر من خمسة أشخاص ملونين في مؤسستهم، ومن هؤلاء الخمسة اثنان فقط من الأميركيين الأفارقة. أكدت خلال حديثي أؤكد مرارًا وتكرارًا على أهمية تمتُّع البيض بالتواضع العرقي وعدم إعفاء أنفسنا من ديناميكيات العنصرية التي لا مفر منها. بمجرد أن انتهيت من الحديث، تشكَّل صفٌّ من البيض -ظاهريًّا لتوجيه الأسئلة إليَّ - ولكنهم فعلوا ذلك، كالعادة، لتكرار الآراء التي كانوا يؤمنون بها حول العِرق عندما دخلوا الغرفة. كان أول من تحدث رجل أبيض، أوضح أنه أميركي إيطالي وأن الإيطاليين كانوا يعتبرون ذات يوم من السود وتم التمييز ضدهم، سألني إن كنت لا أعتقد أن البيض يتعرضون للعنصرية أيضًا؟ إن وجوده في تلك الغرفة ذات الأغلبية الساحقة من زملائه في العمل وإعفاء نفسه من تفحُّص بياضه لأن الإيطاليين تعرضوا يومًا ما للتمييز ليس إلا مثالًا شائعًا جدًّا على الفردانية. كان من الأفضل لو أنه شاركنا في الكيفية التي تمكَّن من خلالها الأميركيون الإيطاليون من أن يصبحوا بيضًا، وكيف شكَّل هذا الاستيعاب تجاربه في الوقت الحاضر كرجل أبيض. لأنه لو فعل لوسَّع أفق نظرته الحالية إلى العالم بدلًا من حمايتها. لم توضِّح ادعاءاته أنه كان مختلفًا عن غيره من البيض عندما يتعلق الأمر بالعرق. يمكنني أن أتوقَّع أن العديد من القرَّاء سيكوِّنون ادعاءات مماثلة باستثنائية تجاربهم لأننا على وجه التحديد نتاج ثقافتنا، ولسنا منفصلين عنها.

بصفتي عالمة اجتماع، أنا بدرجة كبيرة مرتاحة للتعميم؛ الحياة الاجتماعية نمطية ويمكن التنبؤ بها بطرق قابلة للقياس. لكني أفهم أن تعميماتي قد تقود البيض الذين أعمّم عنهم إلى اتخاذ مواقف دفاعية، بالنظر إلى مدى التقدير لأيديولوجية الفردانية في ثقافتنا. هناك بالطبع استثناءات، ولكن التعرف على الأنماط يجري على هذا النحو بالتحديد لأنها متكرِّرة ويمكن التنبؤ بها. لا يمكننا

فهم الأشكال الحديثة للعنصرية إذا لم نتمكن من، أو لم نشأ أصلًا، استكشاف أنماط سلوك المجموعة وتأثيراتها في الأفراد. أطلب من القراء إجراء التعديلات التي يعتقدون أنها ضرورية لوضعهم بالتحديد، بدلًا من رفض الأدلة تمامًا. فربما أنك نشأت فقيرًا مثلًا، أو كنت يهوديًّا أشكنازيًّا تحمل موروثًا أوروبيًّا، أو نشأت في أسرة عسكرية، ربما نشأت في كندا أو هاواي أو ألمانيا، أو كان لديك أشخاص من أعراق أخرى في عائلتك. لا يعفيك أيٌّ من هذا من قوى العنصرية، إذ لا يوجد جانب من جوانب المجتمع خارج هذه القوى.

بدلًا من استخدام ما ترى أنه يميِّز تجربتك كإعفاء من تفحص عنصريتك والتحقق منها، من الأجدى أن تسأل نفسك: «أنا أبيض ولديَّ التجربة «س»، كيف شكلتني «س» كنتيجة أيضًا لكوني أبيض؟» إن تنحية إحساسك بخصوصية تجربتك جانبًا هو مهارة حاسمة تتيح لك رؤية الصورة الكبيرة للمجتمع الذي نعيش فيه؛ الفردانية لن تفعل. الآن، حاول التخلي عن سرديتك الفردية والتعامل مع الرسائل الجماعية التي نتلقاها جميعًا كأعضاء في ثقافة مشتركة أكبر. حاول أن ترى كيف شكلت هذه الرسائل حياتك، بدلًا من استخدام بعض جوانب قصتك لإعفاء نفسك من تأثيرها.

**لدينا فهم تبسيطي للعنصرية**

التحدي الأخير الذي نحتاج إلى مواجهته هو تعريفنا ل «العنصرية». تعلَّمنا، في حقبة ما بعد الحقوق المدنية، أن العنصريين هم أناس لئيمون يكرهون الآخرين قصدًا بسبب عرقهم؛ العنصريون لاأخلاقيون. لذلك، إذا كنت أقول: إن قرائي عنصريون، أو لو قلت أسوأ من ذلك: إن جميع البيض عنصريون، فأنا أقول شيئًا مسيئًا جدًّا؛ إنني أشكك في شخصية قرائي الأخلاقية. كيف يمكنني القيام بمثل هذا الادعاء وأنا لا أعرف من هم قرائي حتى؟ منكم من لديه أصدقاء وأحباء من أعراق مختلفة، فكيف يمكن أن تكون عنصريًّا؟ في الحقيقة، لمَّا كان التعميم على الناس حسب العِرق يعتبر عنصريًّا، فأنا العنصرية هنا! لذا دعني أكون واضحة: إذا كان تعريفك للعنصري بأنه شخص يحمل كراهية واعية للناس بسبب أعراقهم، فأنا أوافق على أنه من المهين بالنسبة إليَّ أن أقترح أنك عنصري وأنا لا أعرفك. بل إنني أوافقك أيضًا، فإذا كان هذا هو تعريفك للعنصرية، وأنت ضد العنصرية، فأنت لست عنصريًّا. خذ نَفَسك الآن، أنا لا أستخدم هذا التعريف للعنصرية، ولا أقول إنك لاأخلاقي. إذا استطعت أن تظل منفتحًا بينما أطرح حجتي، فمن المفترض أنها ستصبح منطقيَّة قريبًا.

في ضوء التحديات التي أثيرت هنا، أتوقع أن يشعر القراء البيض بلحظات من الانزعاج عند قراءة هذا الكتاب. قد يكون هذا الشعور علامة على أنني

تمكنت من زعزعة الوضع العرقي الراهن، وهذا هو هدفي. الوضع العرقي الراهن مريح للبيض، ولن نتقدم في العلاقات العرقية إذا بقينا مرتاحين. مفتاح المضي قدمًا هو ما نفعله مع عدم ارتياحنا. يمكننا استخدامه كبابٍ للخروج، بإلقاء اللوم على الرسول وتجاهل الرسالة. أو يمكننا استخدامه كبوابة لطرح السؤال: لماذا يزعجني هذا؟ ماذا يعني ذلك بالنسبة إليَّ إذا كان صحيحًا؟ كيف تغير هذه العدسة فهمي للديناميكيات العرقية؟ كيف يمكن أن يساعدني القلق في الكشف عن الافتراضات غير المدروسة التي أحملها؟ هل من الممكن أن تكون هناك بعض الديناميكيات العرقية التي لا أستطيع رؤيتها لأنني أبيض؟ هل أنا على استعداد للنظر في هذا الاحتمال؟ إذا لم أكن راغبًا في ذلك، فلم لا؟

إذا كنت تقرأ ولا تزال تدافع عن سبب اختلافك عن البيض الآخرين ولماذا لا ينطبق عليك أيٌّ من هذا، فتوقف وخذ نفسًا. عد الآن إلى الأسئلة أعلاه، واستمر في التفكير من خلالها. لوضع حدٍّ للهشاشة البيضاء، نحتاج إلى بناء قدرتنا على تحمل ضيق أننا لا نعرف، ضيق الحيرة العرقية، ضيق التواضع العرقي. مهمتنا التالية هي أن نفهم كيف تواصل قوى التنشئة الاجتماعية العرقية عملها. العجز عن الاعتراف بهذه القوى يقود حتمًا إلى المقاومة وإلى اتخاذ مواقف الهشاشة البيضاء الدفاعية. لزيادة الجَلَد العرقي الذي يقاوم الهشاشة البيضاء، لا بد أن نفكر في هوياتنا ككلٍ، وهوية مجموعتنا العرقية على وجه الخصوص. بالنسبة للبيض، هذا يعني أولًا أن تكافح مع ما يعنيه أن تكون أبيض.

# الفصل الثاني: العنصرية والتفوُّق الأبيض

نشأ كثير منا على الاعتقاد بأن هناك اختلافات بيولوجية وجينية واضحة بين الأعراق. تفسر هذه البيولوجيا الاختلافات المرئية، مثل: لون الجلد، وطبيعة الشعر، وشكل العيون، والسمات التي نعتقد أننا نراها، مثل: الجنسانية، أو الرياضية، أو القدرات الحسابية. فكرة العِرق كبناء بيولوجي تسهِّل علينا تصديق أن العديد من الانقسامات التي نراها في المجتمع طبيعية. لكن العرق، مثله مثل الجندر، يجري بناؤه اجتماعيًّا. الاختلافات التي نراها بأعيننا -مثل: ملمس الشعر ولون العينين - سطحية وظهرت كتكيُّفات مع الجغرافيا[١]. تحت الجلد، لا يوجد عِرق بيولوجي حقيقي. الخصائص الخارجية التي نستخدمها لتعريف العِرق هي مؤشرات لا يُعتدُّ بها للتنوع الجيني بين أي شخصين[٢]. ومع ذلك، فإن الاعتقاد بأن العِرق والاختلافات المرتبطة به بيولوجية هو اعتقاد عميق الجذور. لتحدي الاعتقاد بالعِرق كبيولوجيا، نحتاج إلى فهم الاستثمارات الاجتماعية والاقتصادية التي دفعت العلم إلى تنظيم المجتمع وموارده على أسس عرقية ولماذا أصبحت هذه المنظومة صامدة ومستمرة.

**البناء الاجتماعي للعِرق في الولايات المتحدة**

كانت الحرية والمساواة -بغض النظر عن الدين أو الطبقة - أفكارًا راديكالية جديدة عندما تشكَّلت الولايات المتحدة. في الوقت نفسه، كان الاقتصاد الأميركي قائمًا على اختطاف الأفارقة واستعبادهم، وتهجير السكان الأصليين وإبادتهم الجماعية، وضم الأراضي المكسيكية. علاوة على ذلك، لم يتحرر المستعمرون الذين جاءوا بالثقافة التي تكيّفوا معها؛ فجلبوا معهم أنماط الهيمنة والخضوع[٣] المستدخلة عميقًا داخلهم. كان لا بد من احتواء التوتر بين أيديولوجيا المساواة النبيلة والواقع الوحشي للإبادة الجماعية والاستعباد والاستعمار. مثلما فعل توماس جيفرسون (الذي كان يمتلك هو نفسه مئات العبيد) وآخرون مثله اتجهوا إلى العلم بحثًا عن مبررات. اقترح جيفرسون أن هناك اختلافات طبيعية بين الأجناس وطلب من العلماء العثور عليها[٤]. فإذا تمكن العلم من إثبات أن السود بطبيعتهم أقل شأنًا (كان يرى أن السكان الأصليين يعانون من نقص ثقافي، وهو عيب يمكن علاجه)، فلن يكون هناك تناقض بين المثل العليا المعلنة لنا وممارساتنا الفعلية. وطبعًا كانت هناك مصالح اقتصادية ضخمة تبرّر الاستعباد والاستعمار. كان عِلم الأعراق مدفوعًا بهذه المصالح الاجتماعية والاقتصادية، وقد ظهر بهدف

تأسيس معايير ثقافية وأحكام قانونية شرَّعت العنصرية والمكانة ذات الامتيازات التي يحتلُّها أولئك الذين يُعرَّفون بأنهم بيض.

منطلقين من أعمال الأوروبيين قبلهم، بدأ العلماء الأميركيون في البحث عن تفسير للدونية التي يتصورونها عن المجموعات التي تنحدر من أصول ليست بيضاء. لتمثيل سطوة الأسئلة حول المعرفة التي أرادوا شرعنتها؛ لم يسأل هؤلاء العلماء: «هل السود (وغيرهم) عِرق أدنى؟» بل سألوا: «لماذا السود (وغيرهم) عِرق أدنى؟» في أقل من قرن، أصبح اقتراح جيفرسون للاختلاف العرقي «حقيقة» علمية مقبولة بالعموم[٥].

أُسست فكرة الدونية العرقية لتبرير اللامساواة والظلم في المعاملة؛ ولم يكن الإيمان بالدونية العرقية هو ما أدى إلى هذه المعاملة، ولا الخوف من الاختلاف. بل كما يقول تا-ناهيسي كوتس Ta-Nehisi Coates «لكن العِرق هو طفل العنصرية وليس أباها»[٦]. يعني أننا قمنا أولًا باستغلال الناس من أجل مواردهم، وليس وفقًا لشكلهم. جاء الاستغلال أولًا، ثم تبعته أيديولوجيا الأعراق غير المتكافئة لتبرير هذا الاستغلال. وبالمثل، يوضح المؤرخ إبرام كندي، في عمله الحائز على جائزة الكتاب الوطني «موسوم من البدء»[8]: «أنتج المستفيدون من العبودية والفصل والسجن الجماعي أفكارًا عنصرية تقول بأن أكثر ما يلائم السود وأكثر ما يستحقونه هو قيود العبودية أو الفصل العنصري أو زنزانة السجن. وأوهم مستهلكو هذه الأفكار العنصرية إلى الاعتقاد بأن هناك شيئًا خطأ في السود أنفسهم، وليس في السياسات التي استعبدت واضطهدت وقيدت الكثير منهم»[٧]. يكمل كندي بالقول إنه إذا كنا نعتقد حقًّا أن جميع البشر متساوون، فإن التفاوت في الظروف لا يمكن إلا أن يكون نتيجةً لتمييز ممنهج.

## تصوّر العرق

العِرق هو فكرة اجتماعية متطورة ابتُكرت لإضفاء الشرعية على اللامساواة العرقية وحماية امتيازات البيض. ظهر مصطلح «أبيض» لأول مرة في القانون الاستعماري في أواخر القرن السابع عشر. بحلول عام ١٧٩٠، طُلب من الناس إعلان عرقهم في التعداد السكاني، وبحلول عام ١٨٢٥، حددت الدرجات المتصورة للدم مَن سيُصنَّف على أنه هندي. من أواخر القرن التاسع عشر وحتى أوائل القرن العشرين، ومع دخول موجات المهاجرين إلى الولايات المتحدة، رُسِّخ مفهوم العِرق الأبيض وأصبح أكثر تكريسًا ومتانة[٨]. وحتى بعد أن أُلغيت العبودية في الولايات المتحدة في عام ١٨٦٥، ظلت أهمية البيض متجذرةً بعمق، حيث استمر الإقصاء العنصري الشرعي والعنف ضد الأميركيين من أصل إفريقي متخذًا أشكالًا جديدة. فللحصول على

المواطنة -متضمنة حقوق المواطنة الكاملة - لا بد أن تُصنَّف قانونيًّا كأبيض. بدأ المصنفون في فئات عرقية ليست بيضاء يتقدَّمون بالتماسات إلى المحاكم لإعادة تصنيفهم. الآن أصبحت المحاكم في وضع يمكِّنها من تحديد من هو أبيض ومن ليس كذلك. على سبيل المثال، ربح الأرمن قضيتهم ليتم إعادة تصنيفهم على أنهم من البيض بمساعدة شاهد متخصص ادَّعى أنهم من أصل «قوقازي» علميًّا. وفي عام ١٩٢٢، قضت المحكمة العليا بأن اليابانيين لا يمكن أن يكونوا من ذوي البشرة البيضاء قانونيًّا، لأنهم مصنفون علميًّا بوصفهم «منغوليين». بعد عام، قررت المحكمة أن الهنود الآسيويين ليسوا من ذوي البشرة البيضاء قانونيًّا، على الرغم من تصنيفهم علميًّا بال«قوقازيين». لتبرير هذه الأحكام المتناقضة، قررت المحكمة أن كونك أبيض يعتمد على الفهم المشترك للرجل الأبيض. بعبارة أخرى، الأشخاص الذين يُنظر إليهم بالفعل على أنهم من البيض، هم من يقررون من هو الأبيض[٩].

جرى الإعلاء من شأن المجاز الذي وصف الولايات المتحدة بأنها بوتقة الانصهار الكبرى، فيها يجتمع المهاجرون من جميع أنحاء العالم ويذوبون في مجتمع واحد متوحد من خلال عملية الاستيعاب. وبمجرد أن يتعلم المهاجرون الجدد اللغة الإنجليزية ويتأقلمون مع الثقافة والعادات الأميركية، يصبحون أميركيين. أمَّا في الواقع، فلم يُسمح إلا للمهاجرين الأوروبيين بالذوبان أو الاندماج في الثقافة السائدة في القرنين التاسع عشر والعشرين، فبغضِّ النظر عن هويات الأوروبيين العرقية، كان يُنظر إلى هؤلاء المهاجرين على أنهم من البيض وبالتالي فبمقدورهم الانتماء.

العِرق هو بناء اجتماعي، وبالتالي فمن يتقرر ضمه إلى فئة البيض أمر قابل للتغير بمرور الوقت. كما لاحظ الرجل الأميركي الإيطالي من ورشة العمل التي نظمتها، ففي الماضي أُقصيت المجموعات العرقية الأوروبية، مثل: الأيرلندية والإيطالية والبولندية. ولكن حتى في الأماكن التي جرى تقسيمهم فيها أساسًا بحسب بلادهم الأصلية، أصبح المهاجرون الأوروبيون متحدين عرقيًّا من خلال الاستيعاب[١٠]. عملية الاستيعاب[9] هذه -تتضمن التحدث بالإنجليزية، وتناول الأطعمة «الأميركية»، والتخلص من العادات التي تميِّزهم عن بعضهم - عززت التصوُّر بأن الأميركيين بيض. يلعب التعريف العرقي في المجتمع الأكبر دورًا أساسيًّا في تطوير الهوية، في الكيفية التي نرى بها أنفسنا.

إذا «بدونا بيضًا»، فإننا نعامل كبيض في المجتمع الأكبر. على سبيل المثال، من المحتمل أن يكون لدى الأشخاص من أصل جنوب أوروبي، مثل: الإسبان، أو البرتغاليين، أو أولئك الذين أتوا من الاتحاد السوفييتي السابق

-خاصةً إذا كانوا مهاجرين جددًا أو نشؤوا على يد مهاجرين - إحساس أقوى بهويتهم الإثنية من شخص من نفس العِرق والجذور ولكن أسلافه جاءوا إلى هنا منذ أجيال. ربما تكون هويتهم الداخلية ليست بيضاء، ولكنهم إذا «مرُّوا» على أنهم بيض، فستكون خبرتهم الخارجية بيضاء. إذا كانوا يبدون بيضًا، فسيكون الافتراض التلقائي أنهم بيض وبالتالي سيتم التفاعل معهم باعتبارهم كذلك. التناقض بين هويتهم العرقية الداخلية (البرتغالية والإسبانية مثلًا) والتجربة العرقية الخارجية (البيضاء) من شأنه أن يوفر لديهم إحساسًا أكثر تعقيدًا أو تباينًا للهوية من شخص ليس لديه هوية إثنية قوية. ومع ذلك، فما زالوا يُمنحون مكانة البيض والمزايا التي تأتي مع هذه المكانة. اليوم، ومع أن هذه المزايا هي بحكم الواقع وليست بحكم القانون، فإنها قوية في تشكيل حياتنا اليومية. على كل منَّا، ممن يمرون باعتبارهم بيضًا، تحديد الطرق التي تشكَّلنا بها هذه المزايا، وليس أن ننكرها جملةً وتفصيلًا.

لأن العِرق نتاج قوى اجتماعية، فقد أظهر نفسه أيضًا على طول الحدود الطبقية، فلم يُنظر دائمًا إلى الفقراء والطبقة العاملة على أنهم بيض بالكامل[١١]. في مجتمع يمنح فرصًا أقل لأولئك الذين لا يُنظر إليهم على أنهم بيض، لا تنفصل القوى الاقتصادية والعرقية. ومع ذلك، مُنح البيض الفقراء والطبقة العاملة في النهاية الدخول الكامل إلى البياض كوسيلة لاستغلال العمَّال. إذا ركَّز البيض الفقراء في الشعور بأنهم متفوقون على مَن هم دونهم في المكانة (الملونين)، فسيكونون أقل تركيزًا في من هم فوقهم. لو اتحد الفقراء والطبقات العاملة، متجاوزين العرق، فيمكنهم أن يكونوا قوة جبارة. لكن الانقسامات العرقية عملت على منعهم من تنظيم أنفسهم ضد الطبقة المالكة التي تستفيد من عملهم[١٢]. وعلى الرغم من أن البيض من الطبقة العاملة يعانون من الطبقية، فإنهم لا يعانون أيضًا من العنصرية. لقد نشأتُ في بيئة فقيرة وشعرت بإحساس عميق بالخزي لكوني فقيرة. لكنني عرفت دائمًا أنني بيضاء أيضًا، وأن من الأفضل أن أكون بيضاء.

العنصرية لفهم العنصرية نحتاج أولًا إلى تمييزها عن مجرد التحامل والتمييز. التحامل هو حكم مسبق على شخص آخر بناءً على الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها. يتكوَّن ذلك التحامل من الأفكار والمشاعر، بما في ذلك الصور النمطية والمواقف والتعميمات التي تستند إلى خبرة قليلة أو معدومة، ومن ثم يتم إسقاطها على كل فرد من تلك المجموعة. تميل تحاملاتنا العرقية إلى أن تكون مشتركة لأننا نسبح في المياه الثقافية نفسها ونتشرَّب الرسائل نفسها.

كل البشر لديهم تحامل ما، لا يمكننا تجنب الأمر. إذا كنتُ على علم بوجود مجموعة اجتماعية، فهذا يعني أنني اكتسبت معلومات عن تلك المجموعة من المجتمع من حولي. تساعدني هذه المعلومات في فهم المجموعة من خلال

أطَري الثقافية. الأشخاص الذين يزعمون أن ليس لديهم أي تحامل كان يكشفون عن نقص عميق في إدراك الذات. ومن المفارقات، أنهم يُظهرون أيضًا قوة التنشئة الاجتماعية - لقد تعلمنا جميعًا في المدارس، من خلال الأفلام، ومن أفراد الأسرة والمعلمين ورجال الدين أن من المهم ألا نملك تحاملًا. لسوء الحظ، فإن الاعتقاد الغالب بأن امتلاك تحامل ما هو أمرٌ سيئ يدفعنا إلى إنكار واقعه ووجوده الذي لا مفر منه.

إن في فهم تحاملنا أساسًا لفهم الهشاشة البيضاء، إذ أن مجرد الإيحاء بأن لدى الناس البيض تحاملًا عرقيًا أشبه بالقول إننا أناس سيئون ولا بدّ من أن نشعر بالعار. من ثمّ، نحسّ بالحاجة إلى الدفاع عن شخصيتنا بدلًا من استكشاف تحاملاتنا العرقية والحتمية التي تشربناها لنتمكن من تغييرها. على هذا النحو، فإن سوء فهمنا لماهية وحقيقة تحاملنا يحمينا.

التمييز هو فعل يقوم على التحامل. وتشمل هذه الأفعال التجاهل والإقصاء والتهديد والسخرية والافتراء والعنف. فإذا كانت الكراهية مثلًا هي المشاعر التي تتكون بسبب تحاملنا، فقد يتبع ذلك أعمال تمييزٍ شديدةٍ، مثل العنف. هذه الأشكال من التمييز واضحة بشكل عام ويمكن التعرُّف عليها. ولكن إذا كان ما نشعر به هو شعور خفيف، مثل الانزعاج، فمن المحتمل أيضًا أن يكون التمييز خفيفًا وغير واضح أيضًا، بل إن من الصعب التقاطه. يمكن لمعظمنا أن يعترف بشعوره بشيء من عدم الارتياح حول مجموعات معينة من الناس، فقط إذا كان هناك شعور متزايد بالوعي بالذات. لكن هذا الشعور لا يأتي بشكل طبيعي. يأتي عدم ارتياحنا هذا من عيشنا بعيدًا عن مجموعة من الأشخاص بينما نحن نتشرَّب في الوقت نفسه معلومات منقوصة أو خاطئة عنهم. عندما يدفعني تحاملي إلى التصرف بشكل مختلف -أشعر بأنني أقل استرخاءً حين أكون حولك أو أتجنب التفاعل معك - فأنا الآن أقوم بالتمييز. يظهر امتلاك تصورات مسبقة دائمًا في الأفعال لأن الطريقة التي أرى بها العالم تقود أفعالي فيه. لكل شخص تحاملاته والجميع يميز. بالنظر إلى هذا الواقع، لا يمكن القول إن العكس صحيح هنا.

عندما يكون التحامل الجمعي لمجموعة عرقية مدعومة بسلطة القانون والتحكم المؤسسي، فإنه يتحوَّل إلى عنصرية، وهو نظام بعيد المدى يعمل بمعزلٍ عن النوايا أو الصور الذاتية للفاعلين الفرديين. تشرح جي. كاهايلاني كاونوي، أستاذة الدراسات والأنثروبولوجيا الأميركية في جامعة ويسليان «العنصرية بنية، ليست حادثة»[١٣]. يوضح نضال النساء الأميركيات من أجل حق الاقتراع كيف تحوّل السلطة المؤسسية التحامل والتمييز إلى بُنًى للقمع. كل شخص لديه تحامل ما ويميِّز، لكن هياكل الاضطهاد تتجاوز الأفراد. في حين يمكن للنساء أن يتحاملن ويميزن ضد الرجال في التفاعلات الفردية بينهم، لا يمكن للنساء كمجموعةٍ أن تحرم الرجال من حقوقهم المدنية. لكن

الرجال كمجموعةٍ يمكنهم أن يحرموا المرأة من حقوقها المدنية. يمكن للرجال القيام بذلك لأنهم يسيطرون على جميع المؤسسات. لذلك، فإن الطريقة الوحيدة التي يمكن للمرأة من خلالها الحصول على حق الاقتراع هي أن يمنحها الرجال لها؛ لا تستطيع النساء منح حق الاقتراع لأنفسهن.

وبالمثل، فإن العنصرية -مثل التمييز الجنسي sexism وأشكال القمع الأخرى - تحدث عندما يكون تعصب مجموعة عرقية مدعومًا بالسلطة القانونية والتحكم المؤسسي. تحوِّل هذه السلطة والسيطرة التحامل الفردي إلى نظام بعيد المدى لم يعد يعتمد على النوايا الحسنة للأفراد الفاعلين؛ يصبح هذا التحامل طبيعةً للمجتمع يُعاد إنتاجها تلقائيًّا. العنصرية نظام. وسأكون مقصرةً إذا لم أعترف بالتقاطع بين العِرق والجندر في مثال الاقتراع؛ منح الرجال البيض حق الاقتراع للمرأة، لكنهم منحوا حق الاقتراع الكامل للنساء البيض فقط. حُرمت النساء ذوات البشرة الملونة من الحصول على قانون حقوق التصويت كاملة حتى عام ١٩٦٤.

يبدأ نظام العنصرية بالأيديولوجيا التي تشير إلى الأفكار الكبيرة التي يجري تعزيزها في المجتمع برمته. منذ الولادة، نحن مشروطون بقبول هذه الأفكار وعدم مساءلتها أو التشكيك فيها. يتم تمكين الأيديولوجيا من المجتمع وتعزيزها داخله، في المدارس والكتب المدرسية والخطب السياسية والأفلام والإعلانات واحتفالات الأعياد والكلمات والعبارات. تُعزَّز هذه الأفكار أيضًا من خلال العقوبات الاجتماعية التي يتعرض لها شخص يشكك في الأيديولوجيا، ومن خلال محدودية الأفكار البديلة عنها. الأيديولوجيات هي الأطر التي نتعلم من خلالها تمثيل وتفسير وفهم وإدراك معنى الوجود الاجتماعي[١٤]. وبالنظر إلى التعزيز المستمر لهذه الأفكار، فمن الصعب جدًّا تجنب تصديقها وتسربها إلى أعماقنا. تشمل أمثلة الأيديولوجيا في الولايات المتحدة؛ الفردانية، وتفوق الرأسمالية كنظام اقتصادي، والديمقراطية كنظام سياسي، والنزعة الاستهلاكية كنمط مرغوب للعيش، وحكم الجدارة (يمكن لأيٍّ كان أن ينجح إذا كان يعمل أو كانت تعمل بجد).

الأيديولوجيا العنصرية التي تسود الولايات المتحدة تسبغ العقلانية والمنطق على التسلسل الهرمي العرقي بوصفه نتيجةً لنظامٍ طبيعي منتَجٍ إما عن الجينات وإما عن الجهد الفردي وإما عن الموهبة. أولئك الذين لا ينجحون فذلك لأنهم عاجزون إما لسبب طبيعي أو لأنهم لا يستحقون أو لا يعملون بجد. ربما تكون الأيديولوجيات التي تحجب العنصرية كنظام من اللامساواة أعتى القوى العرقية، فنحن بمجرد قبولنا لمواقعنا داخل التسلسلات الهرمية العرقية، تبدو هذه المواقع طبيعية ويصعب التشكيك فيها، حتى عندما تكون سببًا في حرماناتنا. لذلك، لا بد من ممارسة القليل من الضغط الخارجي

لإبقاء الناس في أماكنهم؛ وما أن يتم استدخال وتشرّب تبريرات غياب المساواة حتى يقوم كلا الجانبين بدعم العلاقة.

العنصرية متأصلة بعمق في نسيج مجتمعنا. وهي ليست مقتصرة على فعل واحد أو شخص واحد. كما أنها لا تتحرك ذهابًا وإيابًا، ففي يوم من الأيام يستفيد منها البيض ويوم آخر (أو ربما عصر آخر) تعود بالفائدة على الملونين. إن اتجاه القوة بين البيض والملونين هو اتجاهٌ تاريخي وتقليدي وجرى تطبيعه في الأيديولوجيا. تختلف العنصرية عن التحامل العرقي الفردي والتمييز العرقي في التراكم التاريخي والاستخدام المستمر للنفوذ والسلطة المؤسسية لدعم التحامل وفرض السلوكات التمييزية بشكل منهجي مع آثار بعيدة المدى.

قد يحمل ذوو البشرة الملونة أيضًا تحاملاتهم ويميزون ضد البيض، لكنهم يفتقرون إلى القوة الاجتماعية والمؤسسية التي تحوِّل تحاملاتهم وتمييزهم إلى عنصرية؛ تأثير تحاملهم مؤقت في البيض ومتعلق بسياقٍ ما. يعتمد البيض على المناصب الاجتماعية والمؤسسية في المجتمع لبثِّ تحاملاتهم العرقية في القوانين والسياسات والممارسات وقواعد المجتمع على نحوٍ لا يفعله الملونون. قد يرفض شخص ملون خدمتي إذا دخلت متجرًا، لكن لا يمكن للملونين إصدار تشريعات تمنعني أنا وكل من هم مثلي من شراء منزل في حيٍّ معين.

ربما يحمل الملونون تحاملاتهم فعلًا ويميزون ضد أبناء عرقهم أو ضد مجموعة أخرى من ذوي البشرة الملونة، لكن هذا الانحياز في النهاية يُثْبط، وبهذه الطريقة يعزَّز نظام العنصرية الذي لا يزال يصبُّ في مصلحة البيض. العنصرية قوة محركة على مستوى المجتمع الكبير تحدث على مستوى المجموعة. عندما أقول إن البيض فقط هم من يمكن أن يكونوا عنصريين، فأنا أعني أنه في الولايات المتحدة، يتمتع البيض فقط بالسلطة الاجتماعية والمؤسسية الجماعية والامتياز على الملونين. لا يتمتع الملونون بهذه القوة والامتياز على البيض.

يرى كثير من البيض أن العنصرية أصبحت شيئًا من الماضي، وبالطبع فإننا نسدي إلى أنفسنا خدمة كبيرة في ألا نعترف بها في الوقت الحاضر. ومع ذلك، فلا يزال التفاوت العرقي بين البيض والملونين موجودًا في كل مؤسسة عبر المجتمع، وفي كثير من الحالات يزيد بدلًا من أن ينقص. على الرغم من أن الفصل العرقي يجعل من الصعب على البيض رؤية العنصرية ورفضها، فإن الفوارق العرقية وتأثيراتها في نوعية الحياة جرى توثيقها كليًّا وعلى نطاق واسع من قبل مجموعة واسعة من الجهات. من بين أولئك الذين وثّقوا هذه التحديات مكتب الإحصاء الأميركي، والأمم المتحدة، والمجموعات الأكاديمية،

مثل: مشروع الحقوق المدنية بجامعة كاليفورنيا، ومشروع متروبوليس، والمنظمات غير الربحية، مثل: الرابطة الوطنية لتقدم الملونين NAACP ورابطة مكافحة التشهير[١٥].

تستخدم المفكرة مارلين فراي استعارة قفص العصافير لوصف قوى الاضطهاد المتشابكة[١٦]. إذا وقفتَ بالقرب من قفص العصافير وضغطتَ وجهك على الأسلاك المحيطة بها، فسوف يختفي إدراكك للقضبان وسيكون لديك رؤية لا يعوقها شيء تقريبًا للطائر. إذا أدرت رأسك لتتفحص سلكًا واحدًا من أسلاك القفص عن كثب، فلن تتمكن من رؤية الأسلاك الأخرى. إذا كان فهمك للقفص مبنيًّا على وجهة النظر المحدودة هذه، فقد لا تفهم لماذا لا يلتف الطائر حول السلك الوحيد ويطير بعيدًا. بل إنك قد تفترض أن الطائر أحبَّ مكانه في القفص أو اختاره.

لكن إذا تراجعت إلى الوراء وأخذت نظرة أوسع، فسترى كيف تتجمع الأسلاك في نمط متشابك - وهو نمط يعمل على تثبيت الطائر في مكانه بإحكام. أصبح من الواضح الآن أن شبكة من الحواجز المرتبطة بشكل ممنهج تحيط بالطائر. إذا تأملناها فرادى، فلن يكون من الصعب على طائرٍ منها الالتفاف على أيٍّ من هذه الحواجز، ولكن نظرًا إلى أنها تتشابك بعضها مع بعض، فإنها تقيِّد الطائر تمامًا. بعض الطيور قد تهرب من القفص، لكن معظمها لن يفعل. بلا شك سيتعين على أولئك الذين يهربون اجتياز العديد من الحواجز التي لا تعرفها تلك الطيور خارج القفص.

تساعدنا استعارة قفص العصافير في فهم سبب صعوبة رؤية العنصرية والتعرُّف عليها: لدينا رؤية محدودة. بدون إدراك كيف يحدد موقعنا من الطائر مقدار ما يمكننا رؤيته من القفص، فإننا نعتمد على المواقف الفردية والاستثناءات والأدلة الحكائية لفهمنا، بدلًا من الاعتماد على أنماط أوسع وأكثر تشابكًا. على الرغم من وجود استثناءات دائمًا، فإن الأنماط متسقة وموثقة جيدًا: الملونون مقيدون ومشكَّلون بقوًى وحواجز لم تتكون بالصدفة، وليست عرضية، ولا يمكن تجنبها. ترتبط هذه القوى بشكل منهجي بعضها ببعض على نحوٍ يقيِّد حركتهم.

قد يكون البيض «ضد» العنصرية، لكنهم ما زالوا يستفيدون من نظام يميز البيض كمجموعة. يلخص ديفيد ويلمان العنصرية بإيجاز على أنها «نظام امتياز قائم على العرق»[١٧]. يشار إلى هذه المزايا باسم الامتياز الأبيض white privilege، وهو مفهوم اجتماعي يشير إلى المزايا المكفولة لذوي البشرة البيضاء والتي لا يمكن لذوي البشرة الملونة التمتع بها بالمثل وفي السياق نفسه (الحكومة، المجتمع، مكان العمل، المدارس، إلخ)[١٨]. لكن لكي أكون واضحة، فإن القول بأن العنصرية تميِّز البيض لا يعني أن الأفراد البيض لا

يكافحون أو يواجهون حواجز. هذا يعني أننا لا نواجه الحواجز المحددة المتعلقة بالعنصرية.

كما هو الحال مع التحامل والتمييز، لا يمكن القول بأن العكس صحيح عند مناقشة العنصرية. بحكم التعريف، العنصرية هي نظام تاريخي متجذر بعمق في السلطة المؤسسية. إنها ليست سائلة ولا تغير الاتجاه لمجرد أن عددًا قليلًا من الأفراد الملونين يتمكنون من التفوُّق.

البياض بوصفه موضع المكانة يحمل النظر إلى شخص على أنه أبيض أكثر من مجرد تصنيف عرقي؛ إنه مكانة اجتماعية ومؤسسية وهوية مشبعة بحقوق وامتيازات قانونية وسياسية واقتصادية واجتماعية يُحرَم منها آخرون. بالتفكير في المزايا الاجتماعية والاقتصادية لتصنيف شخص ما بالبياض، صاغت الباحثة المتخصصة في نقد العِرق شيريل هاريس عبارة «البياض كملكية» whiteness as property، متتبعة تطور مفهوم البياض عبر التاريخ القانوني. توضح هاريس[10]:

من خلال اعتبار البياض وضعًا قانونيًّا فعليًّا، تم تحويل جانب من الهوية إلى شيء خارجي قابل للملكية، ونقل البياض من هوية ذات امتيازات إلى مصلحة مكتسبة. بنية البياض كما وضعها القانون تحدد وتؤكد الجوانب الحساسة من الهوية (من هو الأبيض)؛ ومن الامتياز (ما هي الفوائد التي تعود على هذه المكانة)؛ والملكية (ما هي الاستحقاقات القانونية الناشئة عن هذه المكانة). يدلُّ البياض في أوقات مختلفة على الهوية والمكانة والملكية، كما يجري تقديمه بالمعاني الثلاثة نفسها، كل واحدة على حِدة أحيانًا، ومجتمعة أحيانًا أخرى[١٩].

يفيدنا تحليل هاريس في أنه يوضح كيف يمكن للهوية وتصورات الهوية أن تمنح الموارد أو تمنعها. وتشمل هذه الموارد قيمة الذات، والتوقعات الإيجابية، والتحرر النفسي من قيد العرق، وحرية الحركة، والشعور بالانتماء، والشعور بالاستحقاق لكل ما سبق.

قد نفكر في البياض على أنه جميع جوانب أن يكون المرء أبيض - الجوانب التي تتجاوز مجرد الاختلافات الجسدية وترتبط بالمعنى والمزايا المادية لتعريفك على أنك أبيض في المجتمع: ما يتم منحه وكيف يُمنح بناءً على هذا المعنى. بدلًا من التركيز المعتاد في كيفية إيذاء العنصرية لذوي البشرة الملونة، فإن تفحص البياض يعني التركيز في كيف تعلِي العنصرية من شأن البيض.

يقوم البياض على فرضية أساسية: تعريف البيض باعتبارهم معيارًا أو مقياسًا للإنسان، واعتبار الملونين انحرافًا عن هذا المعيار. البياض ليس

معترفًا به من قبل البيض، ويُفترض أن تكون النقطة المرجعية البيضاء شاملة وتُفرض على الجميع. يجد الأشخاص البيض صعوبة بالغة في التفكير في البياض كحالة معينة من الوجود قد يكون لها تأثير في حياة المرء وتصوراته.

منذ عقود إن لم يكن منذ قرون، والكتَّاب الملونون، مثل: ويليام إدوارد دو بوا وجيمس بالدوين، يكتبون عن العِرق الأبيض. حثَّ هؤلاء البيض على تحويل انتباههم إلى أنفسهم لاستكشاف ما يعنيه أن تكون أبيض في مجتمع مقسَّم بقوة على أساس العرق. على سبيل المثال، في عام ١٩٤٦، سأل مراسل فرنسي الكاتب ريتشارد رايت أثناء ترحاله عن كيف يفكر في «مشكلة الزنوج» في الولايات المتحدة. أجاب رايت: «ليس هناك أي مشكلة متعلقة بالزنوج؛ هناك مشكلة بيضاء فقط»[٢٠].

كما أشار رايت، فإن العنصرية ضد الملونين لا تحدث من فراغ. ومع ذلك، يجري تعزيز فكرة أن العنصرية في الولايات المتحدة يمكن أن تكون فاعلة بعيدًا عن البيض من خلال الاحتفالات مثل الاحتفال بـ«شهر تاريخ السود»، حيث ندرس الحرب الأهلية وعصر الحقوق المدنية كما لو كانا منفصلين عن تاريخ الولايات المتحدة برمته. بالإضافة إلى الطريقة العامة التي تقوم بها هذه الاحتفالات، التي تقام على أساس اللون، بإخراج البيض من المعادلة، هناك طرق بعينها تُفصل بها إنجازات الأشخاص ذوي البشرة الملونة عن السياق الاجتماعي العام وتنزع عنها السياسة، نجد مثالًا على ذلك في القصص التي نرويها عن أبطال الثقافة السوداء.

قصة جاكي روبنسون هي مثال كلاسيكي على الكيفية التي يحجب البياض بها العنصرية عن طريق جعل البيض، وامتيازات البيض، والمؤسسات العنصرية غير مرئية. غالبًا ما يتم الاحتفال بروبنسون باعتباره أول أميركي من أصل إفريقي يكسر حاجز اللون ويلعب في دوري البيسبول الرئيسي. بينما كان روبنسون بالتأكيد لاعب بيسبول رائع، فإن هذه القصة تصوره على أنه مميزٌ من الناحية العرقية، رجلٌ أسود اخترق حاجز اللون بنفسه. المعنى الضمني هو أن روبنسون كان لديه أخيرًا ما يلزم للعب مع البيض، كما لو أنه لم يكن هناك قبله رياضي أسود قويٌّ بما يكفي للمنافسة على هذا المستوى. لنتخيل لو عوضًا عن القصة المتناقلة سارت القصة على النحو التالي: «جاكي روبنسون، أول رجل أسود أبيض سمح له البيض بلعب دوري البيسبول الرئيسي». تقدم هذه النسخة تمييزًا حاسمًا، فبغض النظر عن مدى روعة اللاعب روبنسون، لم يكن يمكنه اللعب في البطولات الكبرى لو لم يسمح له البيض -الذين يسيطرون على المؤسسة - ببساطة. لو كان مشى إلى الملعب قبل أن يأذن له المالكون البيض وصانعو السياسات، لأخذه البوليس.

تحجب روايات الاستثناء العرقي حقيقة السيطرة المؤسسية المستمرة للبيض بينما تعزز أيديولوجيات الفردانية وحكم الجدارة. كما أنها روايات لا تخدم البيض بحجبها الحلفاء البيض الذين جهدوا وراء الكواليس بجد ولفترة طويلة ليفتحوا المجال للاعبين الأميركيين الأفارقة. يمكن أن يخدم هؤلاء الحلفاء كنماذج يُحتذى بها للبيض الآخرين (على الرغم من أننا بحاجة إلى الاعتراف بوجود حافز اقتصادي لهؤلاء الحلفاء في حال ألغي فصل البيض والسود في لعبة البيسبول).

لستُ ضد شهر تاريخ السود. لكن لا ينبغي الاحتفال به بطريقة تعاضد البياض. بالنسبة إلى أولئك الذين يسألون لماذا لا يوجد شهر تاريخ أبيض، فإن الإجابة تكشف كيف يعمل البياض. يتجلى التاريخ الأبيض في غياب الاعتراف به؛ فالتاريخ الأبيض هو المعيار للتاريخ. وبالتالي، فإن حاجتنا إلى الحديث عن تاريخ السود أو تاريخ المرأة تشير إلى أن هذه المساهمات تقع خارج العرف.

الباحثة البيضاء الأولى في مجال دراسات البياض، روث فرانكنبرج، تصف البياض بأنه متعدد الأبعاد. وتشمل هذه الأبعاد موقعًا لامتيازٍ هيكلي، وزاوية نظر ننظر منها، نحن البيض، إلى أنفسنا، وإلى الآخرين، وإلى المجتمع، ومجموعة من الممارسات الثقافية التي لم تجرِ تسميتها أو الاعتراف بها[٢١]. إن القول بأن البياض موقع لامتيازٍ هيكلي هو الاعتراف بأنه كونك أبيض يعني أنك في وضع متميز داخل المجتمع ومؤسساته، أن يُنظر إليك على أنك من صُلب هذا المجتمع وأن تُمنح مزايا الانتماء. يكافئك هذا الموقع تلقائيًّا بمزايا غير مكتسبة. يسيطر البيض على جميع المؤسسات الرئيسية في المجتمع، ويضعون السياسات والممارسات التي يتحتم على الآخرين العيش وفقًا لها. رغم ندرتهم، قد يدخل بعض الأشخاص من ذوي البشرة الملونة دوائر السلطة -كولين باول، وكلارنس توماس، وماركو روبيو، وباراك أوباما - لكنهم يدعمون الوضع الراهن ولا يتحدون العنصرية بأي شكل مؤثر بما يكفي لتهديدها. لا تعني مناصبهم في السلطة أن هذه الشخصيات العامة لا تعاني من العنصرية (تحمَّل أوباما إهانات ومقاومة لوجوده لم يُسمَع بها من قبل)، لكن الوضع الراهن لا يزال قائمًا لا يمس به أحد.

إن القول بأن البياض هو زاوية نظر يعني أن جانبًا مهمًّا من الهوية البيضاء هو رؤية المرء لنفسه كفرد، خارج العِرق أو بريئًا من العِرق - «مجرد إنسان». زاوية النظر هذه تعتبر البيض ومصالحهم مركزية وممثلة للإنسانية. ينتج البيض السرديات السائدة في المجتمع ويعززونها أيضًا -مثل الفردانية وحكم الجدارة - ويستخدمون هذه الروايات لشرح مواقف الجماعات العرقية الأخرى. تتيح لنا هذه الروايات تهنئة أنفسنا على نجاحنا داخل مؤسسات المجتمع وإلقاء اللوم على الآخرين لعدم نجاحهم.

إن القول بأن البياض يتضمن مجموعة من الممارسات الثقافية التي لا يعترف بها البيض أنفسهم هو فهم العنصرية باعتبارها شبكة من المعايير والأفعال التي تخلق باستمرار فرصًا وامتيازًا للبيض وحرمانًا لذوي البشرة الملونة. تتضمن هذه المعايير والأفعال الحقوق الأساسية وافتراض حسن النيَّة، حقوقٌ يُزعم أنها مُنحت للجميع ولكن منحها في الواقع يقتصر باستمرار على البيض. أما أبعاد العنصرية التي تفيد البيض فعادة ما تكون غير مرئية لهم. نحن لا ندرك معنى العِرق وتأثيره في حياتنا أو أننا لا نعترف به. وبالتالي فإننا لا ندرك ولا نعترف بامتياز البيض والمعايير التي تنتجه وتحافظ عليه. بناء على ذلك، تكون تسمية البياض، ناهيك عن الإشارة إلى أن له معنًى وأنه يمنح ميزة غير مكتسبة، مقلقة جدًّا ومزعزعة للاستقرار، ومستفزة لردود الفعل الوقائية للهشاشة البيضاء.

**تفوُّق البيض**

عندما ننظر إلى الوراء، إلى حركة الحقوق المدنية في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، قد نفكر في أنصار التفوق الأبيض، مثل: الأشخاص الذين رأيناهم في الصور وعلى شاشات التلفزيون يضربون السود على كاونترات الغداء، ويفجرون الكنائس السوداء، ويصرخون في روبي بريدجز الصغيرة، أول طفلة أميركية من أصل إفريقي تُدمج في مدرسة ابتدائية بيضاء في لويزيانا في عام ١٩٦٠. قد نفكر اليوم في القوميين البيض الذين يصفون أنفسهم ب«اليمين المتطرف» وهم يسيرون بالمشاعل في فرجينيا بينما يهتفون «الدم والأرض»[11] محتجِّين على إزالة النصب التذكارية للحرب الكونفدرالية. معظم البيض لا يتعاطفون مع هذه الصور التي تصور المتعصبين البيض، ولذا فإنهم يشعرون بامتعاض شديد من المصطلح الذي يتم استخدامه على نطاق أوسع. مع ذلك، فبالنسبة إلى علماء الاجتماع وأولئك المنخرطين في حركات العدالة العرقية الحالية، فإن التفوق الأبيض هو مصطلح وصفي ومفيد لالتقاط المركزية الشاملة والتفوق المفترض للأشخاص الذين جرى تعريفهم على أنهم من البيض والممارسات القائمة على هذا الافتراض. التفوق الأبيض في هذا السياق لا يشير إلى الأفراد البيض ونواياهم أو أفعالهم الفردية، ولكن إلى نظام هيمنة سياسي واقتصادي واجتماعي شامل. مرة أخرى، العنصرية بُنية وليست حادثة. في حين أن مجموعات الكراهية التي تعلن التفوق الأبيض صراحةً موجودة بالفعل ويشير هذا المصطلح إليها أيضًا، فالوعي الشعبي يربط التفوق الأبيض فقط بهذه الجماعات المتطرفة. هذا التعريف الاختزالي يحجب حقيقة النظام الأكبر الفاعل ويمنعنا من معالجة هذا النظام. بينما توجد العنصرية في الثقافات الأخرى بناءً على أفكار مختلفة تتفوق فيها مجموعة عرقية على أخرى، فإن

الولايات المتحدة قوة عالمية، ومن خلال الأفلام ووسائل الإعلام وثقافة الشركات والإعلانات، والمصانع المملوكة للولايات المتحدة، والوجود العسكري، والعلاقات الاستعمارية التاريخية، والعمل التبشيري وغيرها من الوسائل، يُتداول التفوق الأبيض على مستوى العالم. هذه الأيديولوجيا القوية تروِّج لفكرة البياض باعتباره المثل الأعلى للإنسانية إلى ما هو أبعد من الغرب. التفوق الأبيض مرتبط بالبلدان التي لديها تاريخ من الكولونيالية مع الأمم الغربية.

في كتابه العقد العرقي، يجادل تشارلز دبليو. ميلز[12] بأن العقد العرقي هو اتفاق ضمني وصريح في بعض الأحيان بين أعضاء شعوب أوروبا لتأكيد وتثبيت مثال تفوق البيض بالمقارنة مع شعوب العالم. هذه الاتفاقية خاصية مقصودة لا تتجزأ من العقد الاجتماعي، وتكفل للجميع عقودًا اجتماعيةً أخرى. لقد شكّل التفوق الأبيض نظامًا للهيمنة الأوروبية العالمية: فهو يجلب إلى الوجود البيض وغير البيض، والشخص الكامل full person والشخص الناقص subpersons[13]. إنه نظام يؤثر في النظرية الأخلاقية للبيض وعلم النفس الأخلاقي، ويُفرض على غير البيض من خلال التكييف الأيديولوجي والعنف. يقول ميلز إن «ما اعتُبِر عادة «الاستثناء» العنصري كان في حقيقة الأمر القاعدة؛ ما اعتُبِر «قاعدة» [المساواة العرقية] كان في الحقيقة الاستثناء»[٢٢].

يصف ميلز التفوق الأبيض بأنه «النظام السياسي غير المسمى الذي جعل العالم الحديث على ما هو عليه اليوم»[٢٣]. ويشير إلى أنه على الرغم من أنه شكَّل الفكر السياسي الغربي لمئات السنين، لم تجرِ تسميته مطلقًا. وبهذه الطريقة، يصبح التفوُّق الأبيض لامرئيًّا بينما يتم تعريف ودراسة الأنظمة السياسية الأخرى؛ الاشتراكية والرأسمالية والفاشية. في الواقع، إن الكثير من قوة التفوق الأبيض مستمدة من خفائه، من الجوانب المسلَّم بها التي تضمن جميع العقود السياسية والاجتماعية الأخرى.

يشير ميلز إلى نقطتين مهمتين لفهمنا للهشاشة البيضاء. أولًا، لا يتم الاعتراف مطلقًا بالتفوق الأبيض. ثانيًا، لا يمكننا دراسة أي نظام اجتماعي سياسي دون التعامل مع الطريقة التي يقوم بها العِرق بتمرير هذا النظام. إن عدم الاعتراف بالتفوق الأبيض يحميه من أن تتم دراسته وتفحصه ويحافظ عليه.

في مقاله، «قضية التعويضات»[14] يشير تا-ناهيسي كوتس إلى نقطه مماثلة:

إن تجاهل حقيقة أن واحدة من أقدم الجمهوريات في العالم قد شيدت على أساس التفوق الأبيض، والتظاهر بأن مشاكل المجتمع المزدوج هي نفسها مشاكل الرأسمالية غير المنظمة، ليس إلا تغطية خطيئة النهب القومي بخطيئة الكذب القومي. تتجاهل الكذبة حقيقة أن الحدَّ من الفقر الأميركي وإنهاء التفوق الأبيض ليسا أمرين متشابهين... التفوق الأبيض ليس صنيع ديماغوجيين متعصبين، أو مسألة وعي زائف وحسب، ولكنه قوة جوهرية ومؤسِّسة لأميركا بحيث يصعب تخيل الدولة بدونها[٢٤].

في ضوء واقع التفوق التاريخي والمستمر للبيض، فإن شكاوى البيض من العنصرية «العكسية» من خلال البرامج التي تهدف إلى التخفيف من أبسط مستويات التمييز هي شكاوى تافهة ووهمية إلى حد كبير، كما يلخص ميلز:

على الصعيدين العالمي وداخل دول قومية معينة، يستمر البيض والأوروبيون وأحفادهم في الاستفادة من العقد العرقي، الذي يخلق عالمًا في صورتهم الثقافية، والدول السياسية تفضل مصالحهم، اقتصاد مبني على الاستغلال العرقي وسيكولوجيا أخلاقية (...) تنحرف بوعي أو بغير وعي نحو تمييزهم، معتبرين أن الوضع الراهن المتمثل في الاختلاف في الاستحقاق العرقي مشروع معياريًّا، ولن يخضع للتحقيق أيضًا[٢٥].

يستخدم باحثو الدراسات الإثنية مصطلح التفوق الأبيض لوصف النظام الاقتصادي الاجتماعي والسياسي للهيمنة على أساس الفئات العرقية، والذي يفيد أولئك الذين يُعرَّفون ويُنظر إليهم على أنهم من البيض. يميِّز نظام القوة الهيكلية هذا، ويمركز، ويرفع البيض كمجموعة. إذا نظرنا، على سبيل المثال، إلى المقياس العرقي للأشخاص الذين يسيطرون على مؤسساتنا، فسنرى أرقامًا كاشفة في ٢٠١٦-٢٠١٧:

• أغنى عشرة أميركيين: ١٠٠ في المئة بيض (سبعة منهم من بين أغنى عشرة في العالم).

• الكونغرس الأميركي: ٩٠ في المئة منه بيض.

• حكام الولايات الأميركية: ٩٦ في المئة منهم بيض.

• كبار المستشارين العسكريين: ١٠٠ في المئة بيض.

• الرئيس ونائب الرئيس: ١٠٠ في المئة بيض.

• كتلة الحرية في مجلس النواب الأميركي: ٩٩ في المئة منها بيض.

• الحكومة الرئاسية الأميركية الحالية: ٩١ في المئة منها من البيض.

• الأشخاص الذين يقررون البرامج التلفزيونية التي نشاهدها: ٩٣ في المئة منهم بيض.

• الأشخاص الذين يقررون الكتب التي نقرؤها: ٩٠ في المئة منهم بيض.

• الأشخاص الذين يقررون الأخبار التي يتم تغطيتها: ٨٥ في المئة منهم بيض.

• الأشخاص الذين يقررون الموسيقى التي يتم إنتاجها: ٩٥ في المئة منهم بيض.

• الأشخاص الذين أخرجوا أعلى مئة فيلم دخلًا في كل العصور، وعلى مستوى العالم: ٩٥ في المئة منهم بيض.

• المعلمون: ٨٢ في المائة منهم بيض.

• أساتذة جامعيون بدوام كامل: ٨٤ في المئة منهم بيض.

• مالكو فرق كرة القدم المحترفة للرجال: ٩٧ في المئة منهم بيض[٢٦].

لا تصف هذه الأرقام منظمات صغيرة. كما أن هذه المؤسسات ليست مجموعات ذات مصالح خاصة. المجموعات المذكورة أعلاه هي الأقوى في البلاد. هذه الأرقام ليست مسألة «أناس طيبين» مقابل «أشرار». إنها تمثل قوة وسيطرة مجموعة عرقية موجودة في وضع يمكِّنها من نشر وحماية صورتها الذاتية ونظرتها إلى العالم ومصالحها عبر المجتمع بأكمله.

تعد التمثيلات الإعلامية من أكثر الطرق فعالية لنشر التفوق الأبيض، ولها تأثير عميق في كيفية رؤيتنا للعالم. أولئك الذين يكتبون الأفلام ويخرجونها هم رواة ثقافتنا. القصص التي يروونها تشكل نظرتنا إلى العالم. بالنظر إلى أن أغلب البيض يعيشون في عزلة عرقية عن الملونين (والسود على وجه الخصوص) وأن لديهم القليل جدًّا من العلاقات الحقيقية التي تختلط فيها الأعراق، فإن البيض يتأثرون بشدة بالرسائل العرقية في الأفلام. لنأخذ في الاعتبار إحصائية واحدة من القائمة السابقة: من بين أعلى مئة فيلم في جميع أنحاء العالم في عام ٢٠١٦، تم إخراج خمسة وتسعين فيلمًا من قِبَل أميركيين بيض (تسعة وتسعون فيلمًا أخرجها رجال). هذه مجموعة متجانسة بشكل لا يصدق من المخرجين. هؤلاء على الأرجح في قمة التسلسل الهرمي الاجتماعي من حيث العِرق والطبقة والجندر، إذن فاحتمال أن يكون لديهم مجموعة متنوعة من العلاقات الحقيقية المتساوية المختلطة الأعراق احتمال ضئيل. ومع ذلك، فهم في وضع يسمح لهم بتمثيل «الآخر» في العرق. وبالتالي، فإن تمثيلاتهم «للآخر» ضيقة وإشكالية، ومع ذلك يجري دعمها مرارًا وتكرارًا. وفوق ذلك، فإن هذه التمثيلات المتحيزة تُنشر في جميع أنحاء العالم؛ ففي حين نشأ التفوق الأبيض في الغرب، فإنه يُتداول عالميًّا.

مقاومة البيض لمصطلح التفوق الأبيض تمنعنا من تفحص الكيفية التي تشكِّلنا بها هذه الرسائل. يفهم أنصار التفوق الأبيض الصريح هذا. يشرح

كريستيان بيسوليني، القومي الأبيض السابق، بأن القوميين البيض أدركوا ضرورة إبعاد أنفسهم عن مصطلحات عنصري والتفوق الأبيض لكسب قبول أوسع. ويصف «اليمين البديل» والحركات القومية البيضاء بأنها تتويجٌ لجهدٍ تراكم على مدى ثلاثين عامًا لتمرير رسالة تفوق العِرق الأبيض: «لقد أدركنا في ذلك الوقت أننا كنا نبتعد عن العنصريين البيض الأميركيين العاديين وأننا بحاجة إلى أن نظهر ونتحدث أكثر مثل جيراننا. الفكرة التي كانت لدينا هي الاختلاط والتطبيع وجعل الرسالة أكثر قبولًا»[٢٧].

يشرح ديريك بلاك، الابن بالمعمودية لديفيد ديوك، والقائد السابق للشباب في الحركة القومية البيضاء: «كان حديثي كله حقيقة أنه يمكنك الترشح كجمهوري، وقول أشياء من قبيل أننا نحتاج إلى إيقاف الهجرة وسياسات التمييز الإيجابي، ونحن بحاجة إلى إنهاء العولمة، ربما يمكن الفوز بكل هذه المواقف، طالما لم تجرِ الإشارة إليك كقومي أبيض وما يصاحب ذلك من جدل»[٢٨].

القوميون البيض اليوم ليسوا أول من أدرك أهمية أن ينأوا بأنفسهم عن التعبيرات الفاقعة والفجَّة للتفوق الأبيض. في مقابلة عام ١٩٨١، أوضح آتووتر، الإستراتيجي السياسي الجمهوري ومستشار الرئيسين رونالد ريغان وجورج دبليو بوش، ما أصبح يُعرف باسم «الإستراتيجية الجنوبية» - أي كيفية مناشدة عنصرية ناخبي الجنوب البيض دون التصريح بها علانية: تبدأ في عام ١٩٥٤ بالقول «زنجي، زنجي، زنجي»، بحلول عام ١٩٦٨ لا يمكنك أن تقول «زنجي» - هذا يؤلمك. الرد أن تقول أشياء، مثل: النقل القسري، وحقوق الولايات وكل تلك الأمور. أصبحت الآن مجرَّدًا جدًّا [إنك] تتحدث عن خفض الضرائب، وكل هذه الأشياء التي تتحدث عنها اقتصادية تمامًا ونتيجتها الثانوية أن السود يتأذون بشكل أسوأ من البيض. وربما لا شعوريًّا أن هذا جزء من المسألة (...) لكني أرى أنه إذا تم الوصول إلى هذا التجريد وهذا التشفير فإننا نتخلص من المشكلة العرقية بطريقة أو بأخرى. أنت تتبعني - لأنه من الواضح أن الجلوس والقول «نريد أن نخفض من هذا ونقتطع من ذاك»، هو أكثر تجريدية بكثير حتى من الحديث عن النقل القسري، وأكثر بكثير من القول «زنجي، زنجي»[٢٩].

إن استياءنا من مصطلح التفوق الأبيض لا يفيد إلا في حماية العمليات التي يصفها وإخفاء آليات عدم المساواة العرقية. ومع ذلك، أفهم أن المصطلح مشحون جدًّا بالنسبة إلى العديد من البيض، لا سيما كبار السن منهم الذين يربطون المصطلح بمجموعات الكراهية المتطرفة. ومع ذلك، آمل أن أوضح أن التفوق الأبيض أكثر انتشارًا ودهاءً من التصرفات الصريحة للقوميين البيض. يصف التفوق الأبيض الثقافة التي نعيش فيها، وهي ثقافة تعتبر البيضِ وكل ما يرتبط بهم (البياض) هو المثالي. التفوق الأبيض هو أكثر

من فكرة أن البيض أعلى شأنًا من الملونين. إنه الافتراض الأعمق الذي يدعم هذه الفكرة - تعريف البياض على أنه قيمة أو معيار للإنسان، وأن الملونين انحرافٌ عن هذا المعيار. وتسمية التفوق الأبيض باسمه تغيِّر الحوار بطريقتين رئيسيتين: فهي تجعل النظام مرئيًّا وتنقل موضع التغيير إلى مكانه الصحيح حيث ينتمي، إلى البيض. كما أنه يوجهنا في اتجاه عمل طويل المدى، هو عملنا وحدنا، أن نتحدى تواطؤنا مع العنصرية واستثمارنا فيها. هذا لا يعني أن الملونين لا يلعبون دورًا، لكن ثقل المسؤولية الكامل يقع على عاتق أولئك الذين يسيطرون على المؤسسات.

## الإطار العرقي الأبيض

صاغ عالم الاجتماع جو فيجان مصطلح «الإطار العرقي الأبيض» لوصف تداول البيض الرسائل العرقية التي تضعهم في مرتبة أعلى وكيف يعززونها[٣٠]. بهذه الطريقة، يستقر الإطار العرقي الأبيض، وهو مفتاح آلية التفوق الأبيض. يحتوي هذا الإطار العميق والواسع آلاف التفاصيل المخزنة، وهي قطع من المعلومات الثقافية؛ صور، قصص، تفسيرات، حذف، صمت، تنتقل من شخص إلى آخر ومن مجموعة إلى أخرى، ومن جيل إلى الذي يليه. يتم تداول هذه التفاصيل بشكل صريح وضمني، على سبيل المثال، من خلال الأفلام والتلفزيون والأخبار ووسائل الإعلام والقصص الأخرى التي يرويها لنا أفراد العائلة والأصدقاء. من خلال استخدام الإطار العرقي الأبيض لتفسير العلاقات الاجتماعية ودمج تفاصيل جديدة، يعيد البيض تكريس هذا الإطار كل مرة على نحو أعمق.

على المستوى العام من التأطير، ينظر الإطار العرقي إلى البيض على أنهم متفوقون في الثقافة والإنجاز وأن الملونين عمومًا أقل تأثيرًا اجتماعيًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا؛ بمعنى أنهم أقل شأنًا من البيض في صناعة الأمة والحفاظ عليها. في المستوى التالي من التأطير، نظرًا إلى أن المؤسسات الاجتماعية (التعليم، والطب، والقانون، والحكومة، والمالية، والجيش) يسيطر عليها البيض، فإن هيمنة البيض غير ملحوظة وتعتبر أمرًا مفروغًا منه. وبطرق متباينة فإن إثراء البيض وتمييزهم من خلال هذه المؤسسات يعد أمرًا مستحقًّا بل وطبيعيًّا؛ يحق لنا الحصول على المزيد من الامتيازات والموارد لأننا أناس «أفضل». في أعمق مستوًى من الإطار الأبيض، تُدعم وتُعزِّز الصور النمطية السلبية للآخرين من أعراق أخرى باعتبارهم أناسًا أدنى مكانةً. في هذا المستوى أيضًا، تُخزَّن المشاعر المتجاوبة مع هذه الصور النمطية، مثل: الخوف والازدراء والغيظ.

يتضمن الإطار كلّا من الفهم السلبي لذوي البشرة الملونة والفهم الإيجابي لذوي البشرة البيضاء والمؤسسات البيضاء. إنه إطار مستدخل على نحو عميق جدًّا، مغمور جدًّا، حتى أن معظم البيض لا يأخذونه في الاعتبار فلا يطعنون في صحته ولا يواجهونه بوعي. للشعور بالإطار العرقي الأبيض تحت سطح وعيك اليقظ، فكر في أقرب وقت كنت على علم فيه بوجود أشخاص من مجموعات عرقية أخرى غير مجموعتك. يتذكر ذوو البشرة الملونة شعورهم الدائم بوجود عِرق آخر، بينما يتذكر معظم البيض أنهم أدركوا وجود عِرق آخر في سن الخامسة على الأقل. إذا كنت تعيش في بيئة بيضاء بشكل أساسي وتواجه صعوبة في التذكر، ففكِّر في أفلام ديزني، ومقاطع الفيديو الموسيقية، وأبطال الرياضة، والطعام الصيني، و«شراب العمة جيميما» و«أرز العم بن»، والتشياواوا المستخدم في إعلانات «تاكو بيل» الذي يتحدث الإسبانية، و«يوم كولومبوس» الوطني، وشخصية «آبو» من المسلسل الكرتوني عائلة سمبسون وشخصية الحمار من فيلم شريك[15]. فكِّر في هذه التمثيلات واسأل نفسك، هل أخبرك والداك أن العِرق لا يهم وأن الجميع متساوون؟ هل كان لديهما العديد من الأصدقاء الملونين؟ إذا كان الملونون لا يعيشون في حيِّك، فلماذا لا يفعلون؟ أين عاشوا؟ ما هي الصور والأصوات والروائح التي ربطتها بهذه الأحياء الأخرى؟ ما نوع الأنشطة التي تعتقد أنها جرت هناك؟ هل شجَّعك أحد على زيارة هذه الأحياء، أم أنك نُهيت عن فعل ذلك؟

ماذا عن المدارس؟ ما الذي جعل المدرسة جيدة؟ من الذي ذهب إلى مدارس جيدة؟ ومن ذهب إلى المدارس السيئة؟ إذا كانت المدارس في منطقتك مفصولة عرقيًّا (كما هو الحال في معظم المدارس في الولايات المتحدة)، فلماذا لم تذهبوا إلى المدرسة معًا؟ إذا كان هذا لأنك عشت في حيٍّ مختلف، فلماذا كنت تعيش في حيٍّ مختلف؟ هل تم اعتبار مدارس«هم» مساويةً لمدارسك أم أفضل منها أم أسوأ منها؟ إذا كان هناك حافلات في بلدتك، في أي اتجاه سارت؛ مَن كان يُنقل إلى مدارس مَن؟ لماذا سارت الحافلات في اتجاه واحد دون الآخر؟ إذا ذهبتم إلى المدرسة معًا، فهل جلستم معًا في الكافتيريا؟ إن لم تفعلوا، فلماذا؟ هل كانت فصول المتفوقين مع مراتب الشرف أو ذوي المستوى المتقدم والفئات الأدنى مندمجة ومتساوية عرقيًّا؟ إذا لم تكن كذلك، فلماذا؟ الآن فكر في معلميك. متى كانت المرة الأولى التي كان معلِّمك فيها من نفس عرقك؟ هل كان معلموك في الأغلب من نفس عرقك؟

يدرك معظم البيض، عند التفكير في إجابات هذه الأسئلة، أن مدرسيهم كانوا دائمًا بيضًا؛ ولم يتعامل الكثير منهم مع مدرس ملون قبل دخول الجامعة. وعلى العكس من ذلك، فنادرًا ما حظي الطلبة من ذوي البشرة

الملونة بمعلمين من نفس عرقهم (أعراقهم). لِمَ يكون التفكير في معلمينا مهمًّا أثناء محاولتنا فهم وتفكيك التنشئة الاجتماعية العرقية والرسائل التي نتلقاها من المدارس؟

بينما تجيب عن هذه الأسئلة، ضع في اعتبارك أيضًا أي الأعراق كانت أقرب جغرافيًّا إليك من غيرها. إذا كان يُنظر إلى مدرستك على أنها متنوعة عرقيًّا، فما هي الأعراق التي مُثِّلت بشكل أكبر، وكيف أثَّر التوزيع العرقي في الشعور بالقيمة المرتبط بالمدرسة؟ على سبيل المثال، إذا كان الطلاب من البيض والآسيويين هم المجموعتين العرقيتين الأساسيتين في مدرستك، فمن المحتمل أن يُنظر إلى مدرستك على أنها أفضل من مدرسة ذات تمثيلٍ أكبر من الطلاب السود واللاتينيين. ماذا كنت تتعلم عن التسلسل الهرمي العرقي وموقعك فيه من الجغرافيا؟

إذا عشت وذهبت إلى المدرسة منفصلة الأعراق كما يفعل معظم الناس في الولايات المتحدة، فلا بد أن تفهم التعارض بين الادعاء بأن الجميع متساوون وواقع الفصل العرقي الذي نعيشه. إذا كنت تعيش في حيٍّ مختلط/ أو التحقت بمدرسة مختلطة الأعراق، فعليك أن تدرك التمييز العنصري الذي يحدث في معظم المجتمع خارج أسوار المدرسة، خاصة في القطاعات والشرائح التي تعتبر أعلى قيمة أو أفضل جودة، ومن المحتمل أيضًا أن الفصل بين الأعراق داخل هذه المدرسة التي تعتبر مختلطة كان قائمًا. وبالنسبة إلينا، نحن الذين نشأنا في بيئات أكثر اندماجًا بين الأعراق بسبب الطبقة الاجتماعية أو بسبب تغير التركيبة السكانية للحيِّ، فمن غير المرجح أن هذا الاندماج العرقي مستمرٌّ في حياتنا الحالية. يشكِّل التفكير في هذه التساؤلات نقطة دخول إلى الرسائل الأعمق التي نتشرَّبها جميعًا وتكوِّن سلوكنا واستجاباتنا اللاواعية تجاه العرق.

العِرق في الولايات المتحدة مشفَّرٌ جغرافيًّا. يمكنني تسمية كل حيٍّ في مدينتي وأن أحدِّد تركيبته العرقية. يمكنني أيضًا أن أخبرك ما إذا كان الحيُّ يزيد أم ينقص من حيث المساواة في المساكن، وسيعتمد هذا في المقام الأول على كيفية تغير ديمغرافيته العرقية؛ في ازدياد؟ الحي يصبح أكثر بياضًا، في تناقص؟ الحي يصبح أقل بياضًا. عندما كنت طفلة، كانت الملصقات على جدران مدرستي وفي البرامج التلفزيونية مثل شارع سمسم تخبرني صراحةً بأن جميع الناس متساوون، لكننا ببساطة كأعراق لا نعيش معًا. كان عليَّ أن أجد لهذا الانفصال معنًى. إذا كنا متساوين فلماذا نعيش منفصلين؟ لا بد أنه العادي والطبيعي أن نعيش متباعدين (بالتأكيد لم يكن هناك من شخصٍ بالغٍ في حياتي يشكو من هذا الفصل). وعلى مستوًى أعمق، يجب أن يكون من الصواب أن نعيش منفصلين، لأننا أناس أفضل. كيف وصلتني الرسالة بأننا أفضل؟ ضع في اعتبارك كيف نتحدث عن الأحياء البيضاء: جيدة، وآمنة،

ومحمية، ونظيفة، ومرغوبة. بحكم التعريف، فإن المساحات الأخرى (غير البيضاء) سيئة، وخطرة، ومليئة بالجريمة، وينبغي تجنبها؛ هذه الأحياء ليست في موقع يتيح وصفها بأنها محميَّة وآمنة. بهذه الأساليب، يكون الإطار العرقي الأبيض قيد الإنشاء.

الأحياء التي يغلب عليها البيض ليست خارج العِرق - فهي تعجّ بالعرق. كل لحظة نقضيها في تلك البيئات تعزز الجوانب القوية للإطار العرقي الأبيض، بما في ذلك الرؤية المحدودة للعالم، والاعتماد على صور ملتبسة لذوي البشرة الملونة، والراحة في الفصل العرقي دون أي شعور بأن هناك قيمة في معرفة أشخاص من ذوي البشرة الملونة، والشعور المستدخل بالتفوق. في المقابل، تصبح قدرتنا على المشاركة خارج الحدود العرقية محدودة جدًّا.

لتوضيح درس مبكر في التأطير العرقي الأبيض، تخيل أن أمًّا بيضاء وطفلها الأبيض في محل البقالة. يرى الطفل رجلًا أسود ويصرخ: «ماما، جلد هذا الرجل أسود!» يلتفت العديد من الناس، بمن فيهم الرجل الأسود نفسه، للنظر. كيف تتخيل أن يكون رد فعل الأم؟ سيضع معظم الناس أصابعهم على أفواههم فورًا ويقولون: «هششششش!» عندما يُسأل البيض عمَّا تشعر به الأم في تلك اللحظة، يتفق معظمهم على أنها قد تشعر بالقلق والتوتر والإحراج. بالفعل، مرَّ العديد منا بتجارب مماثلة حيث كانت الرسالة واضحة: لا ينبغي أن نتحدث بصراحة عن العرق. عندما أستخدم هذا المثال مع طلابي، يقول أحدهم إن الأم تقوم فقط بتعليم طفلها أن يكون مهذبًا. بعبارة أخرى، من غير التهذيب أن نسمي عِرق هذا الرجل. لكن لماذا؟ ما المخزي في كونك أسود - أهو مخجلٌ جدًّا إلى درجة أننا يجب أن نتظاهر بأننا لا نلاحظ؟[٣١]

من المحتمل أن يكون للأم رد الفعل نفسه لو أن الطفل صرخ لدى رؤية رجل يعاني من إعاقة واضحة من نوع ما أو كان يعاني من السمنة. لكن إذا رأى الطفل رجلًا أبيض وصرخ: «ماما، جلد ذلك الرجل أبيض!» فمن المستبعد أن تشعر الأم بنفس القلق والتوتر والإحراج كما في العبارة الأولى. تخيل الآن أن الطفل صرخ كم كان الرجل وسيمًا، أو قويًّا. ربما تُقابل هذه العبارات بضحكات خافتة وابتسامات. من غير المحتمل أن يُسكت أحد الطفل لأننا نعتبر هذه العبارات مجاملات.

يوضح مثال الطفل الذي يتحدث علنًا حول عِرق الرجل الأسود ويحرج الأم - عدةَ جوانب من التنشئة الاجتماعية العرقية للأطفال البيض. أولًا، يتعلم الأطفال أن التحدث عن العِرق علنًا من المحرمات. ثانيًا، يتعلمون أن على الأشخاص التظاهر بعدم ملاحظة الجوانب غير المرغوب فيها التي تسِم البعض بأنهم أقل قيمة من الآخرين (وحمة كبيرة على وجه شخص ما، أو شخص يستخدم كرسيًّا متحركًا). تتجلى هذه الدروس في الحياة لاحقًا، عندما

يخفض البالغون البيض أصواتهم قبل تسمية عِرق شخص ليس أبيض (وخاصة إذا كان العِرق أسود)، كما لو كان السواد مخزيًا أو كانت الكلمة نفسها غير مهذبة. إذا أضفنا جميع التعليقات التي نصف بها ذوي البشرة الملونة في أحاديثنا الخاصة، عندما نكون أقل حرصًا، فقد نبدأ في فهم وإدراك الطريقة التي يتعلَّم بها الأطفال البيض التفكير في العرق.

# الفصل الثالث: العنصرية بعد حركة الحقوق المدنية

«الأطفال اليوم منفتحون جدًّا. بعد أن يموت المسنُّون سنتحرر أخيرًا من العنصرية».

«نشأت في مجتمع ريفي صغير، كنت محميًّا. لم أتعلم أي شيء عن العنصرية».

«أحكم على الناس من خلال ما يفعلونه، وليس من أشكالهم».

«أنا لا أرى اللون. أرى الناس».

«كلنا حُمر تحت الجلد».

«شاركت في مسيرة الستينيات».

العنصرية الجديدة New racism مصطلحٌ صاغه الباحث في الدراسات الثقافية مارتن باركر لالتقاط الطرق التي تكيَّفت بها العنصرية مع مرور الوقت، بحيث أن الأعراف والسياسات والممارسات الحديثة تقود إلى نتائج عرقية مماثلة لتلك الموجودة في الماضي، بينما لا تبدو عنصرية صريحة[١]. قام عالم الاجتماع إدواردو بونيلا سيلفا بتصوير هذه الديناميكية في عنوان كتابه «عنصرية دون عنصريين: عنصرية عمى الألوان واستمرار اللامساواة العرقية في أميركا»[٢]. يقول عمليًّا إن لا أحد يدَّعي أنه عنصري بعد الآن، إلا أن العنصرية لا تزال موجودة. كيف يُعقَل ذلك؟ لا تزال العنصرية موجودة لأنها شديدة التكيُّف. بسبب هذه القدرة على التكيف، ينبغي أن يكون بمقدورنا تحديد طرق تغييرها بمرور الوقت. على سبيل المثال، بعد مسيرة قومية بيضاء ومقتل متظاهر ضدَّها، قال ترامب رئيس الولايات المتحدة وقتها، هناك «أناس طيبون جدًّا من الجانبين». لم يكن من الممكن تصوُّر أن مسؤولًا حكوميًّا رفيع المستوى يمكن أن يقول ذلك قبل بضع سنوات فقط. ومع ذلك، إذا سألنا الرئيس إن كان عنصريًّا، فأنا على ثقة بأنه سيرد ب«لا» (في الواقع، صرح أخيرًا أنه «الشخص الأقل عنصرية الذي يمكن لأي إنسان أن يلتقيه»). في هذا الفصل، أراجع الطرق المختلفة التي تكيَّفت بها العنصرية بمرور الوقت لمواصلة إنتاج الفروقات العرقية بينما تُعفي جميع الأشخاص البيض تقريبًا من أي تورط في العنصرية.

جميع أنظمة الاضطهاد قابلة للتكيُّف؛ يمكنها تحمُّل التحديات والتواؤم معها وأن تظلَّ محافظة على اللامساواة. لنأخذ على سبيل المثال، الاعتراف الفيدرالي بزواج المثليين وتكييف الظروف لذوي الاحتياجات الخاصة[16]. في حين أن الأنظمة العامة لمغايري الجنس والقادرين جسديًّا لا تزال قائمة، إلا

أنها تكيفت بطرق محدودة. تعتبر هذه التعديلات طمأنةً لأولئك الذين ناضلوا طويلًا وبقوة من أجل تغيير معيَّن بالقول بأن المساواة قد تحققت الآن. هذه الأحداث المهمة -مثل الاعتراف بالزواج من نفس الجنس، وإقرار قانون الأميركيين ذوي الإعاقة، القانون ٩، انتخاب باراك أوباما - هي بالطبع أحداث ذات شأن وتستحق الاحتفال، لكن أنظمة الاضطهاد متجذرة عميقًا ولا يتم التغلب عليها بمجرد تمرير التشريع. التقدم ضعيف أيضًا، كما يمكننا أن نرى في التحديات الأخيرة لحقوق المثليات والمثليين ومزدوجي الميل الجنسي والعابرين جنسيًّا والكويريين وثنائيي الجنس (LGBTQI). أنظمة الاضطهاد ليست متصلبة بالكامل، لكنها أقل مرونة بكثير مما قد تعترف به الأيديولوجيا السائدة، أما التأثير الجماعي للتوزيع غير العادل للموارد فيستمر عبر التاريخ.

**عنصرية عمى الألوان**

ما أُصطلح على تسميته بعنصرية عمى الألوان Color-blind Racism هو مثال على قدرة العنصرية على التكيف مع التغيرات الثقافية[٣]. وفقًا لهذه الأيديولوجية، إذا تظاهرنا بعدم ملاحظة العرق، فلا يمكن أن يكون هناك عنصرية. تستند هذه الفكرة إلى سطر من الخطاب الشهير «لديَّ حلم» الذي ألقاه الدكتور مارتن لوثر كينغ في عام ١٩٦٣ أثناء مسيرة الحقوق المدنية إلى واشنطن.

في وقت خطاب كينغ، كان اعتراف البيض بتحاملهم العرقي واعتقادهم بالتفوق الأبيض مقبولًا اجتماعيًّا أكثر بكثير. لكن العديد من البيض لم يكونوا قد شهدوا، قط، نوع العنف الذي تعرَّض له السود. ولأن النضال من أجل الحقوق المدنية كان متلفزًا، شاهد البيض في جميع أنحاء البلاد، في رعب، تعرُّض الرجال والنساء والأطفال السود للهجوم من قبل كلاب الشرطة وخراطيم المياه أثناء الاحتجاجات السلمية وضربهم وسحلهم وجرهم بعيدًا عن كاونترات الغداء.

بمجرد إقرار قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤ (علامة فارقة في القانون الأميركي للحقوق المدنية والعمل حيث يحظر التمييز على أساس العِرق واللون والدين والجنس أو الأصل القومي)، بات من غير المقبول أن يعترف البيض علانية بالتحامل العرقي؛ لم يرغب البيض أنفسهم في أن يرتبطوا بالأعمال العنصرية التي شهدوها على شاشات التلفزيون (بالإضافة إلى حقيقة أن التمييز أصبح الآن ضد القانون).

سطر واحد فقط على وجه الخصوص من خطاب كينغ استولى عليه البيض؛ قال فيه إن يومًا قد يأتي ويُعامَل فيه ويُحكَم عليه من خلال مضمون شخصيته وليس لون بشرته. اعتبروا أن هذه الكلمات تقدِّم حلًّا بسيطًا وفوريًّا

للتوترات العرقية: لنتظاهر بأننا لا نرى العرق، فتنتهي العنصرية. تمَّ الترويج لعمى الألوان على أنه علاج للعنصرية، حيث يصرُّ البيض على أنهم لا يرون العرق، وأنهم إن فعلوا، فليس له أي معنًى بالنسبة إليهم.

من الواضح أن حركة الحقوق المدنية لم تضع حدًّا للعنصرية. ولم يكن لديها أي مزاعم حول عمى الألوان. يكشف اختزال عمل كينغ في هذه الفكرة التبسيطية المبتسرة كيف تُحتوى حركات التغيير الاجتماعي وتُجرَّد من تحديها الأوليِّ، ومن ثم استخدامها هي نفسها ضدَّ القضية الأساسية التي انبثقت منها ولأجلها. على سبيل المثال، الرد المعتاد المستخدم باسم عمى الألوان هو القول إن الفرد الذي يصرِّح بأن العِرق له أهمية هو العنصري. بعبارة أخرى، إن الاعتراف بالعِرق عنصرية.

لنفكر في أيديولوجيا عمى الألوان من منظور شخص ملوَّن. ثمة مثال أتطرق إليه كثيرًا وهو موقف حدث بينما كنت أشارك زميلي الأميركي الإفريقي قيادة ورشة عمل. قالت له مشاركة بيضاء: «أنا لا أرى العرق؛ أنا لا أراك أسود». كان رد زميلي المدرب: «كيف سترين العنصرية إذن؟» ثم أوضح لها أنه أسود، وأنه واثق بقدرتها على رؤية ذلك، وأن عرقه يعني أن لديه تجربة مختلفة تمامًا في الحياة عمَّا كانت عليه تجربتها. وإذا كانت تريد أن تفهم العنصرية أو تواجهها، فستحتاج إلى الاعتراف بهذا الاختلاف. إن التظاهر بأنها لم تلاحظ أنه أسود لم يكن مفيدًا له بأي شكل من الأشكال، لأنه إنكار لواقعه - في الحقيقة إنه رفض لواقعه، بل ويبقيها معزولة في قوقعتها ومحميَّة من مواجهة عنصريتها. هذا التظاهر بأنها لم تلاحظ عرقه يعني ضمنيًّا الافتراض بأنه «مثلها تمامًا»، وبذلك أسقطت عليه واقعها. مثلًا: أشعر بأنني موضع ترحيب في العمل، وكذلك ينبغي أن تشعر أنت؛ ولم أشعر أبدًا أن عرقي أمر مهم، لذلك يجب أن تشعر أنت أيضًا أن عرقك ليس مهمًّا أيضًا. غير أننا نرى عِرق الآخرين بالفعل، وبالنسبة إلينا يحمل هذا العِرق معنًى اجتماعيًّا عميقًا.

قد نفكر في أن الإدراك العرقي الواعي هو قمة جبل الجليد، الجوانب السطحية للتنشئة الاجتماعية العرقية لدينا: نوايانا (وهي دائمًا جيدة!) وما يفترض أن نعترف برؤيته (لا شيء!). بينما تحت السطح، يوجد ذلك العمق الهائل للتنشئة الاجتماعية العنصرية: رسائل، معتقدات، صور، ارتباطات، شعور مستدخل بالتفوق والأحقية، تصورات وعواطف. تجعل أيديولوجيا عمى الألوان من التعامل مع هذه المعتقدات اللاواعية ومواجهتها مهمة صعبة جدًّا. ربما انطلقت فكرة عمى الألوان كإستراتيجية حسنة النية ترمي إلى مقاطعة العنصرية، لكنها فكرة خدمت، لدى تطبيقها، إنكار واقع العنصرية وبالتالي حافظت عليها في مكانها.

الانحياز العرقي هو شعور لا واعٍ إلى حد كبير، وهنا يكمن التحدي الأعمق، من هنا تأتي المواقف الدفاعية التي تنجم عن أي تلميح بالانحياز العرقي[٤]. هذا الموقف الدفاعي ليس إلّا هشاشة بيضاء كلاسيكية لأنه يحمي تحيزنا في نفس الوقت الذي يؤكد فيه أن هوياتنا منفتحة. نعم، من المقلق والمزعج أن نواجه جانبًا لا نحبه من أنفسنا، لكن لا يمكننا تغيير ما نرفض رؤيته.

تُظهر دراسات ميدانية عملية لا حصر لها أن ذوي البشرة الملونة يتعرضون للتمييز ضدهم في مكان العمل[٥]. تخيل أن لديك دليلًا تثبته التجربة على أن زميلك في العمل كان يميز عن غير قصد ضد ذوي البشرة الملونة أثناء عملية التوظيف. بالنظر إلى إيمانك بالمساواة، ربما تعتقد بضرورة إبلاغ زميلك أو زميلتك ليتوقف أو تتوقف عن فعل ذلك. لقد أشرت إلى هذا التمييز بأكبر قدر ممكن من الدبلوماسية. مع ذلك، كيف سيكون رد فعل زميلك في رأيك؟ هل ستجده ممتنًّا لأنك لفتَّ انتباهه إلى هذه الحقيقة؟ الأغلب لا. على الأرجح أنه سيرد بطريقة مؤذية وغاضبة ودفاعية، ويصر على أنه لم يمارس التمييز العرقي ولكنه اختار المرشحين الأكثر تأهيلًا. وسيعتقد صادقًا أن هذا كان صحيحًا، حتى وإن كان لديك دليلٌ عمليٌّ على أنه لم يكن كذلك. تتجذر هذه النزعة الدفاعية في الاعتقاد الخاطئ والمنتشر بأن التمييز العرقي لا يمكن إلا أن يكون مقصودًا. يؤدي فهمنا المحدود والقليل للتحيز الضمني إلى ممارسة العنصرية المراوغة Aversive racism[17].

## العنصرية المراوغة

العنصرية المراوغة هي ظهور محتمل للعنصرية من قبل أشخاص حسني النوايا يعدُّون أنفسهم متعلمين وعلى اطلاع وثقافة جيدة وتقدميين[٦]. إنها موجودة تحت سطح الوعي لأنها تتعارض مع المعتقدات الواعية للمساواة العرقية والعدالة. العنصرية المراوغة داخلية ولكنها ماكرة، حيث يمارسها العنصريون بطرق تسمح لهم بالحفاظ على صورة ذاتية إيجابية (على سبيل المثال، «لديَّ الكثير من الأصدقاء الملونين»؛ «أحكم على الناس من خلال شخصياتهم، ليس لون بشرتهم»).

يمارس البيض العنصرية مع الحفاظ على صورة ذاتية إيجابية بعدة طرق:

• تبرير الفصل العرقي باعتباره أمرًا مؤسفًا ولكنه ضروري للدخول إلى «مدارس جيدة».

• تبرير أن أماكن العمل لدينا كلها تقريبًا بيضاء لأن الأشخاص الملونين لا يتقدمون بطلبات.

• تجنب اللغة العرقية المباشرة واستخدام المصطلحات المشفرة عرقيًّا، مثل: أحياء التطوير الحضري Urban[18]، محرومة، متنوعة، خطرة، جيدة.

• إنكار وجود علاقات محدودة وقليلة بين الأعراق من خلال الحديث عن مدى تنوع مجتمعنا أو مكان عملنا.

• تبرير اللامساواة بين البيض والملونين بأسباب أخرى غير العنصرية

أخبرتني صديقة بيضاء عن زوجين (أبيضين) تعرفهما، انتقلا فورًا إلى نيو أورليانز واشتريا منزلًا مقابل خمسة وعشرين ألف دولار فقط. وأضافت على الفور: «بالطبع، كان عليهم أيضًا شراء سلاح، وجوان تخشى مغادرة المنزل». لقد عرفتُ على الفور أنهما اشتريا منزلًا في حيٍّ من أحياء السود. كانت هذه لحظة من التعاضد العرقي الأبيض بين هذين الزوجين اللذين شاركا قصة الخطر العرقي وصديقتي، ثم بيني وبين وصديقتي وهي تكرر القصة. من خلال هذه الحكاية، قام أربعة منا بحماية الصور المألوفة لرعب المساحة التي يعيش فيها السود، ورسم الحدود بين «نحن» و«هم»، دون الاضطرار مطلقًا إلى تسمية العِرق بشكل مباشر أو التعبير علانية عن ازدرائنا الأحياء السوداء.

لاحظوا أن الحاجة إلى السلاح جزءٌ أساسي من هذه القصة، فلن تتمتع بالدلالة الاجتماعية التي تملكها إذا كان التركيز في سعر المنزل وحده. بدلًا من ذلك، تعتمد القوة العاطفية للقصة على السبب في أن المنزل رخيص إلى هذا الحد؛ أنه يقع في حيٍّ من أحياء السود حيث قد لا يخرج البيض منه أحياءً. ومع ذلك، ففي حين عزَّزنا التمثيلات السلبية والقوالب النمطية للسود في هذا الحديث، فإن عدم تسمية العِرق وفّر لنا إمكانية إنكار معقولة للعنصرية. في الواقع، أثناء كتابة هذه القصة، أرسلت رسالة نصية إلى صديقتي وسألتها عن اسم المدينة التي انتقل إليها صديقاها. أردت أيضًا أن أؤكد افتراضي أنها كانت تتحدث عن حيٍّ من أحياء السود. أشارك المحادثة معها هنا:

- «مرحبًا، ما المدينة التي قلت إن صديقيك اشتريا فيها منزلًا مقابل ٢٥٠٠٠ دولار؟».

- «نيو أورليانز. قالا إنهما يعيشان في حيٍّ سيئ جدًّا، ولحماية نفسيهما يحمل كل منهما سلاحًا. لن أدفع خمسة سنتات لبيت في هذا الحي».

- «أفترض أنه حيٌّ من أحياء السود؟».

- «نعم. أنت تحصل على ما تدفع ثمنه. أفضل أن أدفع ٥٠٠٠٠٠ دولار وأن أعيش في مكان لست خائفة فيه».

- «لم أكن أسأل لأنني أريد أن أعيش هناك. أنا أكتب عن هذا في كتابي، الطريقة التي يتحدث بها البيض عن العِرق دون أن يعلنوا صراحة أنهم

يتحدثون عن العرق».

- «لا أريدك أن تعيشي هناك أبدًا، فالمكان بعيد جدًّا عني!».

لاحظ أنني عندما أسأل ببساطة عن المدينة التي يقع فيها المنزل، فإنها تكرر قصة أن الحي سيئٌ إلى درجة أن كلًّا من صديقيها بحاجة إلى حمل سلاح. وعندما سألت ما إذا كان الحي أسود، شعرت بالراحة في تأكيد ذلك. ولكن عندما أخبرها أنني مهتمة بكيفية حديث البيض عن العِرق دون الحديث فعلًا عن العِرق قامت بتغيير سرديتها. الآن أصبح ما يشغلها هو أنها لا ترغب في أن أعيش بعيدًا. هذا مثال كلاسيكي على العنصرية المراوغة: التمسك بازدراء عرقي عميق يظهر في الخطاب اليومي والعجز في الوقت نفسه عن الاعتراف به لأن الازدراء يتعارض مع صورتنا الذاتية ومعتقداتنا المعلنة.

قد يسأل القراء أنفسهم: «ولكن إذا كان الحيُّ خطرًا بالفعل، فلماذا يعتبر الاعتراف بهذه الخطورة علامة على العنصرية؟» أظهر البحث في التحيزات الضمنية أن تصوراتنا عن النشاط الإجرامي تتأثر بالعرق. يتصور البيض أن هناك خطرًا بمجرد وجود السود؛ لا يمكننا الوثوق بتصوراتنا عندما يتعلق الأمر بالعِرق والجريمة[٧]. ولكن بغض النظر عما إذا كان الحيُّ في الواقع أكثر أو أقل خطورة من الأحياء الأخرى، فإن الشيء البارز في هذا الحديث مع صديقتي هو كيف أنه يقوم على أساس العِرق وما يعنيه ذلك بالنسبة إلى الأشخاص البيض المنخرطين فيه. بالنسبة إليَّ وإلى صديقتي، لم تزد هذه المحادثة من وعينا بخطر حيٍّ معين. كل ما فعلته أنها عززت معتقداتنا الأساسية حول السود. تستخدم توني موريسون مصطلح كلام العِرق لفهم ذلك «الإدراج الصريح للعلامات والرموز العرقية في الحياة اليومية، تلك الرموز التي لا معنى لها سوى وضع الأميركيين الأفارقة في أدنى مستوى من التسلسل الهرمي العرقي»[٨]. يعتبر الحديث العابر وغير الرسمي عن العِرق مكونًا رئيسيًّا للتأطير العرقي الأبيض، لأنه يحقِّق الأهداف المترابطة والمتمثلة في رفع مستوى ذوي البشرة البيضاء والحط من ذوي البشرة الملونة؛ الحديث العرقي يتضمن دائمًا «نحن» و«هم».

مررت بتجربة أخرى مع العنصرية المراوغة. كان آخر منصب أكاديمي لي في ولاية لم أكن قد زرتها قبل مقابلتي. طوال أيام المقابلة الثلاثة، حذرني عدد من البيض من شراء منزل في سبرينغفيلد أو هوليوك إذا كنت سأقبل الوظيفة، خاصةً إن كان لديَّ أطفال. في حين لم يُشِر أحد علنًا إلى العرق، إلا أن التشفير العرقي لم يفتني. عرفت الآن أين يتركز الملونون في المنطقة. في الوقت نفسه، نظرًا إلى أن أحدًا لم يُشِر إلى العِرق بشكل مباشر، يمكننا جميعًا أن ننكر أن هذا هو ما كنا نتحدث عنه بالفعل. بالعودة إلى غرفتي في الفندق في الليلة الأولى، بحثت عن التركيبة السكانية، وتأكدت أن أكثر من

٥٠٪ من تركيبة سبرينغفيلد وهوليوك الديمغرافية كانوا من ذوي البشرة السوداء والبنية. منذ اليوم الأول من زيارتي، أوصل إليَّ زملائي البيض معلومات حول الحدود العرقية[٩].

حتى طلابي، وهم معلِّمون أصلًا، انخرطوا في كلام العِرق -بالتأكيد على الحدود بين «نحن» و«هم» مع وضعنا في مرتبة أعلى - عندما أعربوا عن خوفهم من أن يعيشوا في أحياء «خطرة»، بينما وصفوا بلداتهم وأحياءهم بأنها «محمية». يتم تعزيز هذه الصور بلا هوادة من خلال القصص الإخبارية التي تضع جرائم العنف المرتكَبة في مجتمعات الضواحي البيضاء بشكل أساسي على أنها «صادمة»، ومع ذلك فإن الادعاء بأن المرء نشأ في بيئة محمية يطرح سؤالًا يتوسل أن يلقى الإجابة: «محمية من ماذا وبالمقارنة مع ماذا؟» إذا نشأنا في بيئات بها عدد قليل من ذوي البشرة الملونة أو ليس بها أيٌّ منهم على الإطلاق، ألسنا في حقيقة الأمر أكثر تعرضًا للتكييف العنصري؟ ففي هذه الحالة، يتعين علينا لفهم الأعراق الأخرى أن نعتمد على التمثيلات الضيقة والمتكررة في وسائل التواصل والإعلام من نكات وإغفالات وتحذيرات.

على العكس، فإن تصور المساحات البيضاء على أنها «محمية»، وأن أولئك الذين نشؤوا فيها أبرياء عرقيًّا، هو توظيف ل واستفادة من وإحالة إلى السرديات الكلاسيكية القائلة بأن ذوي البشرة الملونة ليسوا أبرياء. الصور العنصرية وما ينتج منها من مخاوف بيضاء موجودة على جميع مستويات المجتمع. ثمة دراسات تعدُّ فلا تحصى كشفت أن البيض يعتقدون أن الملونين (والسود منهم على وجه الخصوص) خطرون[١٠]. نادرًا ما يفكر البيض في كيف يمكن أن تكون مساحاتهم محمية وآمنة من منظور الملونين (على سبيل المثال، تجربة تريفون مارتن[19] في مجتمع أبيض مسوَّر). نظرًا إلى أنه يقلب الاتجاه الفعلي للخطر العرقي، فقد تكون هذه السردية من الأكثر ضررًا. عندما تفكر في الحكم الأخلاقي الذي نحمله حول الأشخاص الذين نعتبرهم عنصريين في مجتمعنا، فإن الحاجة إلى إنكار عنصريتنا -حتى لأنفسنا - تبدو منطقية. إننا نؤمن بتفوقنا على مستوى متجذر ومستدخل فينا، ونتصرف عند ممارسة حياتنا بناءً على هذا الإيمان. وفي الوقت نفسه لا بد أن ننكر هذا الإيمان لنكون جزءًا من المجتمع ونحافظ على هويتنا الذاتية كأشخاص صالحين وأخلاقيين. لسوء الحظ، فإن العنصرية الخفية تحمي العنصرية فقط، لأننا لا نستطيع تحدي «فلاترنا» العرقية إذا لم نفكِّر في إمكانية وجودها. طبعًا، يعترف بعض البيض صراحة بالعنصرية. قد نعتبر هؤلاء البيض أكثر وعيًا وصدقًا بتحيزاتهم منَّا، نحن الذين نعتبر أنفسنا منفتحي العقلية، ومع ذلك فنادرًا ما نفكر بشكل نقدي حول التحيزات التي نتمسك به حتمًا، أو كيف قمنا بالتعبير عنه ربما.

**العنصرية الثقافية**

توضح مجموعة الأبحاث حول الأطفال والعِرق أن الأطفال البيض يطورون شعورًا بالتفوق الأبيض في مرحلة ما قبل المدرسة[١١]. لا ينبغي أن تكون هذه البداية المبكرة مفاجئة لنا، حيث يرسل المجتمع رسائل ثابتة مفادها: أن تكون أبيض أفضل من أن تكون ملونًا. على الرغم من ادعاءات العديد من الشباب البيض بأن العنصرية شيءٌ من الماضي، وأنهم تعلموا أن ينظروا إلى الجميع على قدم المساواة، تظهر الأبحاث خلاف ذلك. على سبيل المثال، تظهر الاستطلاعات التي رعاها تلفزيون MTV في عام ٢٠١٤ أن جيل الألفية يجاهر بتسامح أكبر والتزام أعمق بالمساواة والعدالة مقارنة بالأجيال السابقة[١٢]. في الوقت نفسه، يلتزم جيل الألفية بعمى الألوان المثالي، الذي يجعلهم مرتبكين بشأن العرق، ويعارضون التدابير الرامية إلى الحد من اللامساواة العرقية. ولعل الأهم من ذلك، أن ٤١٪ من جيل الألفية البيض يعتقدون أن الحكومة تولي الكثير من الاهتمام للأقليات، ويعتقد ٤٨٪ منهم أن التمييز ضد البيض مشكلة كبيرة مثل التمييز ضد الملونين. ويزعم كثيرون من هذا الجيل أن انتخاب باراك أوباما رئيسًا يظهر أننا في عصر ما بعد العرق. أُجريت هذه الاستطلاعات قبل رئاسة دونالد ترامب، لكن انتخابه كشف أننا أبعد من أن نكون ما بعد عرقيين.

ثمة دراسة أخرى مهمة استندت إلى البحث في ممارسات جيل الألفية الفعلية بدلًا من دراسة ما يدعيه، أجراها عالما الاجتماع ليزلي بيكا وجو فيغين[١٣]. وفيها طلبوا من ٦٢٦ طالبًا جامعيًّا من البيض في ٢٨ جامعة في جميع أنحاء الولايات المتحدة الاحتفاظ بيوميات يسجلون فيها كل قضية عرقية وصورة عرقية وفهم عرقي لاحظوه أو كانوا جزءًا منه لمدة ستة إلى ثمانية أسابيع. سجل الطلاب أكثر من خمس مئة وسبعين واقعة عن تعليقات وأفعال عنصرية صارخة من قبل أشخاص بيض في حياتهم (أصدقاء، عائلة، معارف، غرباء). مَن أقدمَ على هذه الأفعال هم، على الأرجح، أشخاصٌ من الجيل الذي يدَّعي أنه تعلَّم أن ينظر إلى الجميع باعتبارهم سواسية - أولئك الذين نشؤوا في عصر أيديولوجيا عمى الألوان بعد حركة الحقوق المدنية. قدمت دراسة بيكا وفيغين دليلًا عمليًّا على أن تعبير البيض الصريح عن العنصرية لا يزال قائمًا، حتى لدى أولئك الشباب الذين يزعمون أنهم تقدُّميون.

أحد الأمثلة من دراستهما: «بينما أجلس في غرفة مع مجموعة من الشباب، يسير فِيل وهو يهتف «روتشي، روتشي، روتشي!!» أسأل ما الذي

تعنيه هذه الكلمة فيرد بضحكة وبسرعة «إنها كلمة عامية تعني زنجي، نيغوروتشي niggerotchie[20]» [إيلين].

مثال آخر «كان روبي يروي نكتة. ألقى نظرة خاطفة ليرى ما إذا كان هناك أحد غيرنا في الجوار قد يسمعها. بدأ: «عثر رجل أسود، رجل لاتيني، ورجل أبيض على مصباح سحري على الشاطئ [تتبع ذلك نكتة عنصرية]». أعتقد أنه كان مضحكًا جدًّا ولم أكن الوحيدة. أنا سعيدة أنه انتظر حتى لم يكن هناك أحد حولنا قبل قولها. إذا كنت لا تعرف روبي فربما تسيئ فهمه». [أشلي][١٤].

تتضح العديد من ديناميكيات العنصرية الشائعة في آلاف الأمثلة التي جمعها بيكا وفيغين، أولها مدى تعرض الشباب للعنصرية الصريحة والمشاركة فيها. والثاني هو فكرة أنه إذا كان شخص ما شخصًا طيبًا، فلا يمكن أن يكون عنصريًّا، كما هو موضح في ملاحظة الطالبة حين قالت إذا سمع أحد آخر روبي فقد «يسيء فهمه». هذا النوع من العنصرية يقود إلى آلية من الصعب جدًّا مواجهتها، حيث يعمل البيض تحت افتراض خاطئ وهو لا يمكن أن نكون طيبين ونشارك في العنصرية في آنٍ، في الوقت الذي لا نكون فيه أمناء وصادقين بشأن ما نفكر فيه ونفعله حقًّا تجاه الملونين.

تكشف الدراسة أيضًا عن نمط ثابت في طرق التعبير عن هذه التعليقات والتصرفات. وقعت أغلب الحوادث في ما وصفه الباحثون بالكواليس، في صحبة بيضاء بالكامل. وجدوا أيضًا أن البيض المتورطين في هذه الحوادث لعبوا في أغلب الأحيان أدوارًا متوقعة: هناك الشخصية الرئيسية (البطل) الذي بدأ الفعل العنصري، المشجع الذي شجعه من خلال الضحك أو الاتفاق معه، المتفرجون الذين وقفوا في صمت، وفي حالات نادرة جدًّا هناك المنشق الذي اعترض. وقد تعرَّض جميع هؤلاء المعارضين على ندرتهم لشكل من أشكال ضغط الأقران، حين طلب منهم أن يهونوا على أنفسهم، فهي مجرد مزحة. يوثِّق الباحثون أن الطلاب البيض أنفسهم حين كانوا على مرأى من الملونين (خرجوا من الكواليس إلى الخشبة)، أظهروا مجموعة من السلوكيات ذات الوعي العرقي، بما في ذلك:

- التصرف بلطف مبالغ فيه.
- تحاشي التواصل معهم (على سبيل المثال، عبور الشارع أو تجنب الذهاب إلى نادٍ أو حانة معينة).
- تقليد «تصرفات السود وكلامهم».
- الحرص على عدم استخدام مصطلحات أو ألقاب أو تسميات عنصرية.
- استخدام كلمات مشفَّرة للتحدث بشكل سلبي عن الملونين.

• العنف العرضي الموجَّه إلى الملونين.

في الكواليس، حيث لا يوجد ملونون، غالبًا ما يستخدم الطلاب البيض الفكاهة لتعزيز الصور النمطية عن الأعراق الأخرى، وخاصة السود. يرى بيكا وفيغين أن الغرض من عروض الكواليس هذه هو خلق تضامن أبيض وتعزيز أيديولوجيا تفوق البيض والذكور. يحافظ هذا السلوك على تداول العنصرية، وإن كان بطرق أقل رسمية ولكنها قد تكون أكثر قوة مما كانت عليه في الماضي. لدينا اليوم قاعدة ثقافية تصرُّ على أننا نخفي عنصريتنا عن ذوي البشرة الملونة وننكرها فيما بيننا، لكن لسنا نتحداها بالفعل. في الواقع، نحن نعاقب اجتماعيًّا لتحدينا العنصرية.

كثيرا ما أُسأل عمَّا إذا كنت أعتقد أن جيل الشباب أقل عنصرية. لا، لا أعتقد ذلك. ببعض الطرق، فإن تكيّف العنصرية على مر الزمن أكثر شرًّا من قواعد ملموسة مثل: قوانين جيم كرو[21]. يقود هذا التكيُّف إلى نفس النتيجة (منع ذوي البشرة الملونة من التقدم)، ولكنه تكيُّف وضعه مجتمعٌ أبيض مهيمن لن يعترف أو لا يستطيع الاعتراف بمعتقداته. ينتج هذا التعنت ركيزة أخرى تدعم الهشاشة البيضاء: رفض المعرفة.

# الفصل الرابع: كيف يشكِّل العِرق حياة البيض؟

«أيها البيض: لا أريدكم أن تفهموني بشكل أفضل؛ أريدكم أن تفهموا أنفسكم. فبقاؤكم لم ولا يعتمد أبدًا على معرفتكم بالثقافة البيضاء. بل يستلزم جهلكم».

إيجيوما أولوو[22]

لفهم تعنت البيض عند التحاور معهم حول العرق، نحتاج إلى فهم الأساس الكامن وراء الهشاشة البيضاء: كيف تشكل حقيقة أننا بيض وجهات نظرنا وخبراتنا وردود أفعالنا. يتشارك جميع البيض تقريبًا، في السياقين الغربي عمومًا والأميركي على وجه التحديد، كل جانب يُناقش في هذا الفصل لكون المرء أبيض. في الوقت نفسه، لا يمكن لأي ملوَّن في هذا السياق تقديم الادعاءات نفسها.

**الانتماء**

لقد ولدت في ثقافة أنتمي إليها عرقيًّا. في الواقع، كانت قوى العنصرية تشكِّلني حتى قبل أن ألتقط أنفاسي الأولى. إذا ولدتُ في مستشفى، بغض النظر عن أي عقد ولدت فيه، فإن أبواب أي مستشفى كانت مفتوحة لي لأن والديَّ كانا من البيض. إذا حضر والداي صفًّا من صفوف إعداد الأم لتجربة الولادة، فمن المرجح أن المدرب أو المدربة أبيض، ومن المرجح أن تكون مقاطع الفيديو التي شاهدوها خلال الدورة تصوِّر البيض، زملاؤهم فيها الذين تواصلوا معهم وكونوا روابط اجتماعية كانوا أيضًا من البيض.

عندما قرأ والداي كتيبات الإرشاد حول الولادة وغيرها من المواد المكتوبة، فعلى الأرجح أن الصور كانت تصوِّر بشكل أساسي الأمهات والآباء البيض وكذلك الأطباء والممرضات. إذا أخذا دورة في الأبوة والأمومة، فإن نظريات ونماذج نمو الطفل تستند إلى الهوية العرقية البيضاء. من المرجح أن الأطباء والممرضات الذين حضروا ولادتي كانوا من البيض. وربما كان والداي قلقين من عملية الولادة، ولكن لم يتوجب عليهما القلق والانشغال بكيفية تعامل طاقم المستشفى معهما بسبب عرقهما. تؤكد لي سنوات البحث التي تُظهر التمييز العنصري في الرعاية الصحية أن موظَفَي المستشفى قدَّما إلى والديَّ رعاية صحية ومعالجة جيدة، وأنها رعاية أفضل وأعلى مستوًى من تلك المقدمة إلى الملونين[١].

في المقابل، فإن الأشخاص الذين قاموا بتنظيف غرفة والدتي في المستشفى، وغسل الملابس والأغطية، وطهي الطعام وتنظيفه في الكافتيريا، وصيانة المرافق، كانوا على الأرجح من ذوي البشرة الملونة. كان السياق الذي دخلت فيه إلى العالم منظمًا بشكل هرمي حسب العرق. بناءً على هذا التسلسل الهرمي، يمكننا توقع ما إذا كنت سأنجو أثناء ولادتي بناءً على عرقي. لا يكون عرقي هذا ملحوظًا بينما أتحرك في حياتي اليومية. أنا أنتمي بمجرد أن أدير التلفزيون، وأقرأ الروايات الأكثر مبيعًا، وأشاهد الأفلام الرائجة. أنتمي عندما أمشي بجوار حمَّالة المجلات في المتجر أو أمر بجانب اللوحات الإعلانية بينما أقود سيارتي. أنتمي عندما أرى العدد الهائل من البيض على قوائم «الأشخاص الأجمل». قد أشعر بأنني لست جميلة بمقاييسهم بالنظر إلى عمري أو وزني، لكنني سأنتمي إليهم عرقيًّا. على سبيل المثال، في عام ٢٠١٧، قدمت المغنية ريهانا مجموعة مكياج للنساء من جميع ألوان البشرة. تدفق الامتنان من النساء الملونات، وتضمن العديد من تغريداتهن علامة التعجب «وأخيرًا!»[٢] هذه تغريدات لم أجد نفسي يومًا بحاجة إلى إرسالها.

أنتمي عندما أنظر إلى أساتذتي ومستشاري وزملائي في الفصل. أنتمي عندما أتعلم عن تاريخ بلدي على مدار العام وعندما يظهر لي أبطالها وبطلاتها - جورج واشنطن، وتوماس جيفرسون، وأبراهام لينكولن، وروبرت إي لي، وأميليا إيرهارت، وسوزان بي أنتوني، وجون جلين، وسالي رايد ولويزا ماي ألكوت[٣]. أنتمي حين أنظر إلى كتبي المدرسية وإلى الصور الموجودة على حوائط فصلي. أنتمي عندما أتحدث إلى معلمي أطفالي، عندما أتحدث إلى مشرفي المخيم الذي سيذهبون إليه، عندما أستشير أطباءهم وأطباء أسنانهم. بغض النظر عن الكيفية التي قد أشرح بها سبب كون كل هذه التمثيلات بيضاء بشكل ساحق، فإنها لا تزال تشكل هويتي ونظرتي إلى العالم. في كل موقف أو سياق يُعتبر طبيعيًّا أو محايدًا أو مهمًّا في المجتمع، فإنني أنتمي إلى العرق. هذا الانتماء هو شعور عميق ومستمر كان دائمًا معي. استقر الانتماء عميقًا في وعيي. إنه يشكِّل أفكاري واهتماماتي اليومية، وما أحصل عليه في الحياة، وما أتوقع أن أجده. تجربة الانتماء طبيعية إلى درجة أنني لست مضطرةً إلى التفكير فيها. تأتي اللحظات النادرة التي لا أنتمي إليها عرقيًّا بمثابة مفاجأة، مفاجأة يمكنني الاستمتاع بها بسبب حداثتها مثلما يمكنني تجنبها بسهولة إذا وجدت أنها مقلقة. مثلًا، دعيت إلى حفل التقاعد لصديق أبيض. كانت الحفلة عبارة عن نزهة ممتعة أقيمت في حديقة عامة. بينما كنت أسير على المنحدر نحو مكان إقامة النزهة، لاحظت وجود حفلين مقامين جنبًا إلى جنب. كان أحد التجمعات مؤلفًا بشكل أساسي من البيض، ويبدو أن الآخر كان كل حضوره من السود. شعرتُ بعدم التوازن

عندما اقتربت واضطررت إلى اختيار الحفل الذي ينتمي إليه صديقي. شعرتُ بشعورٍ خفيف من القلق لأنني فكرت أنني قد أضطر إلى الدخول في المجموعة السوداء بالكامل، ثم بارتياح خفيف لأنني أدركت أن صديقي كان في المجموعة الأخرى. تم تضخيم هذا الارتياح لأنني اعتقدت أنني ربما سرت خطأً إلى الحفلة السوداء! حدثت كل هذه الأفكار والمشاعر في ثوانٍ قليلة، لكنها كانت لحظة نادرة من الوعي العرقي الذاتي. كان مجرد احتمال أن أشعر بعدم الانتماء العرقي كافيًا لإثارة الانزعاج العرقي.

من النادر، بالنسبة إليَّ، أن أختبر شعورًا بأنني منتمية عرقيًّا، وعادة ما تكون هذه المواقف مؤقتة جدًّا ويمكن تجنبها بسهولة. في الواقع، إنني تلقيت، طوال حياتي، تحذيراتٍ بضرورة أن أتجنب المواقف التي قد أكون فيها أقلية عرقية. غالبًا ما يتم تقديم هذه المواقف على أنها مخيفة أو خطيرة أو «غامضة». بالمقابل، فإذا وُصِفت البيئة أو الموقف الذي كنت فيه بأنه جيدٌ أو لطيفٌ أو ذو قيمة، فيمكنني أن أكون واثقةً بأنني سأكون منتمية عرقيًّا لهذه البيئة بصفتي بيضاء.

**حرية من دون ثقل العرق**

لأنني لم أنشأ اجتماعيًّا لأرى نفسي ولا أن يراني البيض الآخرون من منظور عرقي، فأنا لا أحمل ثقلًا نفسيًّا عرقيًّا؛ فلا سبب عندي يدعوني إلى القلق بشأن شعور الآخرين تجاه عرقي. ولا أخشى أن يستخدم أحدٌ عرقي ضدي. على الرغم من أنني قد أشعر بعدم الارتياح في بيئة الطبقة العليا، فإنني سأعتبر أن انتمائي إلى هذه الأماكن (لناحية الطبقة) هو أمرٌ مسلمٌ به عرقيًّا. بالتأكيد لن أكون الشخص الأبيض الوحيد هناك، ما لم يتم تنظيم الحدث أو الاحتفال من قبل أشخاص ملونين على وجه التحديد. لم يكن جورج زيمرمان ليوقفني بينما أمشي في ضاحية مسورة في الضواحي.

يكتب باتريك روسال بشكل مؤثر عن الألم الذي شعر به حين طلب منه في احتفال الفائزين بجائزة الكتاب الوطني، الذي يتطلب ارتداء ملابس رسمية، أن يساعد في التخديم على الناس[٤].

«لقد عشت هذا الافتراض بأنني أحد الخدم عدة مرات عندما قمت بتسجيل الدخول في الفنادق مع زملائي الملونين. بل إنني مارسته بنفسي عندما لم أتمكن من إخفاء دهشتي من أن الرجل الأسود هو مدير المدرسة، أو عندما سألت امرأة لاتينية تعمل في حديقتها إذا كان هذا حقًّا منزلها».

ما إن أفكر في الخيارات المهنية، حتى يكون لديَّ عدد لا يحصى من النماذج في مجالات واسعة. عندما أتقدم للحصول على وظيفة، فإن أي

شخص في وضع يسمح بتوظيفي سيكون من نفس عرقي. وعلى الرغم من أنني قد أواجه شخصًا ملونًا أثناء عملية التوظيف، في حال لم أكن أتقدم إلى مؤسسة أسسها أشخاص ملونون على وجه التحديد، فإن أغلب من أتفاعل معهم من نفس عرقي. بمجرد تعييني، لن أضطر إلى التعامل مع استياء زملائي في العمل لأنني حصلت على الوظيفة فقط لأنني بيضاء؛ من المفترض أن أكون الأكثر تأهلًا[٥]. إذا كان هناك أشخاص ملونون في المنظمة مستائين من تعييني، فيمكنني بسهولة صرفهم عني وأنا مطمئنة إلى أن مشاعرهم لن يكون لها وزن كبير. أما إذا نجح استياء الموظفين الملونين في لفت انتباهي، فإنني سأجد من زملائي البيض دعمًا ومصادقة على وجودي، وهؤلاء سوف يطمئنونني أن زملاءنا الملونين هم المتحيزون. نظرًا إلى أن العِرق ليس مشكلة، فيمكنني التركيز في عملي وإنتاجيتي وأن يُنظر إليَّ كلاعب فريق. هذا مثال آخر على مفهوم البياض كملكية الذي نوقش سابقًا؛ بمعنى أن للبياض مزايا سيكولوجية تترجم إلى عوائد مادية.

بينما أعيش يومي، فإن العنصرية ليست مشكلتي. صحيح أنني أدرك كيف أُستُخدم العِرق بشكل جائر ضد الملونين، لكني لم أتعلم أن أعتبر هذه المشكلة مسؤولية ملقاة على عاتقي؛ طالما أنني شخصيًّا لم أُقْدِم على فعلٍ عنصري على حد علمي ووعيي، فالعنصرية ليست مشكلة. يمنحني هذا التحرّر من المسؤولية مستوًى من الاسترخاء العرقي ومساحة عاطفية وفكرية ليست متاحة لذوي البشرة الملونة أثناء تنقلهم خلال يومهم. إنهم لا يفتقرون إلى هذه المزايا لمجرد أنهم أعضاء في أقلية عددية وأنا لست كذلك (الرجال البيض أقلية عددية). يفتقر الملونون إلى هذه الفوائد إذ تجري عرقنتهم racialized داخل ثقافة التفوق الأبيض - وهي ثقافة يُنظر إليهم فيها على أنهم أقل شأنًا، هذا إذا كان يُنظر إليهم على الإطلاق.

كوني نشأتُ في ثقافة تفوق البيض، فأنا أنضح بافتراض مستدخل عميق بالتفوق العرقي. اضطرار الملونين إلى عبور هذا الافتراض يعدّ استنزافًا نفسيًا مجهدًا لهم، لكن لا حاجة لي بأن أشغل نفسي بذلك.

### حرية الحركة

أنا حرة في التنقل تقريبًا، في أي مكان يُنظر إليه على أنه عادي أو محايد أو ذو قيمة. على الرغم من أنني قد أقلق بشأن وضعي الطبقي في بعض الأماكن؛ مثل حضور فعالية من فعاليات «المجتمع الراقي» كافتتاح متحفٍ أو مزادٍ فني، لكنني لن أضطر إلى القلق بشأن عرقي. بل إن هذا سيصبُّ في مصلحتي في هذه الأماكن، لأنه يوفر لي فائدة حسن ظن الآخرين في أنني أنتمي إلى هناك[٦]. كما أنني بالتأكيد لن أكون الشخص الأبيض الوحيد هناك،

ما لم يتم تنظيم الحدث أو الاحتفال من قبل أشخاص ملونين على وجه التحديد. في السنوات الأولى من مسيرتي المهنية كمدربة للتنوع في مكان العمل، شاركت في قيادة ورش العمل مع ديبورا، وهي امرأة أميركية من أصل إفريقي.

بعد جدول سفر مرهق، اقترحتُ أن نخرج لقضاء عطلة نهاية أسبوع مريحة واقترحت بحيرة «كور دالين» في ولاية أيداهو. ضحكت ديبورا على الاقتراح قائلة إن زيارتها لشمال ولاية أيداهو لا تبدو عطلة نهاية أسبوع مريحة لها، فإلى جانب كونها مدينة صغيرة جدًّا، تقع بحيرة «كور دالين» بالقرب من بحيرة «هيدين» حيث كانت الأمة الآرية تبني كومباوند[٧]. ليس كل مَن يعيش في المنطقة ينتمي إلى القوميين البيض اليمينيين، إلا أن مجرد معرفة أن بعض الأشخاص قد يكونون جزءًا من هذه المجموعة العنصرية علنًا كان أمرًا مرعبًا لديبورا. حتى لو لم تكن هناك معسكرات قومية بيضاء منظمة في المنطقة، فإن ديبورا لا تريد أن تكون معزولة في بيئة بيضاء بالكامل وأن يتعيَّن عليها التفاعل مع بيضٍ ربما لم يلتقِ أحدهم بشخص أسود من قبل. ومع ذلك، بصفتي شخصًا أبيض، لم يكن علَيَّ التفكير في أيٍّ من هذا؛ فجميع الأماكن التي أراها جميلةً هي أماكن مفتوحة لي من الناحية العرقية، وأتوقع أن أحظى بتجربة ممتعة ومريحة هناك.

**مجرد ناس**

إحدى الطرق التي شكّل بها البياض حياتي هي أن عرقي يعدُّ معيارًا للإنسانية. البيض هم «مجرد ناس» - نادرًا ما يسمِّي أحد عرقنا ليشير إلينا، هذا إذا تمَّ ذكره أصلًا. فكروا في عدد المرات التي يذكر فيها البيض عِرق شخص ما إن لم يكن من البيض: صديقي الأسود، المرأة الآسيوية. أنا أستمتع بقراءة أدب الشباب، لكنني فوجئت بالإصرار على تسمية أعراق الشخصيات الملونة بل وتسمية أعراق تلك الشخصيات فقط وبالذات.

مثال من المدرسة، لنفكر في الكُتَّاب المفترض منا جميعًا قراءتهم؛ تشمل القائمة عادة إرنست همنغواي، وجون شتاينبك، وتشارلز ديكنز، وفيودور دوستويفسكي، ومارك توين، وجين أوستن ووليام شكسبير. يُنظر إلى هؤلاء الكتاب على أنهم يمثلون التجربة الإنسانية العالمية، ونقرؤهم على وجه التحديد لأننا نفترض أنهم قادرون على التحدث إلينا جميعًا. الآن لنفكر في الكُتَّاب الذين ننتقل إليهم خلال الأحداث والفعاليات التي تعزِّز التنوع - أحداث مثل: «أسبوع المؤلفين متعددي الثقافات» و«شهر التاريخ الأسود». من بين هؤلاء الكتّاب عادة مايا أنجيلو، وتوني موريسون، وجيمس بالدوين، وآمي تان وساندرا سيسنيروس. نلجأ إلى هؤلاء الكتَّاب لنقرأ المنظور الأسود

أو الآسيوي؛ يُنظر دائمًا إلى توني موريسون على أنها كاتبة سوادء، وليست مجرد كاتبة. لكن عندما لا نبحث عن المنظور الأسود أو الآسيوي، نعود إلى الكتَّاب البيض، ونعزز فكرة أن البيض مجرد ناس، وأن الملونين أنواعٌ معينةٌ (مصنفة عرقيًّا) من البشر. يسمح هذا أيضًا بأن يُنظر إلى الكتَّاب البيض (الذكور) على أنهم كتَّاب بلا أجندة أو منظور معين، على العكس من الكتَّاب المصنفين عرقيًّا وجندريًّا.

يعتمد كل تمثيل للإنسان عمليًّا على معايير وصور البيض - من المكياج «بلون البشرة» إلى الرموز التعبيرية القياسية وصولًا إلى تصوير آدم وحواء، وعيسى ومريم، والنماذج التعليمية لجسم الإنسان ذي البشرة البيضاء والعيون الزرقاء[٨]. لنأخذ على سبيل المثال صورة تم تداولها على نطاق واسع وظهرت في صحيفة ديلي ميل لامرأة بيضاء شقراء ذات عينين زرقاوين مكتوب عليها «كيف سيبدو الوجه المثالي علميًّا؟» وأسفل الصورة كُتب السؤال «هل هذا هو الوجه المثالي؟»[٩] يوضح هذا المثال عدة مفاهيم نوقشت حتى الآن: الإطار العرقي الأبيض، البياض كقاعدة بشرية، البياض كجمال مثالي، البياض باعتباره متفوقًا بشكل طبيعي. الفكرة الكامنة وراء هذا الادعاء ليست فقط ملتبسة في حد ذاتها عرقيًّا، بل إنها تستند إلى خلفية حقبة سابقة من العنصرية العلمية وتعززها.

الآن لنفكر في نماذج تنمية الطفل ومراحلها، وكيف تتحدث ثقافتنا عن الأطفال كجماعة. يقدم المنظرون تطور الإنسان كما لو كان ينطبق على جميع الأطفال. في بعض الأحيان، قد نميز بين الأولاد والبنات، ولكن حتى نفعل ذلك، يُفترض أن تشمل الفئات جميع الأولاد أو جميع الفتيات. لنفكر الآن في جميع الآليات التي ناقشتها حتى الآن؛ هل تطور الطفل الآسيوي أو تطور الطفل من السكان الأصليين هو نفسه تطور الطفل الأبيض في سياق تفوّق البيض؟

## التفوق الأبيض

التضامن الأبيض هو الاتفاق غير المعلن بين البيض لحماية ميزة البياض وعدم التسبب في شعور شخص أبيض آخر بعدم الراحة العرقية من خلال مواجهته عندما يقول أو يفعل شيئًا إشكاليًّا من ناحية عرقية. تصف الباحثة التربوية كريستين سليتر هذا التضامن بأنه «رابطة عرقية» بيضاء. لقد لاحظت أنه عندما يتفاعل البيض، فإنهم يؤكدون «موقفًا مشتركًا بشأن القضايا المتعلقة بالعرق، وإضفاء الشرعية على تفسيرات معينة لجماعات الملونين، ورسم حدود تآمرية نحن - هم»[١٠] يتطلب تضامن البيض الصمت حيال أي شيء يفضح مزايا الموقف الأبيض والاتفاق الضمني على البقاء

متحدين عرقيًّا في حماية التفوق الأبيض. كسر التضامن الأبيض هو كسر النظام. نرى تضامن البيض على مائدة العشاء وفي الحفلات وفي أماكن العمل. يمكن للكثيرين منَّا أن يتعاملوا مع العشاء العائلي الكبير الذي يقول فيه العم بوب شيئًا مسيئًا عنصريًّا. ينكمش الجميع دون أن يواجهه أحد منهم لأن لا أحد يريد إفساد العشاء، أو الحفلة التي يروي فيها أحدهم نكتة عنصرية لكننا نلتزم الصمت لأننا لا نريد أن نتهم بالصوابية السياسية ويُطلب منا أن نأخذ الأمور بخفة. في مكان العمل، نتجنب تسمية العنصرية لنفس الأسباب، بالإضافة إلى الرغبة في أن يُنظر إليك كلاعب فريق وتجنُّب أي شيءٍ قد يعرِّض تقدمنا المهني للخطر. كل هذه السيناريوهات المألوفة هي أمثلة على تضامن البيض. (أمَّا لماذا قد يؤدي التحدث عن العنصرية إلى إفساد الأجواء أو يهدِّد تقدمنا الوظيفي فهو شيء قد نرغب في الحديث عنه لاحقًا).

تلعب العواقب الحقيقية لكسر التضامن الأبيض دورًا أساسيًّا في الحفاظ على سيادة البيض. نحن بالفعل نجازف بأن نتعرض للوم والعقوبات الأخرى من زملائنا البيض. قد يتم اتهامنا بالصوابية السياسية أو قد يُنظر إلينا على أننا غاضبون، ونفتقر إلى روح الدعابة، وأصحاب مشاكل، وغير مناسبين للترقي في المؤسسة. لقد شكَّلت هذه العقوبات في حياتي الخاصة نوعًا من الإكراه الاجتماعي. وكثيرًا ما اخترت الصمت في محاولة لتجنب الصراع ورغبةً في أن أكون محبوبة.

وبخلاف ذلك، فحين التزمتُ الصمت بشأن العنصرية، تمت مكافأتي برأس مال اجتماعي كأن يُنظر إليَّ على أن حضوري ممتع وأنني متعاونة ولاعبة فريق. لاحظوا أن المجتمع المتعصِّب للبيض يكافئني على عدم مقاطعة الحديث العنصري ويعاقبني بعدة طرق -كبيرة وصغيرة - عندما أقوم بذلك. يمكنني أن أبرر صمتي لنفسي بأن أقول على الأقل لست أنا من صنع النكتة ولا من قالها، وبالتالي فأنا لست مخطئة. لكن صمتي ليس حميدًا لأنه يحمي ويحافظ على التسلسل الهرمي العرقي وموقعي داخله. كل نكتة لا نقاطعها تعزز تداول العنصرية عبر الثقافة، واحتمالات تداولها تعتمد على تواطئي.

من المؤكد أن ذوي البشرة السمراء يعيشون التضامن الأبيض كشكل من أشكال العنصرية، حينما نفشل في محاسبة بعضنا بعضًا، أو نعدل عن مواجهة العنصرية عندما نراها، أو لا ندعم الملونين في النضال من أجل العدالة العرقية.

أيام زمان الحلوة كشخص أبيض، يمكنني أن أتذكر بصراحة ودون خجل «أيام زمان الحلوة». إضفاء الرومانسية على الماضي والدعوات إلى العودة إلى طرق العيش السابقة هي وظيفة الامتياز الأبيض، التي تتجلى في قدرتنا

على البقاء غافلين عن تاريخنا العرقي. الادعاء بأن الماضي كان أفضل اجتماعيًّا من الحاضر، هو دمغة رسمية تخص التفوق الأبيض. لنتأمل أي حقبة في الماضي من منظور الملونين: ٢٤٦ عامًا من العبودية الوحشية؛ اغتصاب النساء السود لإسعاد الرجال البيض ولإنتاج المزيد من العمَّال المستعبدين؛ بيع الأطفال السود؛ محاولة الإبادة الجماعية للسكان الأصليين؛ قانون إبعاد الهنود[23]؛ المحميات الهندية[24]؛ العبودية بالسخرة؛ الإعدام شنقًا بلا محاكمة Lynching؛ عنف الغوغاء؛ نظام المزَارَعَة، قوانين استبعاد الصينيين[25]؛ اعتقال الأميركيين من أصل ياباني[26]؛ قوانين السود Black Codes[27]؛ قوانين جيم كرو للفصل الإلزامي، حظر خدمة السود في هيئة المحلفين[28]؛ احتكار التصويت؛ تشغيل السجناء في مصانع بالسخرة[29]؛ التعقيم الطبي والتجارب الطبية[30]؛ التمييز في العمل؛ التمييز في التعليم؛ مدارس بمستويات متدنية؛ القوانين المتحيزة؛ ممارسات البوليس؛ الحدُّ الأحمر[31]؛ الرهونات العقارية الضخمة، الحبس الجماعي؛ تمثيلات عنصرية في الإعلام؛ المحو الثقافي؛ الهجمات؛ الاستهزاء؛ المرويات المحرَّفة والمسكوت عنها. يمكنك أن ترى أن الماضي الرومانسي هو مجرد بنية بيضاء. لكنها بنية قوية لأنها تستدعي إحساسًا مستدخلًا بالتفوق والاستحقاق والشعور بأن أيَّ تقدمٍ للملونين يعدُّ تعديًا على هذه الأحقية.

كان الماضي رائعًا للبيض (الرجال البيض على وجه الخصوص) لأن أحدًا لم يكن ليتحدى مواقفهم. لفهم قوة الهشاشة البيضاء، علينا أن نلاحظ أن مجرد التشكيك في تلك المواقف أدى إلى هذه الهشاشة التي حوَّلها ترامب إلى رأس مال لحملته واستغلَّها. ليست هناك خسارة فعلية للسلطة بالنسبة إلى النخبة البيضاء التي سيطرت دائمًا على مؤسساتنا وما زالت تفعل ذلك بهامش واسع جدًّا؛ من بين أغنى خمسين شخصًا على وجه الأرض، تسعة وعشرون أميركيًّا، جميعهم بيض، وجميعهم رجال باستثناء اثنتين (ورثت لورين جوبز ثروة زوجها، ورثت أليس والتون ثروة والدها).

وبالمثل، احتلَّت الطبقة العاملة البيضاء دائمًا المناصب العليا في مجالات ذوي الياقات الزرقاء (مشرفون، وقادة العمال، ورؤساء الإطفاء والشرطة). وعلى الرغم ممَّا للعولمة وتآكل حقوق العمال من تأثير عميق في الطبقة العاملة البيضاء، فإن الهشاشة البيضاء مكَّنت النخبة البيضاء من توجيه غيظ الطبقة العاملة البيضاء نحو الملونين. من الواضح أن هذا الغيظ مضلَّل، بالنظر إلى أن الأشخاص الذين يسيطرون على الاقتصاد والذين تمكَّنوا من تركيز المزيد من الثروة في أيدي قلَّة قليلة من البيض أكثر من أي وقت مضى في تاريخ البشرية هم النخبة البيضاء.

لنضع هذه البيانات حول توزيع الثروة في اعتبارنا:

• منذ عام ٢٠١٥، امتلك أغنى ١٪ من أثرياء العالم ثروة تفوق ما يمتلكه باقي العالم[١١].

• ثمانية رجال يمتلكون نفس القدر من الثروة التي يمتلكها النصف الأفقر من العالم.

• زاد دخل أفقر ١٠ في المئة من الناس أقل من ثلاثة دولارات في السنة بين عامي ١٩٨٨ و٢٠١١، في حين زاد دخل ال ١٪ الأغنى في العالم ١٨٢ ضعفًا.

• في ترتيب بلومبيرغ اليومي لأغنى خمسمائة شخص في العالم فإن أغنى ثلاثة في العالم (بيل غيتس، وارين بافيت، وجيف بيزوس)، وجميعهم رجال أميركيون بيض، ولديهم إجمالي ثروات تبلغ ٨٥ مليار دولار، و٧٩ مليار دولار، و٧٣ مليار دولار على التوالي[١٢]. بالمقارنة، بلغ الناتج المحلي الإجمالي لسريلانكا لعام ٢٠١٥ ما قيمته ٨٢ مليار دولار؛ لوكسمبورغ ٥٨ مليار دولار؛ وآيسلندا ١٦ مليار دولار[١٣].

• من بين أغنى عشرة أشخاص في العالم تسعة رجال بيض[١٤].

• في الفترة من ٢٠١٥ إلى ٢٠١٦، حققت أكبر عشر شركات في العالم معًا إيرادات أكبر من عائدات الحكومة في ١٨٠ دولة مجتمعة.

• في الولايات المتحدة، على مدى الثلاثين عامًا الأخيرة، كان النمو في مداخيل ال٥٠٪ الأفقر صفرًا، في حين نمت مداخيل ال١٪ الأغنى بنسبة ٣٠٠ في المئة.

قدّمت دعوة «لنجعل أميركا عظيمة مرة أخرى» خدمةً كبيرة لتلاعب البيض العرقي، فقادت إلى إبعاد اللوم على الظروف الحالية للطبقة العاملة البيضاء عن النخبة البيضاء، وتسليطه نحو مختلف الأعراق الملونة، على سبيل المثال، تحميل العمَّال غير المسجلين والمهاجرين والصينيين مسؤولية تردي أحوال العمَّال البيض.

إضفاء الرومانسية على القيم العائلية «التقليدية» السائدة في الماضي هي أيضًا معضلة عرقية. فرَّت العائلات البيضاء من المدن إلى الضواحي هربًا من تدفق الملونين، وهي عملية يطلق عليها علماء الاجتماع نزوح البيض White flight[32]. وكتبوا بينهم تعهدات ومواثيق لإبقاء المدارس والأحياء منفصلة وحظروا المواعدة بين الأعراق.

لنأخذ مثلًا مقاومة الآباء البيض الشديدة لركوب الحافلات المشتركة وأشكال الاندماج الأخرى في المدرسة. في قرار المحكمة العليا التاريخي،

قضية براون ضد مجلس التعليم[33]، قضت المحكمة بأن الفصل غير متكافئ بطبيعته وأن المدارس بحاجة إلى إلغاء الفصل العرقي «بسرعة مدروسة». أصبح نقل الأطفال من أحد الأحياء إلى مدرسة في حيٍّ آخر محسوبًا كإستراتيجية رئيسية لإلغاء الفصل العرقي (لم يتم نقل الأطفال البيض إلى المدارس التي يغلب عليها السود؛ بدلًا من ذلك، تحمَّل الأطفال السود رحلات طويلة بالحافلة إلى المدارس التي يغلب عليها البيض). كانت ريجينا ويليامز طالبة سوداء من روكسبري ماساتشوستس، نُقلت في حافلة إلى مدرسة في جنوب بوسطن. وقد وصفت يومها الأول في مدرسة بيضاء تمامًا بأنه يشبه الدخول إلى «منطقة حرب».

أعطى مسؤولو المدرسة والسياسيون والمحاكم ووسائل الإعلام الأسبقية لرغبات الآباء البيض الذين عارضوا بأغلبية ساحقة وبشدة إلغاء الفصل العرقي في المدارس. لم يكن الأميركيون الأفارقة هم من يقاومون جهود الاندماج، كان البيض دائمًا هم من يقاومون[١٥].

نادرًا ما تماشت ممارسة حياتنا كمجموعة من البيض مع القيم التي نعلنها. على الأقل، يعتبر إضفاء المثالية على الماضي مثالًا آخر على التجارب والتصورات البيضاء التي تتم موضعتها على أنها كلية. كيف يكون وقع هذا الحنين إلى الماضي على أي شخص ملون على دراية بتاريخ هذا البلد؟ لقد غرست القدرة على محو هذا التاريخ العنصري والاعتقاد فعليًّا بأن الماضي كان أفضل من الحاضر «للجميع» وعيًا زائفًا لديَّ شخصيًّا ولديَّ كمواطنة قومية.

### البراءة العرقية البيضاء

لأننا لم ننشأ على رؤية أنفسنا من منظور عرقي أو على رؤية الفضاء الأبيض كمساحة مبنية عرقيًّا، فإننا نضع أنفسنا موضع الأبرياء من العرق. سمعتُ في مناسبات لا حصر لها أشخاصًا من البيض يزعمون أن نشأتهم في جو من الفصل العرقي هي التي حمتهم من أن يفكِّروا من منطلق عرقي. في الوقت نفسه، فإننا لكي نتعلم عن العنصرية فلا بد أن ننتقل إلى الأشخاص الملونين، الذين ربما نشؤوا أيضًا في أماكن منفصلة عرقيًّا (بسبب عقود من السياسات القانونية والفعلية التي منعتهم من الانتقال إلى الأحياء البيضاء). ولكن لماذا لا يكون الملونون الذين نشؤوا في الفصل العرقي أبرياء أيضًا من العرق؟ أطلب من قرائي أن يفكروا بعمق في فكرة أن الفصل الأبيض بريء عرقيًّا.

لا يُنظر إلى الأشخاص الملونين كأبرياء من التفكير عرقيًّا، فمن المتوقع أن يتحدثوا عن قضايا العِرق (لكن ينبغي أن يفعلوا ذلك بشروط بيضاء). هذه

الفكرة -أن العنصرية ليست مشكلة بيضاء - تمكننا من الجلوس وترك الملونين يتحمَّلون مخاطر حقيقية جدًّا من الانتقام وإبطال مصداقية تجاربهم أثناء مشاركتهم إياها معنا. أمَّا نحن فلسنا مطالبين بأن نتحمل مخاطر عرقية مماثلة. هم العِرق ليس نحن، وبالتالي فهم أصحاب المعرفة العرقية. هكذا، نضع أنفسنا كما لو كنا نقف خارج العلاقات الاجتماعية الهرمية.

قد يُنظر إلى «نزوح البيض» على أنه مظهر آخر من مظاهر البراءة العرقية البيضاء، حيث يتم تبريره غالبًا بالاعتقاد بأن الملونين (وخاصة السود مرة أخرى) أكثر استعدادًا لارتكاب الجريمة وإذا انتقل «عددٌ كبيرٌ جدًّا» من السود إلى الحيِّ، فسوف تزداد الجريمة وتنخفض قيمة المساكن ويتدهور الحي. على سبيل المثال، في دراسة أجراها عالما الاجتماع هيذر جونسون وتوماس شابيرو، حول العِرق وتصورات الجريمة، ناقشت العائلات البيضاء باستمرار الخوف من الجريمة وخصوصًا الجريمة المرتبطة بالأشخاص الملونين. في أذهانهم، كلما زاد عدد الملونين في منطقة ما (السود واللاتينيين على وجه التحديد)، اُعتُبرت المنطقة أكثر خطورة. لا يصمد هذا الربط بين الملونين والجريمة في دراسات بيانات التعداد السكاني وإحصاءات الجريمة في أقسام الشرطة، رغم هذا لا تهدئ هذه الإحصائيات من مخاوف البيض. بالنسبة إلى معظم البيض، ترتبط نسبة الشباب الملونين في الحيِّ ارتباطًا مباشرًا بتصوراتهم عن مستوى الجريمة في الحي[١٦].

هذه الربط الأبيض العميق بين السود والجريمة يشوِّه الواقع والاتجاه الحقيقي للخطر الذي كان موجودًا تاريخيًّا بين البيض والسود. ومن خلال زعم البيض براءتهم العرقية، يتم التقليل من شأن التاريخ الواسع من العنف الصريح والوحشي الذي يرتكبه البيض وتبريراتهم الأيديولوجية له. وبالتالي، جرى التعتيم على القوة التي نمارسها الآن والتي مارسناها منذ قرون.

في كثير من الأحيان، يتم توقيف السود واللاتينيين من قبل الشرطة أكثر مما يتم توقيف البيض بسبب الأفعال نفسها، ويتلقى السود واللاتينيون أحكامًا أقسى من تلك التي يتلقاها البيض عن نفس الجرائم. وأظهرت الأبحاث أيضًا أن سببًا رئيسيًّا لهذا التفاوت العرقي يمكن أن يُعزى إلى المعتقدات التي يتبناها القضاة وغيرهم حول سبب الجريمة[١٧]. مثلًا، غالبًا ما يُنظر إلى السلوك الإجرامي للأحداث البيض على أنه نتاج عوامل خارجية - يأتي الشاب من منزل محطم بأم وحيدة أو أب وحيد، فهو يواجه محنةً وقت ارتكابه الجرم، أو أنه كان في المكان الخطأ في الوقت الخطأ، أو أنه تعرَّض للتنمر في المدرسة. عزو دوافع الجريمة إلى عوامل خارجية يقلل من مسؤولية مرتكبها، بل ويصنف هذا الشخص على أنه ضحية ظروفه. في حين لا ينال الشباب السود واللاتينيون التعاطف نفسه.

عندما يمثل الشباب من السود واللاتينيين أمام قاضٍ ففي الأغلب يُعزى سبب الجريمة إلى شيء داخل الشخص - فهؤلاء بطبيعتهم لديهم قابلية أكثر لارتكاب الجريمة، وهم أكثر حيوانية، وميلهم إلى الندم أقل (وبالمثل، ففي عام ٢٠١٦ وجدت دراسة أن ٥٠٪ من عينة من طلاب الطب والأطباء المتدربين يعتقدون أن شعور السود بالألم أقل من شعور البيض)[١٨]. يستفيد البيض باستمرار من افتراض حسن النية، الذي لا يُمنح للملونين - فعرقنا وحده يساهم في إثبات براءتنا.

لهؤلاء الذين منَّا، ممن يعملون على رفع مستوى الوعي العرقي لدى البيض، فإن مجرد إقناعهم بأن عرقنا يمنحنا مزايا هو جهدٌ كبير؛ ردود الفعل دفاعية، والإنكار والمقاومة عميقة. لكن الاعتراف بالامتيازات التي يمنحنا إياها البياض ليس سوى خطوة أولى، إذ يمكن استخدام هذا الاعتراف بطريقة تجعله بلا معنًى ويسمح لنا نحن البيض بإعفاء أنفسنا من المزيد من المسؤولية. على سبيل المثال، كثيرًا ما سمعتُ البيض يقولون باستخفاف: «فقط بسبب لون بشرتي لديَّ امتيازات»، عبارات مثل هذه تصف الامتياز كما لو كان صدفة، شيء يحدث لنا أثناء تقدمنا في الحياة، دون أي مشاركة أو تواطؤ من جانبنا.

ينتقد الباحث في دراسات العِرق والناقد زيوس ليوناردو مفهوم الامتياز الأبيض باعتباره شيئًا يتلقاه البيض عن غير قصد. يقول إن هذا المفهوم مشابه لاقتراح أن ثمة شخصًا يسير إلى جانب أشخاص آخرين ويحشوا جيوبهم بالأموال دون أي وعي أو موافقة منهم. يتحدى ليوناردو هذا التصور المفاهيمي، الذي يضع الامتياز الأبيض موضع البراءة، بالقول إنه «لكي تشبع الهيمنة العرقية البيضاء في الحياة اليومية، فلا بد من حمايتها من خلال عملية هيمنة، أو من خلال تلك الأفعال والقرارات والسياسات التي يرتكبها البيض في حق الملونين»[١٩]. إن النظر إلى الامتيازات على أنها شيء قد أُعطي للبيض فقط، يحجب الأبعاد الممنهجة للعنصرية التي يجب الحفاظ عليها بشكل مقصود ومُضمر وبوعي ودون وعي.

القول بأن على الملونين تعليم البيض عن العنصرية، هو جانب آخر من جوانب البراءة العرقية البيضاء التي تعزز العديد من الافتراضات العرقية الخاطئة. أولًا، إنه يشير ضمنًا إلى أن العنصرية شيء يحدث لذوي البشرة الملونة وليس له علاقة بنا، وبالتالي لا يُتوقع منا معرفة أي شيء عنه. هذا الإطار ينفي أن العنصرية هي علاقة تشمل كلتا المجموعتين. ومن خلال ترك الأمر لذوي البشرة الملونة يقاربون القضايا العرقية، فإننا نزيح عن كاهلنا التوترات والمجازفة الاجتماعية بالتحدث صراحة عنهم. فيمكننا أن نتجاهل المجازفة ونظل صامتين بشأن الأسئلة المتعلقة بإدانتنا.

ثانيًا، هذا الطلب لا يستلزم منا شيئًا، بل إنه يعزز علاقات القوة غير المتكافئة عبر مطالبة ذوي البشرة الملونة بأن يقوموا بعملنا. هناك مصادر كثيرة متاحة حول هذا الموضوع أسسها أشخاص ملونون كانوا على استعداد لمشاركة المعلومات؛ فلماذا لم نبحث عنها قبل هذا الحديث؟

ثالثًا، يتجاهل الطلب الأبعاد التاريخية للعلاقات العرقية. إنه يتجاهل كم من مرةٍ حاول فيها الملونون بالفعل إخبارنا بماهية العنصرية بالنسبة إليهم ووقعها عليهم وكم مرة قمنا بصرفهم عنا. إن مطالبة الملونين بإخبارنا كيف يعيشون العنصرية دون بناء علاقة ثقة أولًا والاستعداد لمقابلتهم في منتصف الطريق يُظهر أننا لسنا واعين عرقيًّا وأن هذا التفاعل بيننا لن يفعل شيئًا إلا أنه سينزع المصداقية عن معاناتهم.

حيوات مفصولة في برنامج حواري تلفزيوني أُذيع في عام ١٩٦٥، رد جيمس بالدوين على حجة أستاذ بجامعة ييل من أن بالدوين يركز في كتاباته دائمًا على اللون:

«لا أعرف ما إذا كان المسيحيون البيض يكرهون الزنوج أم لا، لكني أعرف أن لدينا كنيسة مسيحية بيضاء وكنيسة مسيحية سوداء. أعلم أن أكثر ساعات الفصل العرقي في الحياة الأميركية هي منتصف ظهر يوم الأحد... لا أعرف ما إذا كانت النقابات العمالية ورؤساؤها يكرهونني حقًّا... لكني أعلم أنني لست في نقاباتهم. لا أعرف ما إذا كان اللوبي العقاري ضد السود لكنني أعلم أن جماعات الضغط العقارية تبقيني في الغيتو. لا أعرف ما إذا كان مجلس التعليم يكره السود، لكني أعرف الكتب المدرسية التي يدرسها أولادي والمدارس التي يتعيَّن علينا الذهاب إليها. هذا ما أعدُّه دليلًا. أنت تريد مني أن أقوم بعمل مدفوعًا بالإيمان، وأن أخاطر بحياتي من أجل مثالية تؤكد لي أنت وجودها في أميركا، بينما أنا لم أرها في حياتي من قبل»[٢٠].

يجري تشكيل الحياة في الولايات المتحدة على نحوٍ عميق من خلال الفصل العرقي. ومن بين كل المجموعات العرقية، يُرجح أن البيض هم الذين يختارون الفصل العرقي، وأنهم المجموعة الوحيدة التي يمكِّنها وضعها الاجتماعي والاقتصادي من القيام بذلك[٢١]. إن النشأة في ظل الفصل العنصري (مدارسنا، وأماكن العمل، والأحياء، وأماكن التسوق، ودور العبادة، والترفيه، والتجمعات الاجتماعية، وغيرها) تعزز الرسالة التي مفادها أن ما يهم هو تجاربنا ووجهات نظرنا فقط بعيدًا عن تجارب الآخرين ووجهات نظرهم. نحن لا نرى الأشخاص الملونين من حولنا، والقليل من الراشدين، إن وجدوا، يعترفون بنقص التنوع العرقي كمشكلة. في الواقع، إن تصنيف الأحياء بالجيدة والسيئة أمرٌ يعتمد دائمًا على العرق. قد تستند هذه التقييمات أيضًا إلى التقسيمات الاقتصادية بين البيض أنفسهم، ولكن إذا التحق الطلاب

السود واللاتينيون بالمدرسة بأعداد كبيرة (كبيرة بحساب البيض)، فسينظر البيض إلى المدرسة باعتبارها سيئة. وإذا كان هناك ملونون موجودن حولنا، فقلّما نلاقي تشجيعًا على بناء صداقات عابرة الأعراق.

في الأغلب يقل الفصل العرقي إلى حدٍّ ما بالنسبة إلى البيض الفقراء، والذين قد يعيشون بالقرب من الملونين على المستوى المحلي ولديهم صداقات معهم، لأن الفقر الأبيض يقرِّب البيض من الفقراء الملونين على نحوٍ لا يحدث في الضواحي ومناطق الطبقة المتوسطة (باستثناء ما يحدث خلال عمليات السراوة أو الاستطباق Gentrification[34] عندما يكون الاختلاط العرقي مؤقتًا). قد يتمتع بيض الطبقات الدنيا بحياة أكثر تكاملًا على المستوى الجزئي، لكننا ما زلنا نتلقى رسالة مفادها أن الإنجاز يعني الابتعاد عن الأحياء والمدارس التي تكشف فقرنا. الانتقال إلى أعلى هو الهدف الطبقي العظيم في الولايات المتحدة، حيث تصبح البيئة الاجتماعية أكثر بياضًا بشكل ملموس كلما صعدت إلى أعلى. وينظر إلى البيئات الأكثر بياضًا، بدورها، على أنها أكثر البيئات المرغوبة.

بالنسبة إلى البيض المنتقلين صعودًا من الطبقات الدنيا، فإن الوصول إلى الأماكن الأكثر قيمة في المجتمع يعني عادةً ترك الأصدقاء والجيران الملونين خلفهم. على سبيل المثال، نشأتُ في مناطق التطوير الحضري الفقيرة، وعشت في مبانٍ سكنية مليئة بالشقق المستأجرة في أحياء مزدحمة. في طفولتي، كان هناك الكثير من الأشخاص الملونين حولي. لكنني كنت أدرك أنني إذا كنت سأحسِّن حياتي، فلن أبقى في هذه الأحياء؛ الحركة التصاعدية ستأخذني إلى مساحات أكثر بياضًا، وقد فَعَلَت. لم أحافظ على تلك العلاقات المبكرة مع الأشخاص الملونين، ولم يشجعني أي شخص ممن كنت أعدُّه معلمًا وموجهًا لي في حياتي على القيام بذلك. كان الفصل العرقي لا يزال فاعلًا في حياتي على المستوى المجتمعي الأوسع: لقد أملى عليَّ ما تعلمته في المدرسة، وقرأته في الكتب، وشاهدته على التلفزيون، وكل ما تربيَّت على أنه له قيمة إن أردت تحسين حياتي.

حكم الجدارة هو أيديولوجيا أثيرة في الولايات المتحدة، ولكن الأحياء السكنية والمدارس ليست متساوية بشكل واضح؛ إنها منفصلة عرقيًّا وغير متكافئة. تختلف القواعد الضريبية والموارد المدرسية والمناهج والكتب المدرسية وفرص الأنشطة اللامنهجية ونوعية أعضاء هيئة التدريس بشكل كبير بين المناطق التعليمية. من منا لا يدرك أن المدارس في الولايات المتحدة غير متكافئة إلى حد كبير؟ من دون اهتمام البيض، من دون أن يستثمروا جهودهم في تغيير نظام يخدمهم على حساب الآخرين، فإن الامتياز ينتقل من جيل إلى جيل. بدلًا من تغيير هذه الظروف بحيث يكون التعليم

العام متساويًا للجميع، نسمح لأطفال الآخرين بتحمل ظروف لا نقبلها لأطفالنا.

وجدت دراسة نُشرت عام ٢٠٠٩ في «المجلة الأميركية للتعليم» أنه بينما يقول أولياء الأمور في الضواحي، ومعظمهم من البيض، إنهم يختارون المدارس على أساس معدلات النجاح فيها، فإن التركيب العرقي للمدرسة يلعب في الواقع دورًا أكبر في قراراتهم بشأن اختيار المدرسة. وجدت إيمي ستيوارت ويلز، أستاذة علم الاجتماع والتعليم في كلية المعلمين بجامعة كولومبيا، نفس اللغة المشفرة عندما درست كيف يختار الآباء البيض المدارس في مدينة نيويورك. تكتب، «في حقبة ما بعد العرق، لا يتعين علينا أن نقول إن الأمر يتعلق بالعِرق أو لون الأطفال في المبنى. إننا نجمّع الفقر مع الأطفال الملونين بشكل مركّز في مكان واحد، ثم نفشل في توفير الموارد لدعم هذه المدارس وإدامتها، وبعد ذلك يمكننا رؤية مدرسة مليئة بالأطفال السود ونقول: «أوه، انظر إلى نتائج امتحاناتهم». كل شيء ممنهج، هذا النظام برمته ممنهج[٢٢]. لا شك في أن القراء قد سمعوا عن مدارس وأحياء جرى الحديث عنها أمامهم بهذه المصطلحات ويعرفون أن هذا الحديث مشفَّر عرقيًّا؛ «الحي تحت التطوير» urban و«معدلات النجاح المنخفضة» هي شَفرة للقول إنها ليست بيضاء وبالتالي فإن الرغبة فيها أقل.

في حين يرى كثير من البيض أن المساحات التي يسكنها أكثر من بضع من الملونين هي مناطق غير مرغوب فيها بل إنها خطيرة، لنرَ المسألة من منظور آخر؛ لقد سمعت عددًا لا يحصى من الملونين يصفون حجم الألم في تجربة أن تكون واحدًا من عدد قليل من الملونين في مدارس البيض وأحيائهم. على الرغم من أن العديد من الآباء من ذوي البشرة الملونة يريدون المزايا الممنوحة لأبنائهم من خلال إلحاقهم بالمدارس التي يغلب عليها الطلاب البيض، إلا أنهم قلقون أيضًا بشأن الضغط، بل وحتى الخطر، الذي يضعون أطفالهم فيه. يفهم هؤلاء الآباء أن القوة التعليمية التي يغلب عليها البيض تملك القليل من المعرفة الحقيقية حول الأطفال الملونين، إن وُجدت مثل هذه المعرفة أصلًا، وقد تمت تنشئتهم اجتماعيًّا (في الأغلب دون وعي) على رؤية الأطفال الملونين على أنهم أدنى درجة بل والخوف منهم. تخيَّل كيف أن المدارس البيضاء، الأثيرة جدًّا عند الآباء البيض، تبدو خطرة في عين الآباء الملونين.

قد تكون الرسالة الأكثر عمقًا للفصل العرقي هي أن غياب الأشخاص الملونين عن حياتنا ليس خسارةً حقيقية. لم ينقل لي شخصٌ واحدٌ ممن أحبني أو وجهني أو علمني أن الفصل العرقي حرمني من أي شيء له قيمة. يمكنني أن أعيش عمري كله بدون صديق أو أحد مقرَّب مني أو حبيب من ذوي البشرة السمراء أو السوداء ولا أرى أن ذلك ينتقص من حياتي. في

الواقع، من شبه المؤكد أن مسار حياتي كلها سيكفل أن يكون لدي القليل من الأصدقاء والمعارف من ذوي البشرة الملونة، إن وجدوا. ربما أقابل عددًا قليلًا منهم إذا لعبت بعض الألعاب الرياضية في المدرسة، أو إن كان هناك طالب أو اثنان منهم في صفي، لكن عندما كنت خارج هذا السياق، لم يكن لديَّ أيُّ قرب من الملونين، ناهيك عن أي علاقات حقيقية. نادرًا ما يحتفظ معظم البيض الذين يتذكرون أن لديهم صديقًا أو صديقة من ذوي البشرة الملونة في الطفولة بهذه الصداقات في مرحلة البلوغ. ومع ذلك، لو كان والداي يعتقدان أنه من المفيد أن تكون لديَّ علاقات مع أشخاص من أعراق مختلفة، لكانوا قد حرصوا على أن تكون لديَّ هذه العلاقات حتى لو تطلب الأمر جهدًا، نفس الجهد الذي يبذله العديد من الآباء البيض لإرسال أطفالهم عبر المدينة للالتحاق بمدرسة أفضل (أكثر بياضًا).

توقفوا للحظة وفكروا في عمق هذه الرسالة: لقد تعلمنا أن الفصل العرقي لا يُفقدنا شيئًا له قيمة. ضع في اعتبارك الرسالة التي نرسلها إلى أطفالنا -وكذلك إلى الأطفال الملونين - عندما نصف الفصل العرقي الأبيض بأنه أمرٌ جيد.

باختصار، فإن تنشئتنا الاجتماعية تولِّد مجموعة مشتركة من الأنماط السلوكية العرقية التي تقوم عليها الهشاشة البيضاء، وهذه الأنماط:

• تفضيل الفصل العرقي، وعدم الشعور بالخسارة بسببه.

• عدم فهم ماهية العنصرية. أن نعتبر أنفسنا، كأفراد، معفيِّين من قوى التنشئة الاجتماعية العرقية.

• الفشل في إدراك أننا نحضر تاريخ جماعتنا معنا، وأن هذ التاريخ له وزن.

• الافتراض الذي نحمله من أن كل شخص لديه تجربتنا أو أن بمقدوره أن يعيشها ويحصل عليها.

• غياب التواضع العرقي، وعدم الرغبة في الإصغاء إلى الآخر.

• نبذ ما لا نفهمه.

• عدم الاهتمام الحقيقي بوجهات نظر الملونين.

• الرغبة في تجاوز العمل الشاق وبذل الجهد في الاشتغال على أنفسنا والقفز إلى «الحلول».

• الخلط بين ما نختلف عليه وما لا نفهمه.

• الحاجة إلى الحفاظ على التضامن الأبيض، لحفظ ماء الوجه، لنبدو بمظهر جيد.

- الشعور بالذنب الذي يشل أو يسمح بالتقاعس عن العمل.
- الدفاع ضدَّ أي إيحاء بأننا مرتبطون بالعنصرية.
- التركيز في النوايا وليس على التأثير.

لقد تطورت نفسيًّا-اجتماعيًّا في ثقافة التفوق الأبيض، حيث أنا في المجموعة المتفوقة. إن إخباري بمعاملة الجميع بنفس الطريقة لا يكفي لتجاوز هذه التنشئة الاجتماعية؛ كما أنه ليس ممكنًا. لقد نشأتُ في مجتمع علَّمني أنه لا توجد خسارة في غياب الملونين -وأن غيابهم كان أمرًا جيدًا ومرغوبًا يجب البحث عنه والمحافظة عليه - مع إنكار هذه الحقيقة في نفس الوقت.

لقد شكّل هذا الموقف كل جانبٍ من جوانب هويتي الذاتية: اهتماماتي واستثماراتي، وما يهمني وما لا أهتم به، وما أراه وما لا أراه، وما أنجذب إليه، وما الذي أنفر منه، وما أعدُّه أمرًا مفروغًا منه، وأين يمكنني الذهاب، وكيف يستجيب الآخرون لي، وما يمكنني تجاهله. معظمنا لن يختار الانخراط في تنشئة اجتماعية قائمة على العنصرية وتفوق البيض. للأسف، لم يكن لدينا هذا الخيار. وفي حين كان هناك تباين في كيفية نقل هذه الرسائل ومقدار استيعابنا لها، فلا شيء يمكن أن يعفينا من هذه الرسائل تمامًا. الآن تقع على عاتقنا مسؤولية التعامل مع ظهور هذه التنشئة الاجتماعية في حياتنا اليومية وكيف تشكل استجاباتنا عندما نكون في موقف يضعنا في تحدٍّ مع ما نشأنا عليه وما نعتقد أنها قناعاتنا الشخصية.

# الفصل الخامس: ثنائية جيد/سيئ

إنه ليس عنصريًّا، فهو رجل لطيف حقًّا.

يستكشف هذا الفصل ما قد يكون التكييف الأكثر فعالية للعنصرية في التاريخ الحديث: ثنائية جيد/سيئ[١]. قبل حركة الحقوق المدنية، كان من المقبول اجتماعيًّا أن يصرِّح البيض علانية بإيمانهم بتفوقهم العرقي. لكن عندما رأى الشماليون البيض العنف الذي تعرض له السود -بمن فيهم النساء والأطفال - خلال احتجاجات الحقوق المدنية، شعروا بالفزع. أصبحت هذه الصور النماذج الأولية للعنصريين. بعد حركة الحقوق المدنية، بات من غير الممكن أن تكون شخصًا صالحًا وأخلاقيًّا وأن تكون شريكًا في العنصرية. لا يمكنك أن تكون شخصًا طيبًا وأن تشارك في العنصرية؛ السيئون فقط هم العنصريون. (خلال حركة الحقوق المدنية في الستينيات، سمحت صور الاضطهاد للسود في الجنوب، للبيض الشماليين، باعتبار أن العنصريين دائمًا جنوبيون).

لإنجاز ذلك التكييف، كان لا بد أولًا من اختزال العنصرية في أنها ببساطة مجرد أعمال تعصُّب معزولة ومتطرفة. ولا بد أن تكون هذه الأفعال متعمَّدة وخبيثة ومبنية على كراهية واعية لشخص ما بسبب عرقه. والعنصريون هم هؤلاء البيض الجنوبيون، يبتسمون ويتنزهون تحت الأشجار التي استُعملت مشانق للسود؛ وهم أصحاب المتاجر الذين يعلِّقون لافتات «للبيض فقط» فوق نوافير مياه الشرب التي وُضعت لتخدم المارة مجانًا؛ والعنصريون هم بيض جنوبيون محترمون[35] يضربون أطفالًا أبرياء، مثل: إيميت تيل[36]، حتى الموت.

بعبارة أخرى، كان العنصريون هم البيض الجنوبيين اللئام، والجهلاء، وكبار السن، وغير المتعلمين. أما الطيبون اللطفاء، أصحاب النوايا الحسنة، أبناء الطبقة المتوسطة المنفتحين، أولئك الذين نشؤوا في «الشمال المستنير»، فلا يمكن أن يكونوا عنصريين.

رغم أن جعل العنصرية سيئة يبدو تغييرًا إيجابيًّا، لكن علينا أن ننظر في الكيفية التي يعمل بها هذا التغيير عند الممارسة. ضمن هذا النموذج، فإن الإيحاء بأنني عنصريٌّ هو توجيه ضربةٍ أخلاقيةٍ عميقة؛ نوعٌ من اغتيال الشخصية. بعد تلقي هذه الضربة، عليَّ أن أدافع عن شخصي، وسأصرف كل طاقتي إلى ذلك، إبعاد التهمة عني، بدلًا من التفكير في سلوكي. مع ثنائية الجيد/السيئ، يصبح من المستحيل تقريبًا التحدث إلى البيض حول العنصرية وماهيتها، وكيف تشكَّلنا جميعًا، والطرق التي نجد أنفسنا مضطرين بشكل لا

يمكن تحاشيه إلى المشاركة فيها. إذا لم نتمكن من مناقشة هذه الديناميكيات أو رؤية أنفسنا داخلها، فلا يمكننا التوقف عن المشاركة في العنصرية. لقد جعلت ثنائية الجيد/السيئ من المستحيل فعليًّا على الشخص الأبيض العادي أن يفهم العنصرية، ناهيك عن أن يقف في وجه استمراريتها. يقول الباحث والمخرج الأميركي من أصل إفريقي أوميل أكينتونده:

«العنصرية هي ظاهرة ممنهجة ومجتمعية ومؤسسية وموجودة في كل مكان ومتضمنة إبستمولوجيًّا بحيث أنها تسود كل جوانب واقعنا. ومع ذلك، بالنسبة إلى معظم البيض، فإن العنصرية مثلُ القتل: المفهوم موجود، لكن يجب على أحد ما أن يرتكبه من أجل حدوثه. هذه النظرة المحدودة لمثل هذه المتلازمة متعددة الطبقات ترعى الطبيعة الشريرة للعنصرية، وفي الواقع، إنها تُبقي على الظواهر العنصرية بدلًا من القضاء عليها»[٢].

إن إطار جيد/سيئ ليس إلا قسمة خاطئة؛ من حيث أن لدى جميع الناس تحيزاتهم وتعصباتهم، خاصة عبر الحدود العرقية في مجتمع منقسم أصلًا وبعمق بناء على العرق. يمكن أن يخبرني والديَّ أن الجميع متساوون، ويمكن أن يكون لديَّ أصدقاء ملونين، وقد لا أقول نكاتًا عنصرية. ومع ذلك، فأنا ما زلت متأثرًا بقوى العنصرية كعضو في مجتمع تشكِّل العنصرية أساسه. سيُنظر إليَّ دائمًا على أنني أبيض، وأعامل كأبيض، وأختبر الحياة كشخص أبيض. ستتطور هويتي وشخصيتي واهتماماتي وتطلعاتي من منظور أبيض. سيكون لديَّ رؤية بيضاء للعالم وإطار مرجعي أبيض. في مجتمع يكون فيه العِرق مهمًّا بوضوح، فإن عرقنا يشكِّلنا بعمق. إذا أردنا تحدي هذا البناء، فيبنغي علينا إجراء محسابة صادقة لكيف يتجسد العِرق ويظهر في جوانب حياتنا وفي المجتمع من حولنا.

على الرغم من حدوث أعمال عنصرية فردية، فإن هذه الأفعال جزء من نظام أكبر من الآليات المتشابكة. هذا التركيز في الحوادث الفردية يخفي التحليل الشخصي والبينشخصي والثقافي والتاريخي والبنيوي الضروري لتحدي هذا النظام الأكبر. إن الفكرة التبسيطية المتمثلة في أن العنصرية تقتصر على الأفعال الفردية المتعمدة التي يرتكبها أشرار هي أساس كل الموقف الدفاعي الذي يأخذه البيض تقريبًا بهذا الخصوص. لتجاوز هذا الموقف الدفاعي علينا التخلي عن هذا الاعتقاد الشائع.

من المؤكد أن ثنائية جيد/سيئ تحجب الطبيعة البنيوية للعنصرية وتجعل من الصعب علينا رؤيتها أو فهمها. بنفس القدر من المراوغة يمتد تأثير مثل هذه النظرة الشاملة إلى أفعالنا. إذا كنت، كشخص أبيض، أفهم العنصرية على أنها ثنائية وأضع نفسي في الجانب «غير العنصري»، فما الإجراء الإضافي المطلوب مني؟ لا يلزم اتخاذ أي إجراء، لأنني لست عنصريًّا. لذلك،

العنصرية ليست مشكلتي. ليست شأني وليس عليَّ القيام بأي شيء. تعفيني هذه النظرة العامة الشاملة من أن أبني مهارات جديدة لأفكر في العنصرية تفكيرًا نقديًّا، أو من أن استخدم موقفي لتحدي اللامساواة العرقية.

تُستخدم ثنائية جيد/سيئ تقريبًا كل يوم في عملي كمستشارة في قضايا العدالة العرقية. وظيفتي هي مساعدة الأفراد والمؤسسات على رؤية كيف تتجلى العنصرية في ممارساتهم ونتائجهم. عادةً ما يتم استقبالي جيدًا عند التحدث بعبارات عامة، على سبيل المثال: «اشتراطكم أن يكون المتقدمون حاصلين على درجة متقدمة بدلًا من خبرة معادلة، يقود تلقائيًّا إلى استبعاد بعض المتقدمين الذين قد يجلبون وجهات النظر والخبرات التي تقولون إنكم تبحثون عنها». ومع ذلك، عندما أشير إلى لحظة ملموسة في الغرفة تتجلى فيها عنصرية شخص ما، تندلع الهشاشة البيضاء.

على سبيل المثال، كنت أعمل مع مجموعة من المعلمين، حيث نجتمع بانتظام لمدة ثماني جلسات على الأقل. تألفت المجموعة من «فرق العدالة» The equity teams في نظام المدارس العامة، وهي مجموعة اختير أفرادها مباشرة من قبل الأشخاص الذين يريدون دعم جهود تحقيق المساواة والعدالة في مدارسهم. كنت قد انتهيت فورًا من عرضٍ تقديمي دام ساعة بعنوان: «رؤية الماء: البياض في الحياة اليومية». تم تصميم هذا العرض التقديمي لإبراز الرسائل المتواصلة والملحة للتفوق الأبيض وما ينتج من ذلك من تشرُّب البيض لهذه الرسائل بعمق في داخلهم. بدت الغرفة منفتحة ومستقبلة، مع إيماء الكثير من الناس بالاتفاق. ثم رفعت معلمة بيضاء يدها وأخبرت قصة عن تفاعل حدث أثناء قيادتها السيارة جنبًا إلى جنب مع مجموعة من الآباء احتجاجًا على فجوة التحصيل في مدرستها. ثم شرعت في تقليد أم بعينها أساءت إليها. «أنتم لا تفهمون أطفالنا!» صرخت هذه الأم موجهة كلامها إلى المعلمة بينما تقود سيارتها بجانبها. من خلال الطريقة النمطية التي قلَّدت بها المعلمة البيضاء الأم، عرفنا جميعًا أن الأم سوداء. بدت الغرفة وكأن كل من فيها يحبس أنفاسه بينما المعلمة تقلِّد الأم تقليدًا كان يقترب من السخرية العرقية. وبينما كانت المعلمة تصل إلى استنتاجها الأخير، وبعد تفكير، أدركت أن الأم كانت على حق بالفعل وأنها حقًّا لا تفهم الأطفال الملونين، كان الدافع العاطفي للقصة هو استياءها من الأم لقيامها بهذا الافتراض في الأساس. بالنسبة إلى من في الغرفة فقد كان التأثير العاطفي يكمن في تقليدها التنميطي لامرأة سوداء غاضبة.

مع نهاية القصة، كان عليَّ أن أقرِّر: هل يجب أن أتصرف بنزاهة وأن أوضح ما المشكلة، عرقيًّا، في القصة؟ ففي نهاية الأمر، لقد عُيِّنت حرفيًّا لكي أجعل العنصرية مرئية. علاوة على ذلك، لا بد أن المعلمين الأميركيين من أصل إفريقي ممن كانوا حاضرين في الغرفة قد لاحظوا الكليشيه العنصري

الذي سمعناه فورًا. إن لم أتدخل، فأنا بالنسبة إليهم مجرد بيضاء أخرى اختارت حماية مشاعر البيض بدلًا من قطع الطريق على العنصرية - بيضاء تطرح نفسها كمستشارة للعدالة العرقية لا أقل! ومع ذلك، كنت سأخاطر بخسارة المجموعة كلها، نظرًا إلى احتمال أن تأخذ المرأة موقفًا دفاعيًّا وتنغلق الغرفة وتنقسم إلى أولئك الذين اعتقدوا أنني أسأت معاملتها وأولئك الذين لا يعتقدون ذلك. قررت أن أفعل ما من شأنه أن يحافظ على نزاهتي الأخلاقية والمهنية ويكون بمثابة نموذج للبيض الآخرين.

قلت بأكبر قدرٍ ممكن من الدبلوماسية: «أفهم أنك اكتسبتِ رؤية قيِّمة من هذا التفاعل وأشكرك على مشاركة هذه الرؤية معنا. وسأطلب منك التفكير في عدم سرد تلك القصة بهذه الطريقة مرة أخرى».

بدأت على الفور في الاحتجاج، فقاطعتها وقلت: «أنا أعرض عليكِ أن تكون هذه لحظة نتعلم منها، وأطلب منك فقط أن تحاولي الاستماع بانفتاح». ثم أوضحت ما يعدُّ مشكلة من الناحية العرقية في طريقة سردها للقصة وعرضتُ عليها أساليب لتشارك تجاربها دون تعزيز القوالب النمطية العنصرية، لأنه يمكن بسهولة سرد القصة نفسها واستخلاص الاستنتاجات نفسها دون تقليد مشحون بالدلالات لعِرق الأم.

قاطعتني بشكل دفاعي عدة مرات لكنها في النهاية بدت وكأنها تستمع. بعد هذا التدخل بوقت قصير، أخذنا استراحة. جاء العديد من المعلمين الأميركيين من أصل إفريقي لشكري، وكذلك فعل مدرسٌ أبيض وجد تدخلي مثالًا من أرض الواقع ومطلوبًا جدًّا لفهم كيفية الانفصال عن التضامن مع البيض. اقترب عديد من الأشخاص البيض أيضًا لإخباري بمدى انزعاج المعلمة وأنها ستترك المجموعة.

هكذا تكمن قوة ثنائية جيد/سيئ وكيف تُغذِّي الهشاشة البيضاء. حتى هذه المعلمة البيضاء المشاركة في فريق المساواة، والتي تشارك في فصل دراسي قائم على فرضية أن العنصرية منظمة في مجتمعنا، وأن التواطؤ الأبيض نتيجة حتمية، لم تستطع التعامل مع التعليقات حول ظهور عنصريتها عن غير قصد. إذا كنت أبيض وجرى تحديك في أن تنظر إلى عنصريتك -ربما قلت نكتة تتضمن تلمحيات أو تصريحات عنصرية أو قمت بافتراض متحامل عرقيًا ولفت أحدهم انتباهك إلى ذلك - فمن الشائع أن تأخذ موقفًا دفاعيًّا. إذا كنت تعتقد بأن هناك من يحاول إخبارك بأنك شخص سيئ بطريقة ما، فمن المرجح أن توجِّه كل طاقتك لإنكار هذا الاحتمال وإبطال ما يقوله حامل هذه الرسالة، بدلًا من أن تحاول فهم السبب في كون ما قلته أو فعلته مؤلمًا. أنت تستجيب بهشاشة بيضاء، ولسوء الحظ، لا يمكن للهشاشة البيضاء سوى

حماية السلوك الإشكالي الذي تشعر بضرورة أن تدافع عن نفسك ضده؛ كما أنها لا تظهرك شخصًا منفتحًا وليس لديه سلوك مثير للجدل من ناحية عرقية.

إن النموذج السائد للعنصرية كأفعال منفصلة وفردية ومتعمدة وشريرة يجعل من المستبعد أن يعترف البيض بأيٍّ من أفعالنا على أنها من العنصرية. على سبيل المثال، كثيرًا ما أقرأ عن مسؤول حكومي أو مدرس أو موظف حكومي آخر يعبر عن تصريحات عنصرية صادمة ويستمر في الإصرار على أنه ليس عنصريًّا. قد يتذكر القراء موظفة مقاطعة ويست فرجينيا -باميلا رامزي تيلور - التي شغلت منصبًا رفيع المستوى كمديرة تنمية المقاطعة والتي أُوقفت عن العمل بعد نشرها ملاحظات عنصرية حول السيدة الأولى ميشيل أوباما على فيسبوك («سيكون من المفرح والمنعش جدًّا أن يكون لديك شخصية راقية، سيدة أولى جميلة ومُقدَّرة في البيت الأبيض من جديد. لقد سئمت من رؤية [الكلام حرفيًّا لها] قرد يرتدي الكعب العالي»). أجاب عمدة المدينة على منشورها بالقول: «لقد أبهجت يومي يا بام». كان رد تايلور على الضجة التي تلت ذلك، «لم يكن القصد من تعليقي أن يكون عنصريًّا على الإطلاق. كنت أشير إلى تغيير في سير يومي المعتاد في البيت الأبيض! أنا آسفة حقًّا لأي مشاعر سيئة تسبب فيها كلامي! أولئك الذين يعرفونني يعرفون أنني لست عنصرية بأي شكل من الأشكال!» على الرغم من تعليق تايلور (لكنها استعادت وظيفتها في النهاية)، إلا أنني ظللت أتساءل ما الذي يعدُّه العقل الأبيض عنصرية فعلًا؟ عندما أتحدث إلى أشخاص بيض حول العنصرية، أسمع نفس الادعاءات - المتجذرة في ثنائية جيد/سيئ مرارًا وتكرارًا. قمت بتنظيم هذه الادعاءات في فئتين شاملتين، وكلاهما يصف الشخص بأنه طيب وبالتالي ليس عنصريًّا.

المجموعة الأولى تدَّعي عمى الألوان: «أنا لا أرى اللون [و/أو العِرق ليس له معنًى بالنسبة إليَّ]؛ لذلك أنا متحررٌ من العنصرية».

المجموعة الثانية تدّعي تقدير التنوع: «أعرف أشخاصًا ملونين [و/أو كنت قريبًا من أشخاص ملونين، و/أو لدي احترام عام للأشخاص الملونين]؛ لذلك أنا متحررٌ من العنصرية». تعتمد كلا الفئتين بشكل أساسي على ثنائية جيد/سيئ.

على الرغم من أنني أقوم بوضع هذه السرديات في فئتين، فإنه يمكن استخدامهما بالتبادل وفي الأغلب يتم استخدامهما فعلًا هكذا. لا يحتاج من يتفوَّه بأيٍّ منهما إلى أن يكون لهما معنًى. يحتاج فقط إلى وضع المتحدث كشخص طيب -متحرر من العنصرية - وإنهاء المناقشة. يصر كلام من يتبنى سردية عمى الألوان على أنه لا يرى العرق، أو أنه إذا رآه فإن ليس له معنًى بالنسبة إليه.

تشمل ادعاءات من يتبنى سردية عمى الألوان ما يلي:

- لقد تعلمت أن أعامل الجميع بنفس الطريقة.
- لا أرى اللون.
- لا أهتم إذا كنت ورديًّا أو أرجوانيًّا أو منقَّطًا.
- العِرق ليس له أي معنًى بالنسبة إليَّ.
- لم يكن والداي عنصريين، لذلك أنا لست عنصريًّا.
- الكل يعاني، ولكن إذا كنت تعمل بجد...
- حدث أن يكون فلان أسود، ولكن هذا لا علاقة له بما سأخبرك به.
- التركيز في العِرق هو ما يفرق بيننا.
- إذا كان الناس يحترمونني، فأنا أحترمهم بغض النظر عن العرق.
- الأطفال اليوم أكثر انفتاحًا.
- أنا لست عنصريًّا؛ أنا من كندا.
- هوجمتُ وانتُقِدتُ لأنني أبيض، نشأت فقيرًا (لذلك ليس لديَّ امتياز عرقي).

المجموعة الثانية أطلقتُ عليها «المحتفين باللون». تدعي هذه المجموعة أنهم يرون الاختلافات العرقية ويقدرونها. تتضمن ادعاءات هؤلاء عبارات مثل هذه:

- أعمل في بيئة متنوعة جدًّا.
- يوجد ملونون في عائلتي/متزوج/ة من شخص ملون / لديَّ أطفال ملونون.
- كنت في الجيش.
- كنت أعيش في نيويورك / هاواي.
- نحن لسنا راضين عن حيِّنا الأبيض، لكن كان علينا الانتقال إلى هنا من أجل المدارس.
- كنت في هيئة السلام Peace Corps.
- شاركت في مسيرة الستينيات.
- تبنينا طفلًا من الصين.
- أحفادنا متعددو الأعراق.

- كنت في مهمة في إفريقيا.
- ذهبت إلى مدرسة مختلطة/ عشت في حيٍّ مختلط.
- عشت في اليابان وكنت أقلية، لذا أعرف ما يعنيه أن تكون أقلية.
- عشت بين الناس الـ [... املأ الفراغ]، لذا فأنا في الواقع شخص ملون.
- كانت جدتي الكبرى أميرة في قبيلة أميركية أصلية.

في عملي لكشف ديناميكيات العنصرية، وجدت سؤالًا لم يخذلني أبدًا. لن يكون هذا السؤال: «هل هذا ادعاء صحيح أم أنه خاطئ؟»؛ لن نتوصل أبدًا إلى اتفاق بشأن مسألة تبني تقسيمة إما/أو حول شيء حساس مثل العنصرية. بدلًا من ذلك، سيكون السؤال: «كيف يجري توظيف هذا الادعاء في المحادثة؟» إذا طبقنا هذا السؤال على هاتين المجموعتين من الروايات، إحداهما عمياء للّون والأخرى محتفية باللون، فإننا نرى أن كل هذه الادعاءات تعمل في النهاية بطريقة مماثلة؛ كلهم يعفون الشخص من أية مسؤولية أو مشاركة في المشكلة. يزيحون العِرق عن الطاولة، ويغلقون (بدلًا من أن يفتحوا) باب أي استكشاف إضافي. وبفعلهم هذا، فإنهم يقومون بحماية الوضع العرقي الراهن.

تعتمد هذه الادعاءات العرقية البيضاء النموذجية على إطار ضمني للمعنى. يمكن أن يساعدنا تحديد هذا الإطار في فهم كيفية تعاملنا مع مثل هذه الادعاءات وإدارتها في سياق الفصل المتطرف وغياب المساواة العرقية.

تخيَّلوا جسرًا يمتد فوق الماء، حين ننظر إليه من أعلى، يبدو أن الجسر يطفو هناك ببساطة. يشير الجزء العلوي من الجسر -الجزء الذي يمكننا رؤيته - إلى الجانب السطحي لهذه الادعاءات. ومع ذلك، وفي الوقت الذي يبدو فيه أن الجسر يطفو ببساطة، فإنه بالطبع ليس طافيًا على الإطلاق؛ بل إنه مدعوم ببناء مغمور تحت الماء. يقف الجسر على أعمدة مثبتة في قاع المحيط. بنفس الطريقة التي يستقر بها الجسر على أعمدة مغمورة لا يمكن رؤيتها فور النظر إليه، تختفي المعتقدات التي تدعم ادعاءاتنا العرقية من مرمى رؤيتنا. لكي نطيح بالجسر نحتاج إلى الوصول إلى الأعمدة واجتثاثها.

تهدف جميع الادعاءات المذكورة أعلاه إلى تقديم دليل على أن المتحدث لا يمكن أن يكون عنصريًّا. على سبيل المثال، في محادثة حول العنصرية، عندما يقول الأشخاص البيض إنهم يعملون في بيئة مختلطة أو أن لديهم أشخاصًا ملونين في عائلاتهم، فإنهم يقدمون إليَّ دليلًا على أنهم ليسوا عنصريين. إذا كانت هذه هي شهادتهم، فكيف يعرِّفون العنصرية؟ بمعنًى آخر، ما هي منظومة المعاني التي يؤسسون عليها هذا الادعاء؟

إذا كان عمل أشخاص بيض بالقرب من أشخاص ملونين هو الدليل الذي يميزهم عن العنصريين، فمن الواضح أن العنصري لا يمكنه العمل بالقرب من أشخاص ملونين. يرتكز هذا الادعاء على تعريف العنصرية بأنها تعصب واعٍ، وأن العنصري هو شخص يُفترض أنه لا يستطيع حتى أن يتحمَّل مرأى شخصٍ ملون. وفقًا لهذا المنطق، لأن هؤلاء البيض يعرفون أشخاصًا ملونين أو يعملون معهم، أو عاشوا في نيويورك حيث رأوا أشخاصًا ملونين في كل مكان من حولهم، وتحدثوا مع الملونين وابتسموا لهم، فلا يمكنهم أن يكونوا مساهمين في العنصرية. عندما نذهب إلى ما وراء هذه الادعاءات، ندرك سطحيتها. حتى القومي الأبيض الذي كان يسير علانية في الشوارع مرددًا «الدم والتراب!» يمكنه أن يتفاعل مع الأشخاص الملونين. في الواقع، لقد رأيت مراسلين سودًا يجرون مقابلات على شاشات التلفزيون مع المتعصبين البيض، حيث يتصرف الطرفان بهدوء واحترام. أخبرني شخصٌ يدَّعي أنه تربَّى على معاملة الجميع بنفس الطريقة أنه ببساطة لا يفهم التنشئة الاجتماعية. لا يمكن تعليم شخص ما أن يعامل الجميع بنفس الطريقة. يمكن إخبارنا، وفي الأغلب يُطلب منا، أن نعامل الجميع على قدم المساواة، لكن لا يمكن تعليمنا أن نفعل ذلك بنجاح لأن البشر بطبيعتهم ليسوا موضوعيين. علاوة على ذلك، لا نريد أن نتعامل مع الجميع بنفس الطريقة فالناس لديهم احتياجات مختلفة وعلاقات مختلفة معنا. المعاملة التفضيلية في حد ذاتها ليست هي المشكلة. على سبيل المثال، لن أعطي مستندًا بخط حجمه اثنا عشر لشخص ضعيف البصر، على الرغم من أن شخصًا آخر لن يواجه أية مشكلة في قراءته. تكمن المشكلة في المعلومات الخاطئة التي يجري تداولها من حولنا وتتسبب في أن تكون معاملتنا التفضيلية غير عادلة.

التعليقات التي سمعتها مرارًا وتكرارًا من أشخاص ملونين هي أنهم عندما يسمعون شخصًا أبيض يدَّعي أنه تربَّى على معاملة الجميع بالطريقة نفسها، فإنهم لا يفكرون: «حسنًا! أنا أتحدث الآن إلى شخص أبيض واعٍ!» بل العكس تمامًا؛ إنهم يقلِّبون أعينهم لأنهم يعرفون أن هذا الشخص لا يدرك ما يفعله، ويعدون أنفسهم لحديث يستند إلى الإنكار والإبطال الأبيض.

كثقافة، لا ندعي أن أدوار الجنسين وتكييف النوع الاجتماعي تختفي في اللحظة التي نحب فيها شخصًا من الجنس «المعاكس». أعرِّف نفسي بكوني امرأة ومتزوجة بشخص يُعرِّف نفسه بأنه رجل، لكنني لن أقول أبدًا، «لأنني متزوجة برجل، فإن حياتي معه خالية من مشكلات الجندر». نحن نفهم أن الجندر هو بناء اجتماعي عميق جدًّا، وأن لدينا تجارب مختلفة اعتمادًا على أدوار جنسينا، ومهامنا، وتعبيراتنا، وأننا سنصارع هذه الاختلافات طوال حياة علاقتنا. ومع ذلك، عندما يكون الموضوع متعلقًا بالعرق، فإننا نزعم أن العِرق يتعطل تمامًا إذا كان هناك أي مستوًى من التقدير. بل وفي أسخف شكل

للواقع، نذهب إلى حد الادعاء بأن التكييف العرقي الذي تشربناه يختفي فقط إذا تمكنا من المشي بهدوء بجانب ملونين في شوارع المدن الكبيرة.

وفي حين أن الإشارة إلى أن العنصري لا يطيق معرفة أشخاص ملونين أو العمل بجانبهم أو المشي بينهم هو أمرٌ سخيف إلى حد ما، إلا أن الحقيقة المحزنة تكمن في أن العديد من البيض ليس لديهم صداقات عابرة للأعراق إطلاقًا. ربما لهذا السبب نعتمد على مثل هذه الأدلة الواهية لنصادق على أننا متحررون من العنصرية. وحتى أولئك الذين لديهم صداقات عابرة للأعراق ويستخدمونها كدليل على أنهم ليسوا عنصريين لا يزالون يستحضرون ثنائية: عنصري = سيئ/ ليس عنصريًّا = جيد.

إنهم يرون في صداقتهم دليلًا على أنهم على الجانب ال«ليس عنصريًّا» من الثنائية. ومع ذلك، فإن الصداقات العابرة للأعراق لا تمنع ديناميكيات العنصرية في المجتمع ككل، والمستمرة بلا هوادة. سيظل الأبيض يحصل على امتياز أبيض لا يتمتع به صديقه الملون، حتى عندما ينخرط الاثنان في أنشطة معًا. كما أن هذه الصداقات لا تحجب الرسائل التي استدخلناها والتي تمكّنت من هذا المجتمع. في الواقع، دائمًا ما تتجلى العنصرية في الصداقات العابرة للأعراق أيضًا. لا يمكن أن تغيب العنصرية عن صداقتك. لم يقل أي شخص ملون قابلته إن العنصرية لا تلعب دورًا في صداقته أو صداقتها مع الأشخاص البيض. بعض البيض أكثر تفكيرًا ووعيًا وتقبلًا للتعليقات من غيرهم، ولكن لا توجد علاقة عرقية خالية من ديناميكيات العنصرية في هذا المجتمع.

يعتقد العديد من البيض أنهم إن لم يتحدثوا عن العنصرية مع أصدقائهم الملونين أو إذا كان أصدقاؤهم لا يقدمون إليهم ملاحظات حولها، فإن العنصرية ليست مشكلة في هذه الصداقة. ولكن لمجرد أنك وصديقك لا تتحدثان عن العنصرية فهذا لا يعني أنها ليست فاعلة. في الواقع، هذا الصمت هو إحدى الطرق التي تتمظهر فيها العنصرية، لأنه صمت مفروض. أخبرني العديد من الملونين أنهم حاولوا في البداية التحدث عن العنصرية مع أصدقائهم البيض، لكن أصدقاءهم اتخذوا موقفًا دفاعيًّا أو جادلوهم بالقول إن تجاربهم ليست حقيقة وإنهم يتوهمون، لذا توقفوا عن مشاركة تجاربهم. إذا لم تكن العنصرية موضوع نقاش بين صديقين أبيض وملون، فقد يشير غياب المحادثة هذا إلى عدم وجود ثقة عابرة للأعراق.

إن ثنائية جيد/سيئ قوية ودائمة. فيما يلي، أقدم روايات تقابل الادعاءات الأكثر شيوعًا لهذه الثنائية. لاحظوا كيف أن كل هذه الادعاءات تصنف الشخص الذي يرويها بأنه ليس عنصريًّا، وبالتالي تعفيه من المشاركة أو المسؤولية.

**«تعلّمت معاملة الجميع بالطريقة نفسها»**

كما أوضحت، لا يمكن تعليم أي شخصٍ معاملة الناس كلهم بمساواة، فليس بمقدور البشر أن يكونوا موضوعيين بنسبة ١٠٠٪. على سبيل المثال، يمكنني أن أحاضر فيكم لساعات أن من السيئ إطلاق الأحكام على الآخرين، وأن أيًّا منا لا يحب أن يحكم عليه أحد -»أنتم لا تريدون أن يحكم عليكم أحد، أليس كذلك؟» - ومع ذلك، في نهاية تلك المحاضرة، ستستمرون في إطلاق الأحكام على الآخرين، فمن المستحيل أن لا تفعلوا. يمكننا محاولة تفحص أحكامنا، أو التعامل معها بخفة أكثر وما إلى ذلك، ولكن أن نتحرر منها؟ هذا ليس ممكنًا. كما لا يمكننا معاملة الجميع على قدم المساواة. في الواقع، فإن الشخص الذي يزعم أنه يعامل الجميع على قدم المساواة يشير إلى قيمةٍ يمتلكها، لكن هذا الزعم يغلق المجال أمام أي تفكير. وما إن ندرك قوة تعصبنا الكامن، حتى ندرك ضرورة إعمال تفكيرنا فيه بدلًا من أن نقطع الطريق على هذا التفكير بممارسة الإنكار. وعلى الرغم من أن هذا التفحص العميق لتحيزاتنا لن يحررنا من المعاملة التمييزية التي نمارسها بلا وعي ضد الآخرين، إلا أنه سيقربنا خطوة لن يكون بإمكاننا أخذها في حالة الإنكار التام.

**«شاركتُ في مسيرة الستينيات»**

كل من يخبرني أنه مشى في مسيرة الستينيات -مثله مثل من يخبرني أنه يعرف أشخاصًا ملونين - فكأنه يقول إنه يرى العنصرية مسألةً بسيطةً، ضربًا من الحساسية العرقية (من الواضح أنها ليست لديه وإلا لما كان بإمكانه تحمُّل المشاركة جنبًا إلى جنب مع الملونين في مسيرة الحقوق المدنية في الستينيات). يقولون لي أيضًا إنهم يعتقدون أن العنصرية ليست معقدة وأنها لا تتغير. ولكننا في الستينيات اعتقدنا أن العِرق كان بيولوجيًّا. استخدمنا مصطلحات مثل شرقي وملون. ومع ذلك، في ضوء إجراءٍ قاموا به منذ أكثر من خمسين عامًا حين مشوا في المسيرة، فإنهم يرون أنهم أنجزوا تعلمهم العرقي للحياة كلها. أفعالهم تشهد على تحررهم من العنصرية، وليس هناك حاجة إلى المزيد من النقاش أو التفكير. كما أنها أفعال تفترض أن أي شكل من العنصرية لم يُرتكب بالمطلق -حتى دون وعي - تجاه السود من قبل البيض ذوي النوايا الحسنة الذين شاركوا في حركة الحقوق المدنية. بالرغم من أن شهادة نشطاء الحقوق المدنية السود تخبرنا بخلاف ذلك. كم عدد البيض الذين شاركوا في مسيرة الستينيات وكان لديهم علاقات حقيقية عابرة للعِرق مع الأميركيين الأفارقة؟

لا شك، أنه أثناء المشاركة في مسيرة الحقوق المدنية، كان ثمة فصلٌ عرقيٌّ (وما يزال) في جميع أنحاء الشمال الأميركي أيضًا، ربما لم يكن

مفروضًا بشكل صريح ولكنه كان مفروضًا ضمنيًّا بطرق تعد فلا تحصى. ربما كان لدى العديد من هؤلاء الشماليين البيض الذين نزلوا جنوبًا لإنقاذ السود طريقة متفضلة أو متعالية؟ هل سيطر الكثير منهم على المناقشات ولم يستمعوا إلى الآخرين، وافترضوا أنهم يعرفون ما هو الأفضل؟ هل قالوا أشياء مثيرة للجدل عرقيًّا وأجبر السود الجنوبيون على تحمُّلها؟ لو أنني كنت كبيرة بما فيه الكفاية، لربما كنت سأشارك في مسيرة الستينيات، ولكنني حتى فترة التسعينيات كنت أقول وأقوم بأمور مزعجة من ناحية عرقية. على الرغم من أنني أقوم بهذه الأمور بشكل أقل وضوحًا اليوم، فإنني ما زلت أفعلها. مرة أخرى، يستند الادعاء بأن شخصًا ما ليس عنصريًّا لأنه شارك في مسيرة الستينيات على التعريف المبتسر للعنصرية بوصفها حساسية مفرطة صريحة وواعية للسود.

**«كنت أقلية في مدرستي، أنا من عانيت العنصرية»**

كل فرد من كل عِرق لديه تحيّزٌ ما، ويمكنه التمييز ضد شخص من عِرق آخر، لكن وحدهم البيض -في الولايات المتحدة وغيرها من الأمم البيضاء/ المستوطنة - في وضع يسمح لهم باضطهاد الملونين بشكل جماعي وفي أنحاء المجتمع بأسره. هذا الادعاء يعرِّف العنصرية على أنها ديناميكية مائعة تغير الاتجاه وفقًا لنسبة كل مجموعة عرقية في مساحة معينة. ربما يكون الشخص الأبيض تعرَّض فعلًا للتنمُّر -وربما بلا رحمة - لكونه أقلية من ناحية العدد في سياق معين، لكن ما يعانيه هذا الفرد هو تمييز وتحامل عرقي، وليس عنصرية. لا أقصد بهذا أن أقلل من تجربة هذا الشخص الأبيض، بل أهدف إلى أن أوضح وأمنع تحويل مصطلح العنصرية إلى شيء قابل لأن يكون متبادلًا وبالتالي لا معنى له.

علاوة على ذلك، ما زال المجتمع ككل يعزز التفوق الأبيض، وقد تأثر الجميع في المدرسة بذلك. على الأرجح أن الطلاب البيض في مثل هذه المدرسة تلقّوا معاملة أفضل من المعلمين وأن هؤلاء حملوا توقعات أعلى لطلبتهم البيض. فلا تزال كتبهم المدرسية ومناهجهم والإدارة تعزِّز تفضيل البياض. خارج المدرسة (وفي العديد من الجوانب داخلها)، ما زالت امتيازات البياض مكفولة لهم أثناء تنقُّلهم في المجتمع. بالنسبة إلى معظم البيض، عادة ما يكون وجودهم كأقلية في مدرستهم أو منطقتهم أمرًا مؤقتًا. وعلى الأرجح أنهم لن يظلوا أقلية بينما هم يرتقون في بيئتهم، حيث أن هذا الصعود يستلزم عمومًا الابتعاد عن المساحات المختلطة أو تلك التي يشكل فيها الملونون أغلبية.

**«لم يكن والداي عنصريين، وعلّماني ألا أكون عنصريًّا»**

سواء أكنتم تعرِّفون العنصرية على أنها تعصُّب عرقي وأفعالٌ فردية أو أنها نظام من عدم المساواة العرقية يفيد البيض على حساب الملونين (كما يفعل المناهضون للعنصرية)، فلا يمكن لآبائكم وأمهاتكم أن يعلموكم ألا تكونوا عنصريين، ولا يمكن لهم أن يكونوا هم أنفسهم متحررين من العنصرية. إن التنشئة الخالية من العنصرية مستحيلة، لأن العنصرية نظام اجتماعي متأصل في الثقافة ومؤسساتها. لقد ولدنا في هذا النظام وليس لنا رأي في ما إذا كنا سنتأثر به. أفهم أن العديد من الآباء يخبرون أطفالهم ألا يكونوا عنصريين، لكن ممارسة حياتنا أقوى من الكلمات التي نقولها، ومجرد عيش الحياة في بيئة منفصلة عرقيًّا هي رسالة قوية لممارسة العنصرية. بالطبع، هناك درجات، ولا شك أن من الأمور المؤسِّسة والمفيدة أن يقال لنا مبكرًا إن العنصرية خاطئة على أن يقال إنها صحيحة، لكن هذا ليس كافيًا لتحصيننا تمامًا من الثقافة السائدة.

لنتخيل أن ما قصده هذا الشخص حقًّا هو «لم يكن والديَّ متعصبين عرقيًّا، وقد علماني ألا أكون كذلك». سيظل هذا القول خاطئًا فليس من الممكن لنا كبشر التحرر من التعصب. يشير هذا التصريح ببساطة إلى أن هذا الشخص جاهل بشأن عملية التنشئة الاجتماعية والديناميكيات التي لا مفر منها للثقافة الإنسانية. قد يقول والدا الشخص إنهما لم يكونا متعصبين وبالتالي أنكرا تعصبهما. ربما أخبروا أطفالهم أن لا يكونوا متعصبين، والنتيجة هي أن الأطفال، مثل والديهم، ينكرون تعصبهم. ربما كان الآباء والأمهات يأملون ويؤمنون بصدق أنهم يربون أطفالهم على أن لا يكونوا متعصبين. لكن لا يمكننا تعليم البشر أن لا يكون لديهم أي تعصب من أي نوع على الإطلاق. العقل البشري لا يعمل هكذا أثناء معالجته للمعلومات عن الآخرين. إن ما يحدث فعلًا أن معظمنا يعلِّم أطفاله فقط إنكار التعصُّب.

يقوم أحد الوالدين بتدريب الطفل على أن لا يقول أشياء عنصرية بشكل صريح، إنه يعلِّم الطفل ممارسة الرقابة الذاتية بدلًا من تعليمه التفكير وتفحص الرسائل العنصرية المتأصلة بعمق والتي نتشرَّبها كلنا. في الوضع المثالي، سنكون علمنا أطفالنا كيفية التعرف على تعصباتنا وتحديها، بدلًا من إنكارها.

**«أطفال اليوم أكثر انفتاحًا بكثير»**

بالنسبة إلى الادعاء بأن الأطفال أكثر انفتاحًا، فإن أبحاث العقدين الماضيين تشير إلى أن الأطفال أكثر تطورًا في وعيهم بالتسلسل الهرمي العرقي مما يعتقده معظم الناس[٣]. حتى وإن لم تتم مناقشة العِرق بشكل

صريح، يستوعب الأطفال الرسائل الضمنية والمعلنة عبر بيئتهم. على سبيل المثال، قام باحثو علم النفس ماريا مونتيرو ودليلا دي فرانسا وريكاردو رودريغز، باختبار ٢٨٣ طفلًا أبيض تتراوح أعمارهم بين ست وسبع سنوات وتسع إلى عشر سنوات. طُلب من الأطفال تقسيم بعض النقود بين أطفال بيض وسود، وأحيانًا مع وجود شخص بالغ أبيض في الغرفة وأحيانًا مع عدم وجود شخص بالغ في الغرفة، بهدف معرفة ما إذا كان وجود شخص بالغ يؤثر في سلوكهم. وجد الباحثون أن المجموعة الأصغر سنًّا مارست التمييز ضد الأطفال السود في كلتا الحالتين، في حين أن المجموعة الأكبر سنًّا مارست التمييز ضد الأطفال السود فقط في حالة غياب الشخص البالغ. هذه النتيجة مهمة لأنها تكشف أن الأطفال الأكبر سنًّا كان لديهم بوضوح تعصُّب عرقي وتصرفوا بناءً عليه، لكنهم أخفوه عندما كان شخص بالغ أبيض حاضرًا. وهكذا، أظهر الأطفال أنهم لم يصبحوا أقل تعصبًا عرقيًّا مع تقدمهم في العمر، بل تعلَّموا إخفاء عنصريتهم أمام البالغين[٤]. وجدت مونتيرو وزملاؤها عداءً عرقيًّا لدى الأطفال البيض الذين لا تتجاوز أعمارهم ثلاث سنوات. ومع ذلك، يعتقد معظم الآباء والمدرسون البيض أن الأطفال لديهم عمى ألوان حين يتعلق الأمر بالعرق[٥]. وهذا اعتقاد خاطئ يمنعنا من التصدي بصدق للعنصرية عند الأطفال، واستكشاف كيف صاغت العنصرية الظلم الذي رأوه من قبل.

«لا شأن للعِرق بالأمر»

كم مرة سمعنا شخصًا ما يبدأ قصة عن العِرق بعبارة «لا شأن للعِرق بما سأقول، لكن...»، أو «لقد صدف أن تكون المرأة سوداء، و...». لنلقِ نظرةً فاحصةً على الدافع الذي يشعر معه الراوي بضرورة توضيح هذه النقطة الافتتاحية، بما أنها عادة ما تمثل العكس بالضبط. في هذا النوع من العبارات تنعكس ثنائية عنصري = سيئ/غير عنصري = جيد، فوفقًا للثنائية هذه إذا كان للعِرق أي علاقة بالقصة، فإن الشخص الذي يرويها سيكون متورطًا عرقيًّا وبالتالي لن يتم اعتباره أعمى ألوان أو متجاوزًا للأعراق. علاوة على ذلك، إذا كانت القصة تدور حول صراع بين الراوي وشخص ملون، فقد يبدو الراوي عنصريًّا، وهذا يعني أن المتحدث شخص سيئ. ولكن إذا كان المتحدث يفهم العنصرية على أنها نظام مؤسسي نشارك فيه كلنا اجتماعيًّا، فلن يقول هذه العبارات التي تسبق القصة وتكون بمثابة إخلاء للمسؤولية، لن يقولها في هذه الحالة لأنه يفهم أن الصراع لا يمكن أن يكون خاليًا من الأبعاد العرقية.

نأتي ونجلب تاريخنا العرقي معنا، وعلى عكس أيديولوجية الفردانية، فإننا نمثل مجموعاتنا وأولئك الذين أتوا قبلنا. هوياتنا ليست فريدة أو متأصلة، بل جرى بناؤها أو إنتاجها عبر العمليات الاجتماعية. نحن لا نرى بعيون واضحة أو موضوعية، بل نرى من خلال العدسات العرقية. على مستوًى ما، يكون العِرق دائمًا فاعلًا وحاضرًا، حتى في غيابه المفترض.

**«التركيز في العِرق هو ما يفرِّقنا»**

لطالما صدمتني الفكرة الغريبة القائلة بأن الحديث عن العنصرية عنصري بحد ذاته. إنه تفكير متجذر في مفهوم أن ليس للعِرق شأن، لذا فإن الحديث عنه يعطيه وزنًا لا يستحقه. ولكن كثيرًا من الأمور التي نتحدث عنها يوميًّا ليست مهمة حقًّا، ولأنها كذلك بالتحديد فمن السهل الخوض فيها. نعلم أن العِرق مهم جدًّا، ولكن للعديد من الأسباب التي ناقشتها حالًا، نشعر بالحاجة إلى إنكار أهميته. ومن المفارقات أن هذا الإنكار هو طريقة أساسية يحافظ فيها البيض على قوة عرقية غير متكافئة.

كثيرًا ما سمعت هذا الرد في سياق المناقشات العابرة للأعراق، والأغلب سمعته في اللحظة التي أسمِّي فيها القوة العرقية البيضاء. يرى العديد من البيض أن تسمية القوة العرقية البيضاء هو أمر يثير الشِّقاق. بالنسبة إليهم، لا تكمن المشكلة في ظلم السلطة بحد ذاته؛ المشكلة هي في تسمية ظلم السلطة. هذه التسمية تكسر حجَّة وحدة المجتمع وتكشف واقع الانقسام العرقي.

وعلى الرغم من أن المشاركين الملونين ذكروا مرارًا وتكرارًا أن رفض البيض الاعتراف بالتمييز العرقي وديناميكات السلطة يبقي فعليًا على اللامساواة العرقية، إلا أن المشاركين البيض يتعنتون في إصرارهم على أن عدم الحديث عن الخلاف ضروري لوحدة المجتمع. يحضر المشاركون في هذه النقاشات بدعوى أنهم يريدون استكشاف الاختلافات في المنظور والتجارب العرقية، وبمجرد ظهور هذه الاختلافات يتصرف معظم البيض كما لو أن انتهاكًا وقع في حقهم. لا شك أن القواعد البيضاء تُنتهك لدى تسمية القوة البيضاء. لكن الطعن في علاقات القوة غير المتكافئة سيكون مستحيلًا إذا لم يتم الاعتراف بها في المقام الأول.

رفض الانخراط في استكشاف جديٍّ وعميق للحقائق العرقية يمحو (وينكر) التجارب العرقية المقابلة. وإذا حجبنا الحقائق الأخرى من خلال عدم مناقشتها، فيمكننا التظاهر بأنها غير موجودة، ومن ثمَّ الافتراض بأن لدينا جميعًا تجربة عرقية مشتركة. يسمح لنا عدم الحديث عن العِرق بالحفاظ على إحساسنا بأنفسنا كأفراد يتمايز كل منّا عن الآخر خارج التنشئة الاجتماعية والخبرة الجمعية. وفي حين أن التحدث عن العنصرية ليس مريحًا لمعظم البيض، لا بدّ أن نفعل ذلك إذا أردنا مقاومة العنصرية بدلًا من حمايتها. ولا يؤدي تجنب الحديث عن العنصرية إلّا إلى إبقاء معلوماتنا الخاطئة على حالها، ويمنعنا من تطوير المهارات ووجهات النظر اللازمة لتحدي الوضع الراهن.

## خلاصة

معظمنا، ممن كان يعيش قبل وأثناء الستينيات، لديه صور من صراعات الحقوق المدنية في ذلك الوقت والتي اعتبرت مثالًا للعنصرية. اليوم لدينا صورٌ للقوميين البيض وهم يسيرون في شارل وتسفيل، فيرجينيا. وبينما يعد التحدث ضد هذه الأفعال العنصرية الصريحة أمرًا بالغ الأهمية، ينبغي أيضًا أن نحرص على عدم استخدامها لإبقاء أنفسنا في الجانب «الجيد» من الثنائية الزائفة. لقد وجدت أن من المفيد جدًّا التفكير في نفسي كجزء من استمرارية لسلسلة متصلة. العنصرية مغزولة بقوَّة في نسيج مجتمعنا حتى أنني لا أرى نفسي قادرة على الهروب من تلك الاستمرارية طوال حياتي. ما يمكنني هو السعي بإصرار من أجل المضي قدمًا. أنا لست في وضع ثابت في هذه الاستمرارية؛ موقفي تمليه أفعالي التي أقدم عليها في وقت معين. إن تصوُّر نفسي جزءًا من سلسلة متصلة نشيطة يغير السؤال حول ما إذا كنت عنصرية أم لا إلى سؤال أكثر إيجابية: هل أسعى أنا بجدية وبلا هوادة إلى مقاطعة العنصرية في هذا السياق؟ والأهم من ذلك، كيف لي أن أعرف أنني أقوم بذلك بالفعل؟

# الفصل السادس: معاداة السواد

«لكن كل صياغاتنا للعلاقات العرقية، والفجوة العرقية، والعدالة العرقية، والتنميط العرقي، والامتياز الأبيض، وحتى التفوق الأبيض - تعمل على إخفاء أن العنصرية تجربة تطال الأحشاء؛ تغيِّب العقل، وتسدُّ مجرى الهواء، وتمزِّق العضلات، وتنتزع الأعضاء، وتصدِّع العظام، وتكسِّر الأسنان. يجب أن تتذكر دائمًا أن علوم الاجتماع، والتاريخ، والاقتصاد، والرسوم البيانية، والخرائط، والإحصاءات كلها تسقط، بعنف فظيع، على الجسد».

**تا-نهيسي كوتس، «بين العالم وأنا».**

العنصرية معقّدة ودقيقة، ومظاهرها ليست واحدة لكل مجموعة مختلفة من ذوي البشرة الملونة. لتحدي أيديولوجيات العنصرية، مثل: الفردانية وعمى الألوان، يتوجَّب علينا، نحن البيض، أن نعطل تصورنا لأنفسنا على أننا عِرق فريدٌ و/أو أننا خارج العِرق أصلًا. إن استكشاف هويتنا العرقية الجماعية يقطع الطريق على امتياز الهيمنة الرئيسي؛ وهو امتياز القدرة على رؤية أنفسنا كأفراد فقط. نحن بحاجة إلى مناقشة البيض كمجموعة -حتى لو كان ذلك يزعجنا - من أجل تعطيل هوياتنا غير المعرقنة unracialized identities (تصرفاتنا كأفراد والرسائل التي نحملها كجماعة شيئان مختلفان).

بالنسبة إلى ذوي البشرة الملوَّنة، فإن امتياز أن تتم رؤيتهم (وأن يروا أنفسهم) كأفراد يتمايز كل منهم عن الآخر خارج سياق العِرق أمرٌ لا يمكن أن يكون مكفولًا لهم. الكلام عن العِرق والعنصرية بمصطلحات عامة، مثل ذوي البشرة البيضاء؛ هو تعبيرٌ يعود بالفائدة على البيض لأنه يقاطع الفردانية. في المقابل، يعزز التعميم العرقي مسألة إشكالية للملونين؛ معضلة التركيز المستمر في هويتهم الجمعية. الأكثر من ذلك، أن التعميم العرقي يحيل الكثير من المجموعات العرقية إلى فئات عامة؛ وبالتالي فإنه ينفي وجود طرق محددة تعيش المجموعات المختلفة من خلالها تجربة العنصرية. فبينما يشترك ذوو البشرة الملونة في بعض تجارب العنصرية، لكن ثمة فروقات تعتمد على تاريخ كل مجموعة بعينها. هذه الاختلافات تتضمن الكيفية التي تبنَّت بها هذه المجموعة أو تلك نمط الحياة والثقافة المهيمنة، وكيف جرى تمثيلهم، وعلاقتهم بالنسبة إلى مجموعات الملونين الأخرى، والمهمات التي أوكلتها المجموعة المهيمنة لهذه المجموعة من الملونين على وجه التحديد. على سبيل المثال، فإن الرسائل التي تلقيتها واستدختلها حول الأشخاص من أصول آسيوية ليست نفس الرسائل التي تلقيتها واستدخلتها عن السكان الأصليين. وفي تحديد الفرق بين هذه الرسائل مواجهة ومقاومة لها. علاوة

على ذلك، هنالك جماعات تعد فلا تحصى ضمن هاتين الفئتين ولديَّ موقف مختلف منها أيضًا. مثلًا، التصورات النمطية التي أحملها عن اليابانيين لا تشبه في شيء تلك التي أحملها عن الصينيين، وهذه التصورات تملي استجابات مختلفة.

في هذا الفصل، سأتناول معاداة السواد anti-blackness وهي إحساس مندمج في الهوية البيضاء. وبفعل ذلك، لا أرمي إلى التقليل من شأن وحجم العنصرية التي تختبرها الجماعات الأخرى من ذوي البشرة الملونة. ومع ذلك، فإنني أعتقد أن السود في العقل الأبيض هم الآخر الأقصى عرقيًّا، ولا بد أن أتصارع مع هذه العلاقة، لأنها جانبٌ مؤسس للتنئشة الاجتماعية العرقية التي تقوم عليها الهشاشة البيضاء.

أذكِّر قرَّائي أنني أخاطب البيض على المستوى المجتمعي. لديَّ أصدقاء من السود وأحبهم بشدة. لا أجلس معهم وأنا أخفي وأقمع مشاعر الكراهية والازدراء؛ أرى إنسانيتهم. لكن على المستوى الكلي، أتعرَّف أيضًا على المشاعر العميقة المعادية للسود التي غُرست في داخلي منذ الطفولة. تظهر هذه المشاعر على الفور -بل وحتى قبل أن أفكر - عندما أتخيل الأشخاص السود بشكل عام. تظهر هذه المشاعر عندما أمُرُّ بغرباء سود في الشارع، وأرى صورًا نمطية للسود في وسائل الإعلام، وأسمع التحذيرات المشفَّرة والنكات التي يتناقلها البيض. هذه هي المشاعر الأعمق التي يجب أن أكون مستعدَّة لتفحصها، لأن هذه المشاعر يمكن أن تتسرب من دون وعي وتؤذي أولئك الذين أحب.

كما ناقشنا في الفصول السابقة، نحن نعيش في ثقافة تنشر باستمرار وبلا هوادة رسائل عن تفوق البيض، في نفس الوقت الذي تنشر فيه رسائل عن دونية السود. لكن معاداة السواد أعمق من الصور النمطية السلبية التي استوعبناها جميعًا؛ إن معاداة السواد هي الأساس لهوياتنا كأشخاص بيض. لطالما كان البياض محمولًا على السواد. كما نوقش في الفصل الثاني، لم يكن هناك مفهوم للعِرق أو العِرق الأبيض قبل الحاجة إلى تبرير استعباد الأفارقة. ففي صميم خلق مفهوم عِرق أسود منفصلٍ وأقل شأنًا يكمن ابتكارٌ للعِرق الأبيض «المتفوق» في الوقت نفسه: لا يمكن أن يوجد أحد المفهومين من دون الآخر. بهذا المعنى، يحتاج البيض إلى السود؛ السواد ضروري لخلق هوية بيضاء.

يجادل دارسون بأن البيض انفصلوا عن أنفسهم وعكسوا على السود الجوانب التي لا نريد أن نمتلكها في أنفسنا[١]. على سبيل المثال، كان السادة البيض للأفارقة المستعبدين يصورون الأفارقة باستمرار بالكسالى والطفوليين، حتى وهم يكدحون في العمل الشاق من شروق الشمس إلى

غروبها. اليوم، نصوِّر السود خطرين، وهو تصوير يفسد الاتجاه الحقيقي للعنف بين البيض والسود منذ تأسيس هذا البلد. يتسبب هذا التوصيف في النفور والعداء تجاه السود وتوجيه مشاعر التفوق نحو أنفسنا، لكن لا يمكننا الاعتراف أخلاقيًّا بأيٍّ من هذه المشاعر. أكرر، أنا أتحدث هنا عن الوعي الجمعي الأبيض. قد لا يكون الشخص الأبيض مدركًا كفردٍ هذه المشاعر بشكل صريح، لكن غالبًا ما أدهشني مدى السرعة التي تظهر بها عند أقل مواجهة.

لنضع في اعتبارنا شعور البيض المستمر بالغيظ بسبب ما يتصورون أنه ظلم «برامج التمييز الإيجابي». هناك دليل عملي ومختبر على أرض الواقع على أن الأشخاص الملونين (خاصة السود) تعرَّضوا للتمييز في التوظيف منذ نهاية الاستعباد وحتى الوقت الحاضر[٢]. في أواخر الستينيات، وُضع برنامج للمساعدة في تخفيف هذا التمييز: برنامج التمييز الإيجابي. وهناك قدر كبير من المعلومات الخاطئة حول التمييز الإيجابي، كما يتضح من فكرة الحقوق الخاصة[37]. على سبيل المثال، هناك اعتقاد شائع لدى الناس أنه إذا تقدّم شخصٌ ملونٌ لشغل وظيفة ما، فلا بد أنه سيعيَّن بدلًا من متقدِّم أبيض للوظيفة نفسها؛ بمعنى أن السود يحظون بمعاملة تفضيلية في التوظيف؛ فلا بد من تعيين عددٍ معينٍ من الأشخاص الملونين لإكمال كوتا مخصصة لهم. من الواضح أن كل هذه المعتقدات خاطئة. التمييز الإيجابي هو أداة لضمان حصول المتقدمين المؤهلين من الأقليات على نفس فرص التوظيف مثلهم مثل المتقدمين البيض. وعلى عكس الفهم الشائع بين البيض، فهذا البرنامج مرنٌ ولا يتضمَّن أي نوع من الكوتا التي يتوجب إكمالها. فضلًا عن أن أكثر المستفيدين من التمييز الإيجابي كان النساء البيض، على الرغم من أن البرنامج لم يشملهن في البداية. تفضِّل الشركات في الأغلب تعيين النساء البيض والمهاجرين ذوي الخلفيات النخبوية من خارج الولايات المتحدة عند اختيار مديريها التنفيذيين[٣]. لا يُطلب من صاحب العمل توظيف شخص ملون يفتقر إلى التأهيل والكفاءة، ولكن يتعين على الشركات أن تكون قادرة على تبرير عدم تعيين متقدم ملون يتمتع بالمؤهلات اللازمة (وقلما يجري فرض ذلك على أحد). هذا بالإضافة إلى أن برنامج التمييز الإيجابي لم يُطبق على الشركات الخاصة، بل فقط على مؤسسات الدولة والوكالات الحكومية.

ومع ذلك، فقد تم إضعاف هذا البرنامج بشكل ممنهج، وقامت عدة ولايات بإلغائه تمامًا. في المقابل، لا يزال الأميركيون الأفارقة هم المجموعة الأقل تمثيلًا على مستوى القيادة التنظيمية. في عام ٢٠١٨، أُلغي برنامج التمييز الإيجابي كله تقريبًا. ومع ذلك، ما زلت ألتقي رجلًا أبيض -مغتاظًا - يثير مسألة التمييز الإيجابي. يبدو أننا، نحن البيض، متمسكون بسخطنا على مدى الجور الذي وقع علينا بسبب هذه المحاولة الظالمة لتصحيح قرون من الظلم.

الاستياء يظهر باستمرار لدى مجموعات القيادة، وأغلبيتها الساحقة من البيض، التي طلبت مني الحضور لمساعدتها في توظيف المزيد من الأشخاص الملونين ثم أن يستمر هؤلاء في العمل. الأبحاث الغزيرة تشهد على ازدراء البيض للأميركيين الأفارقة، من «خط الأنابيب من المدارس إلى السجون» SPP[38]، إلى الحبس الجماعي، وحتى نزوح البيض[٤]. على سبيل المثال، كشفت استطلاعات الرأي أن معظم البيض يفضلون الأحياء التي لا تزيد نسبة السود فيها عن ٣٠ في المئة، ويقول أكثر من نصف البيض إنهم لن ينتقلوا إلى حي نسبة السود فيه ٣٠ في المئة أو أكثر. لا تؤكد دراسات أنماط التنقل الفعلية بين أماكن السكن هذه التفضيلات وحسب، بل تكشف أيضًا أن البيض يقلِّلون من شأنها. تدفق النزوح الأبيض لدى وصول نسبة السكان السود في أحد الأحياء البيضاء إلى ٧٪. أما في الأحياء التي تضم أكثر من بضع عائلات من السود، فيتوقف طلب البيض على المساكن بالكامل تقريبًا[٥] (أي أن الطلب يتوقف ما لم يكن البيض بحاجة إلى هذا السكن بسبب أسعار المنازل الباهظة في الأحياء الأخرى. في هذه الحالة، يتم دفع السود خارج أحياء معينة من خلال زيادة عملية «السراوة» أو الاستطباق. بروكلين وهارلم وأوكلاند وسياتل أمثلة رئيسية على ذلك).

في عام ٢٠١٥، وجدت دراسة أجرتها «مؤسسة علم الاجتماع الأميركية» أن أعلى مستوًى من الفصل العرقي هو الفصل بين السود والبيض، وأدنى مستوى بين الآسيويين والبيض، بينما يحتلُّ المستوى بين اللاتينيين والبيض موقعًا متوسطًا. أغلب البيض لا يريدون الاندماج أو الاختلاط مع السود أثناء تعبيرهم عن معتقداتهم وممارستهم حياتهم.

نرى مشاعر معاداة-السود جليَّة في السرعة التي يبرر بها البيض صور الوحشية تجاه الأطفال السود (ناهيك عن البالغين السود) بافتراض أبيض: لا بد أن الأسود فعل شيئًا يستحق عنه هذه المعاملة. هذه الافتراضاتً لا يمكن تصورها إذا رأينا صورًا لمراهقين بيض يتم رميهم في الفصول الدراسية، أو لأطفالٍ بيض مقيدين في الروضة، أو لطفل أبيض أُطلقت عليه رصاصة بينما هو يلهو بمسدسٍ لعبة في الحديقة العامة. نرى مشاعر معاداة-السود في الرد الفوري على حركة «حياة السود مهمة» بالقول إن حياة الجميع مهمة، وإن حياة الزرق مهمة. وفي المقارنة السخيفة والخاطئة بين القومية البيضاء وحركة «اليمين البديل» (المرتبطة الآن مباشرة بالبيت الأبيض) بحزب الفهود السود في الستينيات. نرى معاداة السواد في مدى قسوة انتقادنا للسود بكل وسيلة ومقياس. نرى ذلك في تصريح رئيس الولايات المتحدة حول النازيين الجدد المتعصبين للبيض ومسيرتهم العلنية في الشوارع -بما في ذلك رجل قاد سيارة وسط حشدٍ من المتظاهرين - بأنهم لا يختلفون في شيء عن الأشخاص الذين يحتجُّون عليهم.

**يذكر كوتس في «قضية التعويضات»:**

«كان الاقتصاد الأميركي المبكر مبنيًّا على العمل بالسخرة. أقيم مبنى الكابيتول والبيت الأبيض على أكتاف العبيد. تاجَر الرئيس جيمس ك. بولك بالعبيد من المكتب البيضاوي. إن رثاء «علم الأمراض الأسود»، وانتقاد الهياكل الأسرية السوداء من قبل النقَّاد والمثقفين، يبدو أجوف في بلدٍ كان وجوده قائمًا على تعذيب الآباء السود، واغتصاب الأمهات السود، وبيع الأطفال السود. التقييم الصادق لعلاقة أميركا بالعائلة السوداء يكشف أن البلاد لم تكن راعيتها بل مدمرةً لها. وهذا التدمير لم ينتهِ بالاستعباد»[٦].

معاداة-السواد متجذرة في التضليل والخرافات والانحرافات والإسقاطات والأكاذيب. كما أنها متجذرة في الافتقار إلى المعرفة التاريخية والعجز أو التقاعس في تتبع آثار التاريخ في الحاضر. وقد يكون الأهم من ذلك، أن معاداة-السواد قد تأتي من الشعور العميق بالذنب حيال ما فعلناه وما زلنا نفعله؛ تلك المعرفة التي لا تطاق بتواطئنا مع التعذيب العميق للسود من الماضي إلى الحاضر. بالطبع، لم يتحمل التروما الكاملة لهذا التعذيب بأشكاله المختلفة -جسديًّا ونفسيًّا - إلا الأميركيون الأفارقة، إلا أن في معرفته نوعًا من التروما الأخلاقية للجماعة البيضاء. في كتابه الثوري، «يدا جدتي»، يشير الاختصاصي الاجتماعي والمعالج ريسما ميناكم، إلى تفوق البيض باعتباره تفوق الجسد الأبيض محاججًا بأن التفوق الأبيض هو شكل من أشكال التروما التي اختُزنت في أجسادنا الجمعية: «يعرف العديد من الأميركيين الأفارقة التروما بشكل وطيد، من خلال أنظمتهم العصبية ومن تجارب الأشخاص الذين يحبونهم، وفي أغلب الأحيان من كليهما. لكن الأميركيين الأفارقة ليسوا وحدهم في هذا. لها شكل مختلف لكنه حقيقي بالقدر نفسه، تلك التروما المعرقنة التي تعيش في أجساد معظم الأميركيين البيض»[٧].

تتيح لنا إسقاطاتنا دفن هذه التروما عن طريق تجريد الضحية من إنسانيتها ثم إلقاء اللوم عليها. إذا لم يكن السود بشرًا بنفس الطريقة التي نُعدُّ بها نحن البيض بشرًا، فإن إساءة معاملتنا لهم ليست محسوبة. لسنا مذنبين. هم المذنبون. إذا كانوا سيئين، فهذا ليس ظلمًا. في الواقع، إنه الصواب.

هناك ارتياح غريب في معاقبة السود: وجوه الجمهور الأبيض مبتسمة وهو يتنزه بينما يتفرج على إعداماتٍ قرَّرها بيضٌ آخرون دون محاكمة في الماضي؛ الموافقة التي يعبر عنها البيض بقناعة بينما يراقبون عمليات الاعتقال الجماعي والإعدام في الوقت الحاضر. الطهارة البيضاء التي تتجلى عند إلحاق الألم بالأميركيين الأفارقة، وفي البهجة التي تستمدها الجماعة

البيضاء من الوجه الأسود وتصوير السود على أنهم قرود وغوريلا. نراها في التعاطف مع البيض المدمنين على الأفيون، والمطالبة بتزويدهم بالخدمات والرعاية، مقابل الحكم الإلزامي ضد المدمنين على الكراك[39]. نراه في القلق بشأن الطبقة العاملة البيضاء «المنسية»، وهو قلقٌ كان له أثرٌ بالغ الأهمية في نتائج الانتخابات الرئاسية الأخيرة (انتخاب ترامب)، مع لامبالاةٍ بالسود الذين يظلُّون في قاع كل مقياس اجتماعي واقتصادي تقريبًا. الأمر كما يشير كوتس «سود كادحون هؤلاء في مكانهم الطبيعي؛ بيض كادحون ينذرون بشبح العبودية البيضاء»[٨].

يشير كوتس إلى البيض بأنهم «حالمون» في «الحلم»، معتقدين بالخطأ أنهم من البيض. أفهم أن هذا يعني أن البيض لا يمكن أن يكون بيضًا إلا إذا كان هناك أشخاص ليسوا كذلك - إذا كان هناك من هو عكس الأبيض. الأبيض هوية مزيفة، هوية تفوقٍ زائف. بهذا المعنى، البياض ليس حقيقيًّا، والحلم هو «العالم المثالي» الذي لم يتلوث بالسواد. إذا أراد البيض بناء هذا العالم، فلا بد من فصل السود عن طريق عنف الدولة. ومع ذلك، لا يزال وجودهم ضروريًّا، لأن وجود السود يوفر الآخر المطلوب الذي يرتفع البيض فوقه. وهكذا، تقوم الهوية البيضاء تحديدًا على إسقاط الدونية على السود، وعلى الاضطهاد الذي تسوِّغه الدونية للجماعة البيضاء.

بكل صراحةٍ، أعتقد أن جماعة البيض تكره السواد لما يذكرنا به: باستقوائنا وذنبنا، بارتكاب أذًى لا حدَّ له ولا قياس، وبأن مكاسبنا تأتي من خلال قهر الآخرين. لدينا كراهية خاصة للسود «المتغطرسين»، أولئك الذين يجرؤون على الخروج من بيوتهم والنظر إلينا مباشرة في أعيننا وكأننا متساوون[٩]. الرسائل المتداولة من جيل إلى جيل بلا انقطاع تعزز الاعتقاد الأبيض بأن السود غير مستحقين بطبيعتهم (بصراحة إنه اعتقاد شائنٌ بالنظر إلى السطو على عملهم الذي شرَّعته الدولة). لقد سمعنا هذه الرسالة في سردية «محتالو الرعاية الاجتماعية» و«ملكات الرعاية الاجتماعية»[40] في عهد ريغان.

ونراه اليوم عندما ينتقد المعلقون لاعبي الرابطة الوطنية لكرة القدم (NFL) الذين يركعون أثناء النشيد الوطني ثم يمارسون حقهم في الاحتجاج على وحشية الشرطة، ويصفونهم بأنهم «جاحدون». ونراه عندما يعلن عضو الكونجرس السابق جو والش أن ستيفي وندر هو «مليونير أسود آخر جاحد للجميل». نراه عندما يقول روبرت جيفريس، قس دالاس الإنجيلي ومستشار ترامب رئيس الولايات المتحدة، إن لاعبي اتحاد كرة القدم الأميركي الذين يحتجون على وحشية الشرطة ضد الأميركيين الأفارقة، يجب أن يشكروا الله أنهم لا يخشون إطلاق النار على رؤوسهم «مثلما سيكون حالهم لو أنهم في

كوريا الشمالية». نرى ذلك في غضب حشد التقدميين البيض الذين حضروا لسماع بيرني ساندرز يتحدث في سياتل، وطلب النشطاء السود الوقوف أربع دقائق ونصفًا من الصمت تكريمًا لمايكل براون، الرجل الأسود الأعزل الذي أطلقت عليه الشرطة النار في فيرجسون، ميسوري، آنذاك صرخ الحشد: «كيف تجرؤون!».

تفسّر كارول أندرسون في كتابها «سخط أبيض»، بأن «الدافع وراء غضب البيض، حتمًا، هو تقدّم السود». ليس مجرد وجود السود هو المشكلة. بل إنه سوادٌ مع طموح، ودافع، وهدف، وتطلعات، ومطالب بالمواطنة الكاملة والمتساوية. إنه سواد يرفض القبول بالقهر والاستسلام». وتتابع: «الحقيقة أنه بالرغم من كل هذا، تم انتخاب رجل أسود رئيسًا للولايات المتحدة: إنه التقدُّم الأقصى، وبالتالي الإهانة القصوى. ربما لا يكون مستغربًا أن تُقلَّص حقوق التصويت[41]، وتُغلق الحكومة الفيدرالية، وأن يهان مكتب الرئيس علانية أكثر من مرة على نحوٍ صادم وعلى الملأ من قبل المسؤولين المنتخبين الآخرين»[١٠].

معاداة-السواد هي مزيجٌ معقدٌ ومربكٌ من الرفض والإحسان، لأننا نستخدم السود أيضًا لنشعر بالدفء والنبل. نحن ننجذب إلى أولئك الذين خفضوا أعينهم في حضورنا، أولئك الذين يمكننا «إنقاذهم» من أهوال حياتهم السوداء بإغداقنا وطيبتنا. لنأخذ مثالًا أستخدمه غالبًا في عروضي التقديمية: الفيلم الشهير The Blind Side «الجانب الأعمى»، الذي حازت ساندرا بولوك الأوسكار عن دورها فيه. الفيلم مثال مقنع للبيض بصفتهم المحسنين عرقيًّا. أصحاب اليد العليا. يعتمد الفيلم على القصة «الحقيقية» لعائلة توهي التي أنقذت مايكل أوهير، رجل أسود جاء من ظروف عائلية فقيرة وأصبح لاعبًا في اتحاد كرة القدم الأميركي. على الرغم من أن الفيلم كان شائعًا لدى الجماهير البيضاء، فقد ضُمِّن العديد من الروايات العرقية المثيرة للجدل. في الواقع، ليس ثمة شخصيات سوداء لا تعزز التنميط العرقي السلبي. صُوِّر أوهير نفسه على أنه عملاقٌ لطيفٌ طفوليٌّ يعيش في فقر مدقع. والدته العازبة مبدَّدة بين الإدمان وأطفالها الكثيرين الذين أنجبتهم من آباء مجهولين، وموظف الرعاية العاجز، والمحامي المغرور، والعصابة الخطرة في حيِّه الموبوء بالمخدرات وتعصف به الجريمة.

في أحد المشاهد المحورية، يعود أوهير إلى حيه السابق. وبينما يسير في الشارع تحاصره عصابة تحاول ترهيبه. في تلك اللحظة وبينما يفكر في خياراته المحدودة، تصل السيدة توهي وتواجه أعضاء العصابة الذين يتراجعون بسرعة وينسحبون. بعد أن انتشلته السيدة توهي عاد أوهير إلى الضاحية البيضاء الآمنة. المشهد يقول كل شيء بوضوح: الطريقة الوحيدة التي يمكن

بها إنقاذ أوهير من أهوال مجتمعه الأسود هي من خلال إحسان عائلة بيضاء وشجاعتها.

في الفيلم، يناقش المحترفون البيض أوهير كما لو كان معاقًا في نموه (من المؤكد أنه يقدم هكذا - فهو سلبي ولا يمكنه التعبير عن نفسه طوال الفيلم). لاحظ أساتذته أنه سجَّل في اختبار الذكاء أدنى نسبة مئوية في «القدرة على التعلم»، وفي المقابل سجَّل النسبة المئوية الأعلى في «غريزة الحماية»! بصفتي أستاذة للتربية لم تسمع من قبل عن اختبار يقيس «غريزة الحماية»، لم أتمكن من العثور على أي دليل على وجود هذا المقياس الغريب. إنها لمعضلة كبيرة أن يتم تصوير أوهير كرجلٍ أسود، على أنه يفتقر إلى القدرات الفكرية ولكنه استثنائي في شيءٍ غريزي. يتم تعزيز قدرته الفكرية المحدودة طوال الفيلم، على سبيل المثال، حين يتوجب على أصغر طفل في أسرة توهي تعليم أوهير لعب كرة القدم.

وفقًا للفيلم، لا يتمكن أوهير من فهم قواعد اللعبة أبدًا. لذلك تتوجه السيدة توهي إلى «غريزة الحماية» لديه، فتخبره أن يتصور اللعبة كما لو أن أحد أفراد عائلته البيضاء الجديدة سيتعرَّض للأذى. وبمجرد أن تنخرط غرائزه (بدلًا من عقله)، لا يمكن إيقافه في الملعب. في مشهد مهين جدًّا، يجلس الطفل الأبيض، الذي حاول تعليم أوهير لعب كرة القدم بلا جدوى، على طاولة التفاوض على عقد مع رجال بالغين أقوياء بينما يجلس أوهير في الخلفية صامتًا. هذا الفيلم، الذي تم سرده من منظورٍ أبيض واستقبله الجمهور بحماس، يعزز بعض الأيديولوجيات السائدة المهمة جدًّا:

• البيض هم منقذو السود.

• قد يكون بعض الأطفال السود أبرياء، لكن البالغين السود جناة وفاسدون أخلاقيًّا.

• البيض المستعدون لإنقاذ السود أو مساعدتهم، وعلى ما يبدو أنهم يتكبدون شخصيًّا الكثير جراء ذلك، هم نبلاء وشجعان ومتفوقون أخلاقيًّا على البيض الآخرين.

• يمكن لأفراد سود التغلب على ظروفهم، ولكن عادة ما يحدث ذلك بمساعدة البيض فقط.

• الأحياء السوداء خطرة وإجرامية بطبيعتها.

• جميع السود تقريبًا فقراء وغير أكفاء ولا مؤهلين لشغل وظائفهم؛ إنهم ينتمون إلى عصابات، ومدمنون على المخدرات، وآباء سيئون.

• أكثر طريق موثوق بالنسبة إلى الذكور السود للهروب من «المدينة الداخلية»[42] يكون عبر الرياضة.

• البيض على استعداد للتعامل مع أفراد سود «مستحقين»، لكنهم لا يمكن أن يصبحوا جزءًا من المجتمع الأسود بأي طريقة بنَّاءة (بخلاف العمل الخيري)[١١].

وطبعًا، يجلب أوهير أيضًا الفداء للبيض المخلِّصين. ينتهي الفيلم بتعليق صوتي من السيدة توهي المسيحية، وهي تدَّعي أن إنقاذ هذا الصبي كان بإرادة الله (على الأرجح لأن موهبته في الميدان جعلته أكثر ربحًا وبالتالي قيمة للأشخاص البيض). وبالتأكيد فإن عائلة توهي البيضاء الطيبة يتعين عليها التعامل مع تعصُّب البيض السيئين الذين يواجهونهم في النادي الريفي وأماكن أخرى. على هذا النحو، يجري أيضًا تعزيز ثنائية عنصري = سيئ/ ليس عنصريًا = جيد. الفيلم معادٍ للسود بشكل مبطن وخبيث.

تولِّد التنشئة الاجتماعية العنصرية العديد من المشاعر المتضاربة تجاه الأميركيين الأفارقة: الإحسان والاحتقار والتفوق والكراهية والشعور بالذنب، كلها تضطرم تحت السطح وتنفجر عند أدنى خرق، ومع ذلك لا يمكن الاعتراف بها صراحة. حاجتنا إلى إنكار المظاهر المعقدة لمعاداة السواد التي تستقر قريبًا جدًّا من السطح تجعلنا لاعقلانيين، وهذه اللاعقلانية هي في صميم الهشاشة البيضاء والألم الذي تسببه للملونين.

# الفصل السابع: محرِّضات عرقية للناس البيض

في مؤسسةٍ تسعى إلى زيادة الوعي العرقي لدى موظفيها، تحدى المشاركون الملونون بإصرار الافتراضات المثيرة للجدل التي تنطوي عليها تصريحات المرأة البيضاء، والتي قالتها أثناء حوار عابر للأعراق. أخذت المرأة تتحدث بصوت مرتفع: «أشعر أن كل ما أقوله يُستخدم ضدي ويُلقى في وجهي مرة أخرى! يتعرض البيض للهجوم ويُلقى عليهم اللوم، وعلينا الدفاع عن أنفسنا أو القبول باستخدامنا كيسًا للملاكمة. أنا أستسلم! لن أقول أي شيءٍ آخر».

المرأة السوداء الوحيدة في فريق التخطيط في العمل تستمع باهتمام إلى زميلاتها البيض في الساعة الأولى من الاجتماع، ثم تطرح عليهم سؤالًا عمَّا يقترحن. بعد الاجتماع، اتصلت بها المسؤولة عنها ودعتها إلى مكتبها لتخبرها بأن النساء الأخريات شعرن بأنها تهاجمهن.

تعزل العوامل التي نوقشت في الفصول السابقة البيض عن التوتر العرقي. على الرغم من أن العزل العرقي الأبيض يرتبط إلى حد ما بالطبقة الاجتماعية (البيض الفقراء سكان الضواحي والطبقة العاملة معزولون بشكل أقل عرقيًّا من البيض في الضواحي أو الريف)، فإن البيئة الاجتماعية الأكبر تحمي البيض كمجموعة من خلال المؤسسات، والتمثيلات الثقافية، ووسائل الإعلام، والكتب المدرسية، والأفلام، والإعلانات والخطابات المهيمنة وما شابه ذلك. تصف ميشيل فاين، الباحثة في دراسات البياض، هذا العزل: «يكتسب البياض الامتياز والمكانة. يحيط نفسه بوسائد واقية من الموارد و/أو افتراض حسن النية؛ يرفض البياض النميمة والتلصص ويطالب بالكرامة بدلًا من ذلك»[١]. قلَّما يجد البيض أنفسهم بدون هذه الحماية. وإن حدث فذلك لأنهم اختاروا الخروج مؤقتًا من منطقة الأمان تلك. يتوقعون الراحة العرقية في بيئتهم المعزولة والمحروسة بامتيازهم العرقي، ويصبحون أقل تسامحًا مع التوتر العرقي. عندما يجري تحدي أيديولوجيات عمى الألوان والجدارة والفردانية، فإن ردود الأفعال الانفعالية القوية مألوفة. لقد ناقشت العديد من الأسباب التي تجعل البيض يتخذون موقفًا دفاعيًّا إن اقترحت عليهم أننا مستفيدون من نظام عنصري ومتواطئون معه:

- التابوهات الاجتماعية تحظر الحديث علانيةً عن العرق.
- ثنائية عنصري = سيئ / ليس عنصريًّا = جيد.
- مشاعر الخوف والغضب تجاه الملونين.
- توهمُنا أننا أفراد موضوعيون.

• شعورنا بالذنب لأننا نعرف بأن ما يحدث أكثر مما نستطيع أو نشاء الاعتراف به.

• استثمارنا العميق في نظامٍ يفيدنا وتكيفنا على أن نراه عادلًا.

• التفوق المستدخل والشعور بالحق في أن نحكم.

• إرث ثقافي عميق من مشاعر معاداة-السود.

تملك الأغلبية العظمى من البيض معلوماتٍ محدودة حول ماهية العنصرية وكيفية عملها. بالنسبة إلى العديد من البيض، فإن الدورة التدريبية الوحيدة التي يلتحقون بها في الكلية، أو «تدريب الكفاءة الثقافية» المطلوب في مكان عملهم هي المرة الوحيدة التي قد يجدون فيها أنفسهم في مواجهةٍ مباشرةٍ ومستدامةٍ مع واقعهم العرقي. ولكن حتى في هذا السياق، لا تتناول جميع الدورات أو البرامج التدريبية متعددة الثقافات العنصرية بشكل مباشر، ناهيك عن أن تتناول الامتياز الأبيض. بل إن من المألوف أكثر في هذه الدورات والبرامج استخدام لغة مشفَّرة عرقيًّا، مثل كلمات: «تحت التطوير» و«مدينة داخلية» و«المحرومة من الامتيازات»، ونادرًا ما تستخدم كلمات «أبيض» أو «محظي» أو «يتمتع بامتياز».

هذه اللغة المشفَّرة عنصريًّا تعيد إنتاج صورٍ ووجهات نظرٍ عنصرية، وفي الوقت نفسه تعيد إنتاج الوهم المريح بأن العِرق ومشاكله لديهم «هم» وليس نحن. تتنوع دوافع امتناع ميسري هذه الدورات والتدريبات عن تسمية ديناميكيات العنصرية والمستفيدين منها بشكل مباشر منها غياب التحليل الصحيح للعنصرية لدى الميسرين البيض؛ وإستراتيجيات البقاء الشخصية والمادية للميسرين الملونين؛ وضغط الإدارة للحفاظ على محتوًى مريح ومقبول للبيض.

مع هذا، فإن حدث وتناول أحد البرامج التعليمية العنصرية وامتياز البيض مباشرةً، فإن الاستجابات البيضاء المألوفة تشمل: الغضب، والانسحاب، والعجز العاطفي، والشعور بالذنب، والجدال، والتنافر الإدراكي[43] (وكلها ردود فعلٍ ضاغطة تدفع الميسرين إلى تجنب الحديث عن العنصرية بشكل مباشر). قد لا يستجيب من يوصفون بأنهم البيض التقدميون بالغضب، غير أنهم سيعزلون أنفسهم بزعم أنهم تجاوزوا الحاجة إلى التعامل مع هذا المحتوى، لأنهم إما «التحقوا أساسًا بمساق دراسي عنه» وإما لأنهم «يعرفون هذا أصلًا». تشكِّل ردود الفعل هذه بمجموعها الهشاشةَ البيضاء، وهي النتيجة لتضاؤل الجَلَد السايكواجتماعي الذي يسببه العزل العرقي.

كنت بالغة، وأمًّا، وخريجة بدرجة عليا قبل أن أواجه هويتي العرقية أو موقفي، وهذه التجربة حدثت فقط لأنني شغلت وظيفة «مدربة تنوع». عندما

تضاف ندرة مواجهتي لموقفي إلى حياتي القائمة على المركزية العرقية، والتفوق المستدخل، والشعور بنفسي كفرد مميز، وتوقع الراحة العرقية التي تولدها ثقافتنا، تكون النتيجة أنني ببساطة لم أدعَ ألبتة إلى بناء قدرتي على تحمل التوتر العرقي.

يفيدنا مفهوم الهايبتوس Habitus الذي ابتكره الأنثروبولوجي وعالم الاجتماع[44] بيير بورديو كثيرًا في فهم الهشاشة البيضاء، وفي القدرة على التنبؤ بردود فعلنا نحن البيض عندما يجري تحدي مواقفنا العرقية[٢]. وفقًا لبورديو، فإن الهابيتوس هو نتاج التنشئة الاجتماعية والممارسات المتكررة التي يقوم بها فاعلون وتفاعلهم بعضهم مع بعض ومع باقي بيئتهم الاجتماعية. ولأنها متكررة، فإن التنشئة الاجتماعية لدينا تنتج وتعيد إنتاج الأفكار والتصورات والتعبيرات والأفعال. وبالتالي، يمكن اعتبار الهابيتوس وسائل مألوفة لدى الشخص يدرك من خلالها، ويفسر ويستجيب للإشارات الاجتماعية من حوله أو من حولها.

تنطوي نظرية بورديو على ثلاثة جوانب أساسية وطيدة الصلة بالهشاشة البيضاء: المجال، والهابيتوس، والرأسمال. المجال هو السياق الاجتماعي المحدد الذي يتواجد فيه الشخص؛ حزب أو مكان عمل أو مدرسة. إذا أخذنا مدرسةً ما كمثال، فهناك مجال المدرسة الكلي macro field، وداخل المدرسة توجد مجالات صغيرة micro fields، منها استراحة المعلمين، غرفة الموظفين، الفصل الدراسي، الملعب، مكتب المدير، مكتب الممرضات، غرفة مستلزمات البوَّاب وما إلى ذلك. الرأسمال هو القيمة الاجتماعية التي يحملها الناس في مجال معين؛ كيف ينظرون إلى أنفسهم وكيف يُنظر إليهم من حيث قوتهم أو مكانتهم. لنقارن مثلًا رأسمال مدرِّس برأسمال طالب، ورأسمال معلم مع مدير، وطالب من الطبقة المتوسطة وطالب ممن يحصلون على وجبة غداء مجانية أو مخفضة، ومتعلِّم اللغة الإنجليزية ومَن الإنجليزية هي لغته الأم، وفتاة ذات شعبية وفتاة لا تحظى بشعبية، وأمين المستودع وموظفة استقبال، ومعلمة روضة ومعلمة صف سادس وهكذا.

يمكن أن يتغيَّر الرأسمال تبعًا لتبدُّل المجال، على سبيل المثال، عندما يأتي أمين المستودع إلى «الطابق العلوي» للتحدث إلى موظفة الاستقبال -أمين المستودع في ملابس العمل وموظفة الاستقبال في ملابس العمل - فإن موظفة المكتب تمتلك رأس مال أكبر من أمين المستلزمات والصيانة. ولكن عندما «تنزل» موظفة الاستقبال إلى غرفة المستلزمات التي يتحكم فيها أمين المستودع، لطلب المزيد من الأقلام للسبورة، فإن خطوط السلطة هذه تتحول؛ هذا هو مجال أمين المستودع الذي يمكنه تلبية الطلب بسرعة أو عرقلته وجعله طلبًا صعبًا. لنلاحظ كيف سيلعب العِرق والطبقة والجندر أيضًا

دورًا في مفاوضات السلطة. أمين المستودع سيكون على الأرجح رجلًا وموظفة الاستقبال أنثى؛ وعلى الأرجه أن أمين المستودع سيكون ملونًا وموظفة الاستقبال بيضاء. يتم تلقائيًّا التفاوض على هذه الطبقات المعقدة والمتقاطعة للرأسمال.

يتضمن الهابيتوس إدراكًا مستدخلًا لدى المرء حول مكانته، إلى جانب استجاباته لمكانة الآخرين. وفي كل مجال، يتنافس الناس (دون وعي غالبًا) على السلطة، وسيكون لكل مجال قواعد لعبٍ خاصة به[٣]. يعتمد الهابيتوس على موقع القوة الذي يشغله المرء في الهيكل الاجتماعي. بالعودة إلى مثال المدرسة، ستكون هناك قواعد مختلفة لامتلاك سلطة في مكتب الاستقبال مقابل غرفة الإمدادات. لا يتطلب الأمر التفكير بوعيٍ في هذه القواعد، فأنا أتبدَّل تلقائيًّا عند دخول كل مجال. إن لم أتبِّع هذه القواعد فسيتم إقصائي عن هذا المجال بوسائل مختلفة. يتم تعليمنا بعض هذه القواعد بشكل صريح، في حين أن بعضها الآخر ليس مكتوبًا ونتعلمه من خلال التقاط أنماطٍ اجتماعيةٍ ثابتةٍ ومكررة. مثلًا، توضح القواعد ما نتحدث ولا نتحدث عنه في مجال معين، وكيفية الرد عندما يتحدث شخص ما عن شيء يعتبر من المحرمات في ذلك المجال. عندما يختل توازن الهايبتوس -بمعنى عندما تكون الإشارات الاجتماعية غير مألوفة لنا و/أو عندما تتحدى رأسمالنا - فإننا نستخدم إستراتيجياتٍ لاستعادة توازننا. يحافظ الهايبتوس على راحتنا الاجتماعية ويساعدنا على استعادتها عندما لا يتصرف مَن حولنا بطرق مألوفة لنا أو مقبولة منَّا. استجابتنا لاختلال توازن الهايبتوس لا تكون واعية عادةً، بل إن ردود فعلنا تكون لاواعية في هذه الحالة. يوضح بورديو أن «الهابيتوس ليس نتيجة الإرادة الحرة، ولا تحدده القواعد، ولكنه نشأ بمرور الزمن من التفاعل بين الاثنين: التصرفات التي تشكَّلت من خلال الأحداث والقواعد السابقة، والتي تشكل الممارسات والقواعد الحالية، والأهم من ذلك أيضًا، أنه يحدِّد إدراكنا لهذه الأشياء»[٤]. وبهذا المعنى، يُنشأ الهايبتوس ويُستنسخ «دون أي سعي متعمدٍ إلى تحقيق التماسك... بدون أي تركيز واعٍ»[٥]. وفي الحالات النادرة التي يتم فيها مواجهة الموقف الأبيض وتحديه، ينتج الخلل.

إذن، فالهشاشة البيضاء هي الحالة التي يصبح الحد الأدنى من التوتر العرقي في الهابيتوس معها أمرًا لا يطاق، وينتج منها وبسببها مجموعة من التصرفات وردود الفعل الدفاعية. تتضمن هذه التصرفات الانفعالات العلنية؛ الغضب؛ والخوف؛ والشعور بالذنب؛ وسلوكيات مثل المجادلة والصمت والانسحاب من الموقف المسبِّب للتوتر. بدورها، تعيد هذه التصرفات التوازن العرقي الأبيض. حيث أن التوتر العرقي ليس إلا نتيجةً لمقاطعة ما هو مألوف لنا عرقيًّا. قد تتخذ هذه المقاطعة عدة أشكال وتأتي من مجموعة من المصادر، بما في ذلك:

• الإيحاء بأن وجهة نظر الشخص الأبيض تأتي من إطار مرجعي معرقن (تحدي موضوعية الشخص الأبيض).

• الملونون يتحدثون مباشرة عن منظورهم العرقي (تحدي التابو الأبيض الذي يمنع التحدث صراحةً عن العرق).

• الملونون يختارون عدم حماية مشاعر البيض بشأن العِرق (تحدي التوقعات العرقية البيضاء والحاجة إلى الراحة العرقية أو استحقاقها).

• عدم رغبة الملونين في سرد قصصهم أو الإجابة عن أسئلة حول تجاربهم العرقية (تحدي توقعات البيض من أن الأشخاص الملونين سوف يخدموننا).

• زميل أبيض لا يتفق مع معتقداتنا العرقية (تحدي تضامن البيض بعضهم مع بعض).

• تلقي تغذية راجعة تفيد بأن سلوكنا كان له تأثير عنصري (تحدي البراءة العرقية البيضاء).

• القول بأن عضوية المجموعة مهمة (تحدي الفردانية).

• الاعتراف بأن الفرص غير متكافئة بين الجماعات العرقية (تحدي الجدارة).

• أن يتم تقديمك إلى شخص ملون في منصب قيادي (تحدي السلطة البيضاء).

• تقديم معلومات حول المجموعات العرقية الأخرى، مثلًا من خلال الأفلام التي تقود الأحداث فيها شخصيات ملونة ولا تظهر في أدوار نمطية، أو من خلال التعليم متعدد الثقافات (تحدي المركزية البيضاء).

• القول بأن البيض لا يمثلون الإنسانية جمعاء ولا يتحدثون باسمها (تحدي التشميليّة أو الكليّة universalism)[45].

في مجتمع يهيمن فيه البيض، تصبح كل واحدة من هذه التحديات استثنائية. في المقابل، الأغلب نكون في حيرة من أمرنا فلا نعرف كيف نستجيب لها بطريقة بنَّاءة. على سبيل المثال، طُلب مني ذات مرة تقديم توجيهٍ فردي إلى معلمٍ أبيض كان قد أدلى بتعليقات عنصرية غير لائقة لطالبة سوداء. عندما اشتكت والدة الفتاة، أخذ المعلم موقفًا دفاعيًّا وتصاعد الصراع. وصلت الحادثة إلى الصحف، ونوقشت الإجراءات القانونية المحتملة. سأسمي هذا المعلم السيد روبرتس. خلال إحدى جلساتنا، أخبرني السيد روبرتس عن زميلته، معلمة بيضاء كان عندها في مكتبها أخيرًا طالبتان سوداوان. وجَّهت المعلمة كلامها إلى إحداهما قائلة: «يا بنت». من الواضح أن

الطالبة فوجئت وسألتها «هل ناديتني حالًا يا بنت؟» تدخَّلت الطالبة الأخرى بأن لا بأس، فالمعلمة تدعو جميع طالباتها هكذا.

نقل السيد روبرتس هذه القصة إليَّ معربًا عن غضبه وغضب زميلته من ضرورة توخي «الحذر الشديد» والعجز عن «قول أي شيء بعد الآن». لقد اعتبر المعلمون تدخلي شكلًا من أشكال العقاب واعتقدوا أن الطلاب الملونين بسبب الحادث الذي وقع مع السيد روبرتس، أصبحوا الآن «مفرطي الحساسية» ويشكون من العنصرية في أماكن ومواقف لا وجود للعنصرية فيها من الأساس. بالنسبة إلى هؤلاء المعلمين، كان رد فعل الطالبة على مناداتها ب«يا بنت» مثالًا على هذه الحساسية المفرطة. هذا الاتهام سردية مألوفة عند البيض، وتُسوَّغ في هذه الحالة لسببين: أولًا، لأن المعلمة تنادي جميع طالباتها ب«يا بنت»، فالتعليق لا علاقة له بالعرق. ثانيًا، لم يكن لدى الطالبة الأخرى مشكلة، لذلك اعتُبر أن الطالبة الأولى تبالغ في رد فعلها. تكشف ردود أفعال هؤلاء المعلمين البيض العديد من ديناميكيات الهشاشة البيضاء. أولًا، لم يخطر للمعلمين إطلاقًا أنهم، بعدم فهمهم لرد فعل الطالبة، لربما يفتقرون إلى تكوين شيء من المعرفة أو السياق. لم يظهر أي منهما فضولًا لمعرفة منظور الطالبة أو مرد شعورها بالإهانة، ولم يبد أحدهما اكتراثًا لمشاعر الطالبة، ولم يتمكنا من فصل النوايا عن التأثير.

على الرغم من افتقار السيد روبرتس إلى المهارات اللازمة للتفاعلات والتفاهمات العابرة عرقيًّا -وهو الافتقار الذي أدى إلى انتهاك عرقي مع تداعيات قانونية محتملة - فقد ظل واثقًا بغرورٍ من أنه على صواب والطالبة على خطأ. وظلت زميلته، رغم إدراكها أن السيد روبرتس في مشكلة خطيرة بشأن حادثة عابرة للأعراق، ثابتةً على تضامن البيض من خلال المصادقة على وجهة نظره، بمشاركته قصتها، وإبطال منظور الطالبة الملونة. استخدم المعلمان الطالبة التي سمحت بمرور التعليق شاهدةً لتقديم دليل على خطأ الطالبة الثانية. وبحسب قولهما، كانت الطالبة الشاهدة هي المحقَّة لأنها نفت أي تداعياتٍ عنصرية. أخيرًا، استخدم المعلمان هذا الموقف كفرصة لزيادة الانقسامات العرقية بدلًا من تجسيرها، ولحماية مواقفهما ومنظورهما للعالم كما يعرفانه.

يمكن تصور الهشاشة البيضاء كاستجابة أو «حالة» تُنتَج ويعاد إنتاجها عبر المزايا الاجتماعية والمادية المستمرة للبياض. عندما يختلُّ التوازن -عندما يكون هناك انقطاع لما هو مألوف ومسلَّم به - فالهشاشة البيضاء هي ما يستعيد التوازن ويسترد الرأسمال «المفقود» في إحدى تلك التحديات أو سواها. يتضمن هذا الرأسمال الصورة الذاتية والسيطرة وتضامن البيض، الغضب تجاه المحرض، الانغلاق و/أو التجاهل، الانغماس في العجز العاطفي مثل الشعور بالذنب أو «المشاعر المجروحة»، الانسحاب والخروج، أو مزيج

من ردود الفعل هذه. تظهر هذه الإستراتيجيات كاستجابات فورية قلّما ما تكون واعيةً أو محسوبة، لكن هذا لا يجعلها حميدة.

# الفصل الثامن: النتيجة: الهشاشة البيضاء

أقوم بتدريب مجموعة صغيرة من الموظفين البيض على كيفية ظهور العنصرية في أماكن عملهم. إحدى المشاركات، كارين، مستاءة من طلب جوان، زميلتها الملونة الوحيدة، أن تتوقف عن رفع صوتها والتكلم بينما جوان تتكلم. كارين لا تفهم ما علاقة ذلك بالعرق. إنها منفتحة وتميل إلى التكلم فوق كلام الجميع. أحاول أن أشرح كيف يختلف التأثير عندما نقاطع حديثًا عابرًا للعرق، لأننا حين نفعل فإنما نجلب تاريخنا معنا. وبينما ترى كارين نفسها فردًا متمايزًا، ترى جوان أن كارين فردٌ أبيض. بالنسبة إلى جوان فإن مقاطعتها والتحدث فوق حديثها من قِبَل أشخاص بيض ليست تجربة نادرة الحدوث؛ كما أنها ليست منفصلة عن السياق الثقافي الأكبر. تصيح كارين: «خلص انسوا الموضوع! يبدو أن لا شيء أقوله يمكن أن يكون صائبًا، لذلك سأتوقف عن الكلام!».

تسلط الواقعة السابقة الضوء على الهشاشة البيضاء لدى كارين. إنها عاجزة عن رؤية نفسها من منظور عرقي. وعندما يتم الضغط عليها لفعل ذلك فإنها ترفض الاستمرار في الانخراط، وتموضع نفسها موضع من يتلقى معاملة جائرة. يلفت دون غونيا، من الإذاعة الوطنية العامة NPR إلى أن أكثرية الأميركيين البيض يعتقدون أنهم يعانون أيضًا من التحامل العرقي:

«يقول أغلب البيض إن التمييز ضدهم يحدث في أميركا اليوم، وفقًا لاستطلاع نُشر في الإذاعة الوطنية العامة ومؤسسة روبرت وود جونسون وكلية هارفارد تي إتش تشان للصحة العامة».

«إذا تقدمت إلى وظيفة، فيبدو أنهم يمنحون السود الفرصة الأولى» قال تيم هيرشمان البالغ ٦٨ عامًا من مدينة أكرون بولاية أوهايو، «وخاصةً، كما تعلم، إذا كنت تريد أية مساعدة من الحكومة وأنت أبيض فلن تحصل عليها. ولو كنت أسود فستحصل عليها».

يعتقد أكثر من نصف البيض -٥٥ في المئة - الذين شملهم الاستطلاع، بشكل عام، أن هناك تمييزًا ضد البيض في أميركا اليوم. مع ذلك، من الجدير بالملاحظة أنه على الرغم من أن أغلب البيض في الاستطلاع يقولون إن التمييز ضدهم موجود، فإن قلة قليلة منهم جرَّبوا التمييز ضدَّهم حقًّا[١].

يوضح الكم الهائل من دراسات الأطفال والعِرق أن الأطفال يبدءون في تكوين أفكارهم عن العِرق في وقت مبكر جدًّا. ومن اللافت أن الشعور بالتفوق الأبيض ومعرفة رموز القوة العرقية يتطور في وقت مبكر من مرحلة

ما قبل المدرسة[٢]. تصف أستاذة الاتصالات جوديث مارتن تربية الأطفال البيض:

«كما هو الحال في الدول الغربية الأخرى، يرث الأطفال البيض المولودون في الولايات المتحدة المأزق الأخلاقي المتمثل في العيش في مجتمع متعصب للبيض. يتربى الأطفال البيض على اختبار مزاياهم العرقية باعتبارها عادلة وطبيعية، ويتلقون القليل من التثقيف، إن وجد، حول المأزق الذي يواجهونه، فضلًا عن أي توجيهات حول كيفية حلها. لذلك، فإنهم يختبرون التوتر العرقي أو يتعلمون عنه دون فهم المسؤولية التاريخية التي تقع على كاهل الأميركيين الأوروبيين، كما أنهم لا يعرفون شيئًا تقريبًا عن دورهم المعاصر في إدامته»[٣].

على الرغم من حضوره في كل مكان، فلا تجري تسمية التفوق الأبيض باسمه وينكره معظم البيض. وكما يفعل كثيرون، ما إن نصبح راشدين نناهض العنصرية علانية، ففي الأغلب ننسج هويتنا حول إنكار امتيازاتنا القائمة على العرق، وهي امتيازات تعمِّق من حرمانات الآخرين على أسس عنصرية. معضلة هذا التناقض تكمن بدقة في أن الاعتراض الأخلاقي للبيض على العنصرية يزيد من مقاومتهم للاعتراف بتواطئهم معها. في سياق تفوُّق العِرق الأبيض، تقوم الهوية البيضاء إلى حد كبير على أساسٍ من التسامح والقبول العرقي (السطحيين). الأغلب نختار، نحن البيض مَن نعتبر أنفسنا ليبراليين، حماية ما نتصوَّره سمعتنا الأخلاقية، على أن نعترف أو نغيِّر مشاركتنا في أنظمة الظلم والهيمنة.

في عام ٢٠١٦، جوبهت جوائز الأوسكار بافتقارها إلى التنوع. وعندما سُئلت عمَّا إذا كانت تشعر بأن الأوسكار «متأخر عن الزمن» لفشله في ترشيح ممثلٍ أسود واحد للعام الثاني على التوالي، لجأت الممثلة هيلين ميرين إلى البَراءة العرقية البيضاء في ردها: «صدف وأن حدث الأمر هكذا»، كما زعمت، «ليس من العدل مهاجمة الأكاديمية». أما الممثلة شارلوت رامبلينج فقد رأت في مقاطعة حفل توزيع جوائز الأوسكار للفت الانتباه إلى افتقارها إلى التنوع بأنها «عمل عنصري ضد البيض». بالرد هكذا، يستدعي البيض سلطة اختيار متى وكيف وإلى أي مدًى نتحدث عن العنصرية أو نتصدى لها. وبالتالي، فإن الإشارة إلى امتياز البيض أمر مستفز يحرِّض على ظهور أنماط من الاضطراب واتخاذ مواقف الدفاع و«الغضب الحق»[46]. ردود فعل المدافعين تمكِّنهم من حماية شخصياتهم الأخلاقية ضدَّ ما يستقبلونه كهجوم مع رفضهم الإقرار بأي ذنب. بتركيزهم في المحافظة على مكانتهم الأخلاقية باستخدام هذه التكتيكات، يمكن للبيض تجنب المواجهة[٤].

أحد الأساليب التي يحمي بها البيض مواقعهم عند تحديهم عرقيًّا هو استدعاء خطاب الدفاع عن النفس. وتحت هذا الخطاب يصفون أنفسهم بأنهم ضحايا، ومُنتقدون، ومُلامون، ومهاجَمون[٥]. ليست ردود فعل البيض الذين يستقبلون التفاعلات على هذا النحو، إلا محض استجابات للسردية المقابلة فقط؛ فلم يحدث إطلاقًا، على حد علمي، أي عنف جسدي في أي نقاش أو تدريب لسبب عرقي. هذا الادعاء بالدفاع عن النفس يعمل على مستويات متعددة؛ فمن جهة، يقدِّم المتحدثين باعتبارهم متفوقين أخلاقيًّا بينما هم فعليًّا يحجبون السطوة الحقيقية لمواقفهم الاجتماعية. ومن جهة أخرى، فإن هذا الادعاء يخدم في لوم الآخرين -مَن لديهم قوة اجتماعية أقل- على شعورهم بالضيق ويصف، خاطئًا، ضيقهم هذا بأنه شعور خطر. فضلًا عن أن نهج الدفاع عن النفس يكرِّس الصور العنصرية. ومن خلال تقديمهم أنفسهم كضحايا لجهود مناهضة العنصرية، فلا يمكن أن يكونوا مستفيدين من امتيازات البياض. ومن خلال زعمهم أنهم هم مَن تلقوا معاملة غير منصفة -بتحديهم في مواقفهم أو توقع أن يستمعوا إلى منظور الملونين وتجاربهم- يصير بمقدورهم أن يطالبوا بتوجيه مزيدٍ من الموارد الاجتماعية (كالوقت والاهتمام) نحوهم لمساعدتهم في التعامل مع ما تعرضوا له من سوء المعاملة.

عندما أتشاور مع المؤسسات التي تطلب مني مساعدتها في توظيف قوة عاملة أكثر تنوعًا والاحتفاظ بها، فإنها تحذرني باستمرار من أن الجهود السابقة لمعالجة نقص التنوع نجم عنها تروما للموظفين البيض. هذا هو المصطلح الذي يستعملونه لوصف تأثير ورشة العمل القصيرة والمعزولة: تروما. لقد تطلبت هذه التروما سنوات من تجنب الموضوع تمامًا، وعلى الرغم من أن المسؤولين عن العمل مستعدون للمحاولة مرة أخرى، فإنهم ينبِّهونني ويطلبون التقدم ببطء وتوخي الحذر. بالطبع، فإن الصدمة العرقية البيضاء التي تسببت فيها جهود المؤسسة في تحقيق العدالة العرقية قد ضمنت أيضًا بقاء هذه المؤسسة بيضاء بشكل ساحق. إن لغة العنف التي يستخدمها العديد من البيض لوصف المساعي المناهضة للعنصرية لا تخلو من الأهمية، لأنها مثالٌ آخر على كيفية تشويه الهشاشة البيضاء للواقع. بلجوئهم إلى استخدام المصطلحات التي تشير إلى الاعتداء الجسدي، يستفيد البيض من القصة الكلاسيكية التي تقول إن الملونين (خاصة الأميركيين الأفارقة) خطرون وعنيفون. وبذلك يشوِّه البيض الاتجاه الحقيقي للخطر بين البيض والآخرين. يُختزل هذا التاريخ إلى حد كبير عندما يزعم البيض أنهم لا يشعرون بالأمان أو أنهم يتعرَّضون للهجوم حين يجدون أنفسهم في موقف، قلَّما يحدث، يتمثَّل في مجرد الحديث عن العِرق مع أشخاصٍ ملونين. يوضح استخدام لغة العنف هذه مدى هشاشة مواقف معظم البيض وعجزهم في

مواجهة التوترات العرقية، وكيف يُسقِطون لاحقًا هذا التوتر على الأشخاص الملونين[٦]. يصف عالم الاجتماع إدواردو بونيلا سيلفا، في دراسته لعنصرية عمى الألوان، جانبًا من جوانب الهشاشة البيضاء: «بسبب المناخ العرقي الجديد في أميركا، والذي يحظر التعبير الصريح عن المشاعر والآراء والمواقف القائمة على العرق، يصبح من المتعذر فهم البيض حين يضطرون إلى مناقشة القضايا التي توتِّرهم»[٧]. يقود التحقيق في القضايا العرقية المحظورة إلى عدم الترابط في الحديث، الاستطرادات، والتوقف مطولًا وعدة مرات أثناء الكلام، التكرار، وتصحيح المتكلِّم لنفسه. يقترح بونيلا سيلفا أن هذا الحديث غير المترابط مرده الحديث عن العِرق في عالم يصرُّ على أن العِرق ليس له أهمية. يشير هذا التخبُّط والتردُّد إلى أن كثيرًا من البيض ليسوا على استعداد لاستكشاف وجهات نظرهم العرقية، حتى على المستوى الأولي، والعمل على زحزحة فهمهم للعنصرية. يحافظ هذا التردد على السطوة البيضاء لأن القدرة على تحديد الروايات المسموح بالحديث حولها والتي يتم قمعها هي أساس الهيمنة الثقافية. هذا التردد له تداعيات أخرى، لأنه إذا لم يتمكن البيض من استكشاف وجهات نظرٍ عرقية بديلة، فيمكنهم فقط إعادة ترسيخ المنظور الأبيض على أنه منظور كلِّي.

ومع ذلك، ينخرط البيض في الخطاب العرقي أحيانًا ولكن تحت ظروف خاضعة للرقابة. حين نلاحظ المواقف العرقية للآخرين العنصريين ونناقشها بحرية فيما بيننا، وإن كنا نفعل بطرق مشفرة في الأغلب. رفض الاعتراف المباشر بهذا الحديث العرقي يُنتج وعيًا منقسمًا وهذا يؤدي بدوره إلى اللاعقلانية والتشوّش. يكفل هذا الإنكار أيضًا أن المعلومات العرقية المضللة التي يتم تداولها في الثقافة والتي تؤطر وجهات نظرنا ستظل قائمة من دون أن يجري تفحصها. هذا الانسحاب المتواصل لتجنب توتر الانخراط في حديثٍ عن العرق، يحدُّ من قدرة البيض على تكوين روابط حقيقية عابرة للحدود العرقية ويديم دورةً تحافظ على العنصرية في مكانها.

أثناء ورشة تدريب لمناهضة العنصرية في مكان العمل شاركتُ فيها مع فريق متعدد الأعراق، وقعت حادثة تصلح مثالًا قويًّا على الهشاشة البيضاء. غادرت إحدى المشاركات البيض الجلسة وعادت إلى مكتبها مستاءةً بعد أن تلقّت (ما بدا لفريق التدريب على أنه) ملاحظات حساسة ودبلوماسية تناولت كيفية تأثير بعض تصريحاتها في الملونين الحاضرين في الجلسة. عند الاستراحة، اقترب مني العديد من المشاركين البيض الآخرين وزملائي المدربين وذكروا أنهم تحدثوا إلى المرأة على مكتبها، وأنها كانت مستاءة جدًّا من مواجهتها وتحديها في كلامها. (بالطبع، لم تكن كلمة «التحدي» هي الطريقة التي صاغت بها مخاوفها. لقد أطَّرت كلماتها بأنها «اتُّهمت زورًا» بأن لها تأثيرًا عنصريًّا). أراد أصدقاؤها تنبيهنا إلى حقيقة أنها كانت في حالة صحية

سيئة و«ربما أصيبت بنوبة قلبية». وعندما استوضحنا أكثر، تبيَّن أنهم يقصدون ذلك حرفيًّا. كان زملاء العمل هؤلاء مخلصين في خوفهم من أن المرأة الشابة قد تموت بالفعل نتيجة للتعليقات. بالطبع عندما وصلت أخبار حالة المرأة، التي قد تكون سببًا في موتها، إلى بقية المجموعة المشاركة، تحوَّل كل الاهتمام إليها على الفور، بعيدًا عن التفاعل مع التأثير الذي تركته بكلامها في المشاركين الملونين. كما يقول أستاذ العمل الاجتماعي ريتش فود: «إذا تم تعريف الامتياز على أنه إضفاء الشرعية على استحقاق الفرد للموارد، فيمكن تعريفه أيضًا كإذن للهروب أو تجنب أي طعن في هذا الاستحقاق»[٨].

التوازن الأبيض شرنقة من الراحة العرقية، والمركزية، والتفوق، والاستحقاق، واللامبالاة العرقية، والافتقار إلى المعرفة. كل ذلك متجذر في هوية أنهم أناس طيبون لا يعرفون العنصرية. تحدي هذه الشرنقة يقضي على توازننا العرقي. وبالنظر إلى أن الشعور بأننا لسنا متوازنين عرقيًّا أمر نادر الحدوث، فإننا لم نضطر إلى بناء القدرة على تحمل الشعور بضيق هذه الحالة وقلقها، وهكذا، يجد البيض أن هذه التحديات فوق طاقتهم على التحمل ويريدونها أن تتوقف.

الهشاشة البيضاء كشكل من التنمُّر لأكن واضحة: في حين أن قدرة البيض على تحمل التحديات لمواقفنا العرقية محدودة -وبهذه الطريقة هشة - فإن تأثيرات استجاباتنا ليست هشة على الإطلاق؛ إنها قوية جدًّا لأنها مستفيدة من القوة والسيطرة التاريخية والمؤسسية. نحن نمارس هذه القوة والسيطرة بأية طريقة تكون مفيدة في الوقت الحالي لحماية مواقعنا. إذا اضطر الأمر إلى البكاء حتى تندفع جميع الموارد إلينا ويتشتت الانتباه بعيدًا عن مناقشة عنصريتنا، فسنبكي (وهي إستراتيجية تستخدمها عادةً نساء الطبقة الوسطى البيضاء). إذا احتجنا إلى الغضب والرد بسخط، فسوف نغضب. إذا احتجنا إلى أن نجادل، أو نقلِّل من شأن الأشياء، أو نشرح، أو نلعب محامي الشيطان، أو نعبس، أو ننسحب، أو نتراجع لوقف التحدي، فسنفعل.

الهشاشة البيضاء هي شكل من التنمر؛ سأجعل مواجهتك لي وبالًا عليك -بغض النظر عن الدبلوماسية التي تفعل بها بذلك - بحيث أنك ستتراجع ببساطة، وتستسلم، ولن تثير المشكلة مرة أخرى أبدًا. الهشاشة البيضاء تُبقي الملونين في حدودهم و«في مكانهم». بهذه الطريقة تكون شكلًا قويًّا من أشكال السيطرة العرقية البيضاء. السلطة الاجتماعية ليست ثابتة. يتم تحديها باستمرار وتحتاج إلى صيانتها. قد نفكر في الأمور التي تستفز الهشاشة البيضاء -نوقشت في الفصل السابع - باعتبارها تتحدى السلطة والسيطرة البيضاء، ونفكر في الهشاشة البيضاء كوسيلة لوضع حدٍّ للتحدي والحفاظ على تلك القوة والسيطرة.

دعوني أوضح أيضًا أن مصطلح الهشاشة البيضاء يُقصد به وصف ظاهرة معينة جدًّا تخص البيض. الهشاشة البيضاء هي أكثر بكثير من مجرد موقف دفاعي أو تذمر. ربما يمكننا تصوُّرها على أنها سوسيولوجيا الهيمنة: نتيجة التنشئة الاجتماعية للبيض في جوٍّ من تفوق البيض، وهي وسيلة لحمايته والحفاظ عليه وإعادة إنتاجه. لا ينطبق المصطلح على المجموعات الأخرى التي قد تسجِّل شكوى أو من ناحية أخرى قد تعدُّ صعبة (على سبيل المثال، «هشاشة الطلاب»). في ورش العمل التي أديرها، في الأغلب أسأل المشاركين الملونين: «كم مرة أعطيتم أشخاصًا بيضًا ملاحظاتٍ حول عنصريتنا التي لا ندركها ولا نتحاشها؟ كم مرة سارت الأمور بشكل جيد معكم بعد هذا السؤال؟» يتبع ذلك السؤال عادةً تقليب العيون، وهزُّ الرأس، والضحك الصريح، جنبًا إلى جنب مع إجماع بأن الأمور نادرًا ما سارت على ما يرام. ثم أسأل «كيف سيكون الأمر إذا كان بإمكانكم ببساطةٍ أن تخبرونا بملاحظاتكم وأن نستقبلها برحابة صدرٍ ولطف، ونفكر فيها ونعمل على تغيير السلوك الذي أبديتم ملاحظة بسببه؟» تنهد رجل ملون وقال: «سيكون ذلك ثوريًّا». أطلب من زملائي البيض النظر في عمق هذه الإجابة. سيكون ثوريًّا إذا استطعنا تلقي ملاحظة حول سلوكنا والتفكير فيه والعمل على تغييره. من ناحية أخرى، يشير رد الرجل إلى مدى صعوبتنا وعنادنا وهشاشتنا. لكن من ناحية أخرى، فإنه يشير إلى مدى سهولة تحمل المسؤولية عن عنصريتنا. ومع ذلك، فمن غير المحتمل أن نصل إلى هناك إذا عملنا انطلاقًا من وجهة النظر السائدة التي تقول بأن اللئام فقط هم من يشاركون عن عمد في العنصرية.

# الفصل التاسع: الهشاشة البيضاء متلبسة

حصل رئيس مجلس إدارة، أخيرًا، على موافقة المدرسة لرعاية تدريب المساواة العرقية لهيئة التدريس وأغلبها من البيض. وما إن سمع عنوان ورشة العمل، حتى تراجع معبرًا عن امتعاضه من استخدام تعبير البيض.

عندما كنت أستاذة للتربية، كانت جامعتي تقع على بعد عشرة أميال من مدينة تبلغ نسبة السود واللاتينيين من تعداد سكانها حوالي ٥٦ في المئة. كان ٩٧ في المئة من طلابنا من البيض، وقد أجرى العديد منهم ورشاتهم التدريبية في المدارس العامة في هذه المدينة. لم يقم قسمي بتعيين عضو هيئة تدريس ملون منذ سبعة عشر عامًا. لقد طرحت هذا الأمر مرارًا وتكرارًا كقضية، وتبعه الصمت مرارًا وتكرارًا أيضًا. في النهاية، جاء زميلٌ أبيض إلى مكتبي وأخبرني بغضب: «في كل مرةٍ تتحدثين فيها عن الأمر، فأنتِ تقولين إنه لا ينبغي لنا أن نحصل على وظائف».

رجل أبيض يعمل في قبيلة هندية، يسمح باستمرار للسكان الأصليين الذين يعمل معهم بمعرفة مدى «الإرهاق» الذي يشعر به من «رؤية الظلم». إنه لا يعرف إلى متى يمكنه تحمُّل الوظيفة. يشعر زملاؤه من السكان الأصليين بالضغط من أجل مواساته وتشجيعه على البقاء في عمله.

تلقيتُ مكالمة من منظمة كل أفرادها بيض فعليًّا، مهتمة بالتدريب على المساواة العرقية. كانوا يريدون معرفة كيف سأضمن أن يشعر المشاركون بالراحة.

ألقيت من فوري كلمة رئيسية حول ما يعنيه أن تكون أبيض في مجتمعٍ يعلن أن كون المرء أبيض لا يعني شيئًا، بينما يظل مجتمعًا منفصلًا عرقيًّا وغير عادل بسبب العرق. انصبَّ تركيز كلمتي على الكيفية التي شكَّل بها العِرق الهوية البيضاء والأنماط الحتمية التي تنتج من ذلك.

تقترب امرأة بيضاء تعمل مع الأميركيين الأصليين من السيدة التي نظمت المحاضرة، وهي امرأة ملونة. المرأة البيضاء غاضبة. «ماذا عن الأميركيين الأصليين؟ لم تذكروا الأميركيين الأصليين!» إنها توبخ المنظِّمة لعدة دقائق بصوتٍ كان يمكنني سماعه عبر خشبة المسرح.

عندما تدخلتُ أصبَحَت المرأة أكثر هدوءًا، لكنها ما زالت تلومني لأن الهنود الحمر لم يُذكروا في المحاضرة؛ وهم «الأكثر تعرضًا للاضطهاد على الإطلاق». لم تأتِ على هذه المرأة لحظة ذكرت بأي شكلٍ من الأشكال أي شيءٍ يتعلَّق بالبيض أو بها كشخصٍ أبيض، ولم تُدلِ بأيَّة فكرةٍ قد تكون

اكتسبتها بسبب بياضها، أو تفكر في تأثير توبيخها لامرأة ملونة لم تكن هي من ألقى المحاضرة من الأساس.

بصفتي أستاذةً سابقةً وميسرةً ومستشارةً حاليًّا، فأنا في وضع يسمح لي بإعطاء الأشخاص البيض ملاحظات حول الكيفية التي تظهر بها عنصريتهم غير المقصودة. في عملي هذا، لاحظت عددًا لا يحصى من التصرفات المنطلقة من الهشاشة البيضاء. أحد أكثرها شيوعًا هو الغضب: «كيف تجرؤ على القول بأن بإمكاني أن أقول أو أفعل شيئًا عنصريًّا!» على الرغم من أن هذه ليست لحظات سارة بالنسبة إليَّ، فإنها مسلية إلى حد ما. سبب وجودي هناك في المقام الأول هو تعييني خِصِّيصى للقيام بذلك؛ لقد طُلب مني مساعدة أعضاء المؤسسة في فهم سبب بقاء مكان عملهم أبيض، ولماذا يواجهون الكثير من المشاكل في توظيف أشخاص ملونين، و/أو سبب مغادرة مَن يوظفونهم منهم.

في هذه المرحلة من مسيرتي المهنية، نادرًا ما أواجه العداء الصريح الذي قوبلت به في بداياتي كميسِّرة. أعزو هذا التغيير إلى سنوات الخبرة في أصول التدريس. بالطبع، فأنا أيضًا بيضاء، وهذا يجعل البيض الآخرين أكثر تقبلًا للرسالة. وكثيرًا ما أُدهش لما يمكنني قوله لمجموعاتٍ مكونة من مشاركين بيض بشكل أساسي. يمكنني أن أصف ثقافتنا بأنها متعصِّبة للبيض وأن أتفوَّه بأشياء، مثل: «كل البيض يستفيدون من العنصرية ويتواطؤون معها» دون أن يهرب زملائي البيض من الغرفة أو تصيبهم صدمة. لا شكَّ أنني لا أبدأ بهذه التصريحات ولا أقود النقاش من خلالها، بل إنني أرشد الناس بطريقة إستراتيجية إلى فهمٍ مشتركٍ لما أعنيه بهذه التصريحات. بياضي نفسه يجتمع مع خبرتي واستراتيجيتي ليضع استقبال البيض لي بشكل عام على مسافة سنوات ضوئية من استقبالهم لي في بداياتي.

يتقبَّل الأشخاص البيض ما أقدِّمه إليهم طالما بقي كلامًا مجردًا. ما إن أنبِّه إلى ديناميكيات وأفعال مشكلة عرقيًّا حدثت في غرفة التدريب لحظة وقوعها، كأن أقول مثلًا: «شارون، هل لي أن أقدم إليك بعض الملاحظات؟ بينما أفهم أن الأمر لم يكن مقصودًا، فإن ردك على قصة جيسون ينفي تجربته كرجل أسود»؛ حتى تنفجر الهشاشة البيضاء. تردُّ شارون بلغةٍ وشكلٍ دفاعيٍّ وتقول إننا أسأنا فهمها ثم تنسحب بغضب، ثم يسارع آخرون للدفاع عنها من خلال إعادة شرح «ما كانت تعنيه حقًّا». لقد ضاع الآن ما كنا نناقشه عندما أعطيت شارون ملاحظة، وعلينا قضاء ساعات في إصلاح ما اعتُبر خرقًا. وبالطبع، نُسي أمر جيسون ولا يبدو أن أي أحد مشغول بشأنه. أهز رأسي، وأفكر في سرِّي «لقد طلبتم مني مساعدتكم في رؤية عنصريتكم، إلهي! في الحقيقة إنني أفضِّل ألا أساعدكم في رؤية عنصريتكم».

حاولت خلال هذا الكتاب، توضيح الافتراضات العنصرية التي يحملها البيض، والأنماط التي يسلكونها والمتكيِّفة مع العيش في ثقافة تفوّق البيض. وحين يجري تسمية هذه الأنماط أو مساءلتها، فإن لدينا ردود فعلٍ متوقعة، تبدأ بافتراضاتٍ لم يُفكَّر فيها، والتي عند مساءلتها تثير مشاعر مختلَفة، وهذه بدورها تحرِّض على سلوكيات متوقعة. ثم يتم تبرير هذه السلوكيات من خلال ادعاءات عديدة. ستتجلى ردود الفعل هذه، من عواطف وسلوكيات وادعاءات أخرى، في المثال التالي الذي وقع أخيرًا، حيث تثور الهشاشة البيضاء.

كنت مشاركة في إدارة ورشة عمل مجتمعية. نظرًا إلى أن صاحب العمل لم يقم برعايتها، سجَّل المشاركون جميعًا طواعية ودفعوا رسومًا للحضور. لهذا السبب، يمكننا أن نفترض أنهم كانوا منفتحين ومهتمين بالمحتوى. عملت مع مجموعة صغيرة من المشاركين البيض عندما ذكرت امرأة، سأشير إليها باسم إيفا، أنها نشأت في ألمانيا، حيث لا يوجد سود وفق قولها، لذلك لم تتعلم شيئًا عن العِرق ولا تحمل أية عنصرية. دفعت هذا الزعم بأن طلبت منها التفكير في الرسائل التي تلقتها منذ طفولتها حول الأشخاص الذين عاشوا في إفريقيا. من المؤكد أنها كانت على دراية بإفريقيا، ولا بد أن لديها بعض الانطباعات عن الناس هناك؟ هل شاهدت الأفلام الأميركية من قبل؟ إذا كان الأمر كذلك، فما هو انطباعها عن الأميركيين الأفارقة؟ كذلك طلبت منها التفكير في ما تشرَّبته من عيشها في الولايات المتحدة خلال الثلاثة وعشرين عامًا الماضية، ألديها علاقات مع أميركيين أفارقة هنا، وإذا لم يكن لديها، فلم لا.

تقدمنا ونسيت أمر الحديث معها إلى أن تواصلت معي بعد انتهاء ورشة العمل. كانت غاضبة وقالت إنها شعرت بإهانة شديدة من حوارنا و«لم تشعر بأنها رُئِيت». «لقد كوَّنتِ افتراضات عني!» قالت. اعتذرت لها وأخبرتها بأنني لا أريدها أبدًا أن تشعر بأنها لم تُرَ أو تُصدَّق. ومع ذلك، تمسكت أيضًا بوجهة نظري من أن نشأتها في ألمانيا لن تمنعها من تشرُّب رسائل عرقية مزعجة وملتبسة عن السود. وردت بقولها لي إنها لم ترَ رجلًا أسود «قبل أن يأتي الجنود الأميركيون. لقد اعتقدت جميع النساء الألمانيات أنهم يتمتعون بوسامة شديدة حتى أنهن رغبن في الارتباط بهم». كان هذا دليلها على أنها ليست عنصرية. في تلك اللحظة، استسلمتُ مع تنهيدة داخلية للهزيمة وكررت اعتذاري. افترقنا، ولم يخمد غضبها.

بعد بضعة أشهر، اتصل أحد شركائي الميسرين بإيفا ليخبرها عن ورشة العمل القادمة، ويبدو أن غضبها كان لا يزال مشتعلًا، فأجابت بأنها لن تحضر ورشة عمل أديرها أنا مرة أخرى. لاحظوا أنني لم أخبر إيفا بأنها عنصرية أو أن قصتها عنصرية. لكن ما فعلته هو تحدي صورتها الذاتية كشخص مُعفًى من العنصرية. المفارقة، أن غضب إيفا من أنني لم آخذ زعمها باعتبار أن له قيمة

ما، ظهر في سياق ورشة عمل تطوعية حول العنصرية، والتي حضرتها ظاهريًّا لتعميق فهمها للعنصرية.

لنبدأ بردود الفعل العاطفية الشائعة التي يشعر بها البيض (والتي أظهرتها إيفا) عندما يتم تحدي افتراضاتنا وسلوكياتنا.

نشعر بأننا:

- نُبذنا.
- أُهنَّا.
- هوجمنا.
- حُكم علينا.
- جرى إخراسنا.
- غضبنا.
- شعرنا بالعار.
- شعرنا بالفزع.
- شعرنا بالذنب.
- شعرنا بالسخط.
- اتُّهمنا.

عندما تكون لدينا هذه المشاعر، فمن الشائع أن نتصرف بالطرق التالية، كما فعلت إيفا: التصرفات:

- البكاء.
- الإنكار.
- مغادرة المكان.
- التركيز في النوايا.
- الانسحاب العاطفي.
- السعي إلى التبرئة.
- الجدال.
- التجنب.

بالنظر إلى قوَّة هذه المشاعر وردود الفعل، فإنها تحتاج إلى تبرير. فما هي الادعاءات التي نبرِّر بها هذه المشاعر والسلوكيات؟ تشير بعض

الادعاءات التالية إلى أن الشخص اتَّهم زورًا. يقترح آخر أنه تجاوز هذه المناقشة («أعرف كل هذا»). كلها ادعاءات تعفي الشخص من الاستمرار في المشاركة أو المساءلة، مثلما حدث مع إيفا حين أعفتها ادعاءاتها.

الادعاءات:

• لديَّ معارف ملونون.

• القهر الحقيقي هو الطبقة [أو الجندر، أو أي شيء آخر أعرفه أكثر من العرق].

• شاركت في مسيرة في الستينيات.

• أنت تكوِّن رأيًا سيئًا عني.

• أنت نخبوي.

• أنت لا تعرفني.

• لم أقل إلا شيئًا بريئًا صغيرًا.

• أنت تعمم.

• هذا رأيك فقط.

• بعض الناس يجد إهانة حيث لا توجد إهانة أصلًا.

• لا أتفق معك.

• أنت لا تفعل هذا بالطريقة الصحيحة.

• لقد أسأت فهمي.

• أنت تلعب ببطاقة العرق.

• لا أشعر بالأمان.

• هذا ليس مبشِّرًا بالنسبة إليَّ.

• المشكلة هي نبرة كلامك.

• أنت تمارس العنصرية ضدي أنا.

• لا يبدو أن أي شيء أقوله صحيح.

• أنت تجعلني أشعر بالذنب.

• لم يكن ذلك في نيتي.

• لقد جرحت مشاعري.

• أنا أيضًا عانيت.

على بريدي الإلكتروني، وصلتني رسالة فيها كثير من هذه الادعاءات. التعليقات التالية مقتطفة وملخصة جزئيًّا. افتتحت الكاتبة بالقول إنه وفقًا لتقديرها لعمري، فإنني لم أعِش الأشياء التي مرَّت بها، وبالتالي: «أشك بجدية في أن لديك شيئًا واحدًا يمكن أن تخبريني به عن العرق». تكمل -موضحة مؤهلاتها - كيف أنها عاشت الأحداث الجسيمة لحركة الحقوق المدنية، ودرست العِرق والجندر في الجامعة، وأنها على دراية بالعديد من النسويات السود المشهورات والسياسيين والسياسيات السود، وعرفت العديد من السود طوال حياتها: الجيران وزملاء الدراسة والعمل. علاوة على ذلك، فإن كاتبة الإيميل تعاني من نفس المرض الذي ماتت منه أخت صديق أسود قبل عقود. يبدو أن هذا المرض المشترك دليل آخر على تحالفها مع السود. إنها تستخدم هذه التجارب والعلاقات كدليل على أنها تمكَّنت من التخلص من أي عنصرية ربما كانت لديها: «كل الأشياء التي تقولين إن البيض تشرَّبوها، أنا عصرتها مني عبر تجارب حياتي وتعليمي». حركتها التالية أن تزيح العِرق من طاولة النقاش، وأن تستبدل به القمع الذي تعيشه، والتمييز على أساس الجندر: «لا، لا أريد التحدث عن العِرق بعد الآن. أريد أن أتكلم عن الجندر، ال ج ن د ر». وتنتهي بإغلاق أية إمكانية تواصل معي، قائلةً إنها على الأرجح لن تقرأ أي إيميل أرسله إليها. أنا واثقة بأن بعض المشاعر والسلوكيات والادعاءات الموضحة في هذا الإيميل مألوفة للقراء البيض؛ فإما أننا صنعنا نسخة منها بأنفسنا، وإما سمعنا آخرين يفعلون. ومع ذلك، ومثلما هو حال العديد من جوانب العنصرية، فإننا نادرًا ما نتفحصها أو نعدُّها غامضة وملتبسة. لذلك دعونا نغوص تحت السطح ونفحص بنية الافتراضات التي تستند إليها العديد من هذه الادعاءات.

الافتراضات:

- العنصرية هي ببساطة تعصُّب شخصي.
- أنا أخلو من العنصرية.
- سأكون أنا من يحكم إن بدر مني عنصرية أم لا.
- أنهيت تعليمي. أعرف كل ما أحتاج معرفته.
- العنصرية يمكن أن تكون مقصودة فقط. أي عنصرية تظهر مني من دون قصد تلغي أي تأثير لتصرفي.
- معاناتي تبرئني من العنصرية أو من أن أنني تمتعت بامتياز عرقي.
- البيض الذين يعانون من أي شكل من أشكال الاضطهاد لا يمكنهم التمتع بأي امتياز عرقي.
- إذا كنت شخصًا طيبًا، فلا يمكنني أن أكون عنصريًّا.

• يحق لي أن أظل مرتاحًا، أو يحق لي أن أجري هذه المحادثة بالطريقة التي أشاء.

• كيف يتصورني الآخرون، هذه هي المسألة الأكثر أهمية.

• كشخص أبيض، أعرف أفضل طريقة لمواجهة العنصرية.

• إذا كنت أشعر أنك تواجهينني أو تتحدينني، فأنت تفعلين ذلك بشكل خاطئ.

• من الفظاظة توجيه الانتباه إلى العنصرية.

• العنصرية هي التحيز عن وعي. ليس لديَّ أي وعي بشيء من ذلك، لذا فأنا لست عنصريًّا.

• العنصريون هم أفراد سيئون، إذن أنت تقولين إنني شخص سيئ.

• لو كنت تعرفينني أو تفهمينني، فستعرفين أنني لا أستطيع أن أكون عنصريًّا.

• لديَّ أصدقاء ملونون، لذا لا يمكنني أن أكون عنصريًّا.

• لا توجد مشكلة؛ المجتمع على ما يرام بحالته الراهنة.

• العنصرية مشكلة بسيطة. الناس بحاجة فقط إلى..

• وجهة نظري إنسانية وموضوعية وهي الرؤية الوحيدة الفاعلة.

• إذا كنت لا أستطيع رؤيته، فهو غير معترف به.

• إذا كانت لديك معرفة أكثر عن هذا الموضوع، فأنت تعتقدين أنك أفضل مني.

الآن بعد أن حددنا الافتراضات الأساسية التي تولِّد هذه المشاعر والسلوكيات والادعاءات، دعونا نفكر في الكيفية التي تؤدي بها هذه الادعاءات وظيفتها.

وظائف الهشاشة البيضاء

• الحفاظ على التضامن الأبيض.

• الحيلولة دون تفحص ذواتنا وإعادة التفكير فيها.

• التقليل من شأن الواقع العنصري.

• إسكات النقاش.

• تحويل البيض إلى ضحايا.

• خطف الحديث.

- حماية وجهة النظر المحدودة للعالم.
- إزاحة العِرق من على طاولة النقاش.
- حماية الامتياز الأبيض.
- التركيز في المرسل وليس الرسالة.
- حشد المزيد من الموارد للأشخاص البيض.

لا تقدم هذه الادعاءات ولا الافتراضات التي تقوم عليها من يحاجج بها ويناقش من خلالها باعتباره منفتحًا عرقيًّا؛ على العكس تمامًا؛ إنها توصد أية ثغرة يمكن الدخول منها للتفكير والتفاعل. فضلًا عن أنها تحول دون إصلاح الصدع العرقي. بل إنها تقوم بتهوية جمر الشقاق العرقي بينما يتَّقِد تحت العداء والحنق. الخلاصة أن الافتراضات العرقية البيضاء والتصرفات التي تنبثق منها تحمي العنصرية.

# الفصل العاشر: الهشاشة البيضاء وقواعد الاشتباك

يترتب على التصور السائد للعنصرية كأفعال فردية قاسية أن الأشخاص الفظيعين الذين لا يحبون الملونين عن وعيهم فقط من يمكنهم ممارسة العنصرية. على الرغم من أن هذا التصور مبني على معلومات خاطئة، فإنه ليس بلا عواقب. في الواقع، إنه يعمل بشكل مبهر على جعل الانخراط في الحوار الضروري والتفكير الذاتي الذي قد يؤدي إلى التغيير أمرًا شبه مستحيل.

غالبًا ما يتبع الغضب من اقتراح عنصرية شخص ما غضب من الأسلوب الذي قدمت به الملاحظات. بعد سنوات من العمل مع زملائي البيض، اكتشفت (مثلما أنا متأكدة من أن كثيرًا من الملونين اكتشفوا أيضًا) مجموعة من القواعد غير المعلنة لكيفية إعطاء الأشخاص البيض ملاحظات حول الافتراضات والتنميطات العنصرية اللاواعية التي تصدر عنهم في الأغلب. لقد وجدت أن الطريقة الوحيدة لإبداء الملاحظات دون إثارة الهشاشة البيضاء هي عدم إعطائها على الإطلاق.

وهكذا، فإن القاعدة الأولى أساسية:

١. لا تعطيني ملاحظات على عنصريتي تحت أي ظرف من الظروف.

إذا كنتِ مصرَّة أو مصرًّا على كسر القاعدة الأولى الأساسية، فهناك قواعد أخرى عليك اتباعها:

٢. النبرة المناسبة أمر بالغ الأهمية - يجب إعطاء الملاحظات بهدوء. إذا تم التعبير عن أية عاطفة، فإن التعليقات غير صالحة ويمكن رفضها.

٣. يجب أن تكون هناك ثقة بيننا. يجب أن تثق بأنني لست عنصريًّا بأي حال من الأحوال قبل أن تعطيني ملاحظات بشأن عنصريتي.

4. يجب أن تخلو علاقتنا من المشاكل. إذا كانت هناك أزمة بيننا، فلا يمكنك إعطائي ملاحظات حول العنصرية حتى يتم حل هذه القضايا التي لا صلة لها بالمسألة.

٥. يجب تقديم الملاحظات على الفور. إذا انتظرت وقتًا طويلًا، فسيتم تجاهل الملاحظات لأنها لمُتقدِّم في وقتها.

٦. يجب أن تقدم ملاحظاتك بشكل سري بينك وبين الشخص المعني، حتى وإن كان الحادث العنصري قد وقع أمام آخرين. فتقديم ملاحظات أمام أي شخص سوى الذي كان متورطًا في الموقف هو اعتداء اجتماعي خطير. إذا لم تستطع حمايتي من الإحراج، فملاحظتك خاطئة وأنت المتجاوز.

٧. لا بدّ أن تكون غير مباشر قدر الإمكان. المباشرة تفتقر إلى الحساسية وسوف تؤدي إلى فقدان ملاحظاتك لمعناها والحاجة إلى إصلاح الموقف.

٨. كشخصٍ أبيض، يجب أن أشعر بالأمان التام أثناء أية مناقشة حول العرق. إن الإيحاء بأن لديَّ افتراضات أو تنميطات عنصرية سيجعلني أشعر ب«عدم الأمان»، لذلك ستحتاج إلى إعادة بناء ثقتي بأن لا توجِّه أية ملاحظة إليَّ مرة أخرى. نقطة توضيح: عندما أقول: «أمان»، فإن ما أعنيه حقًّا هو «الراحة».

٩. تسليط الضوء على الامتياز العرقي يفقد الاضطهاد الذي أواجهه مصداقيته (على سبيل المثال: الاضطهاد على أسس طبقية، والتمييز على أساس الجنس، والتفرقة بين الجنسين، والشيخوخة، والقدرات، ورهاب المثلية). سنحتاج بعد ذلك إلى تحويل انتباهنا إلى كيفية اضطهادك إياي.

١٠. يجب أن تقر بأن مقاصدي دائمًا جيدة وأن توافق على أن نواياي الحسنة تلغي تأثير سلوكي.

١١. إن الإيحاء بأن سلوكي كان له تأثير عنصري يعني أنني أُسيء فهمي. سوف تحتاج إلى السماح لي بشرح نفسي إلى أن تعترف بأن هذا كان سوء فهم منك. التناقضات في هذه القواعد ليست ذات صلة؛ وتتمثل مهمتها في حجب العنصرية وحماية هيمنة البيض واستعادة التوازن الأبيض، وهي تؤدي وظائفها هذه بفعالية. بعد فهم العنصرية كنظام للسلطة المؤسسية غير المتكافئة، نحتاج إلى أن نسأل أنفسنا من أين تأتي هذه القواعد ومن تخدم. كثير ممن يعمل بفعالية ليقاطع العنصرية يسمع باستمرار شكاوى حول ثقافة «مسكتك» gotcha[47] لمناهضة العنصرية البيضاء. يتم تصويرنا أحيانًا على أننا نبحث عن كل حادثة يمكننا العثور عليها لنخرج ونوجِّه أصابع الاتهام والصراخ: «أنت عنصري!» في حين أن بعض الأشخاص البيض يفعلون ذلك لتمييز أنفسهم بغطرسة عن البيض الآخرين، فإن هذا بحسب تجربتي، ليس معيارًا. من الشائع جدًّا أن يتألم الأشخاص البيض الصادقين بشأن متى وكيف يقدمون ملاحظات إلى زميل أبيض، نظرًا إلى انتشار الهشاشة البيضاء في كل مكان. الهشاشة البيضاء تعاقب ذلك الذي يعطي ملاحظات، وتضغط عليه للعودة إلى الصمت. كما أنها تحافظ على التضامن الأبيض؛ الاتفاق الضمني على أننا سنحمي الامتياز الأبيض ولن يحاسب بعضنا بعضًا على عنصريتنا. عندما يكون الشخص الذي يعطي الملاحظات شخصًا ملونًا، فإن التهمة هي أنه «يلعب بطاقة العرق»، وبالنتيجة تصبح الهشاشة البيضاء أكثر عقابية.

العنصرية هي القاعدة وليست شذوذًا. الملاحظات التي نوجهها إلى بعضنا حول سلوكنا العنصري هي مفتاح قدرتنا على الاعتراف بتواطئنا الحتمي،

الذي لا ندركه في كثير من الأحيان، ومن ثم إصلاحه. بإدراكي لذلك أحاول اتّباع هذه القواعد العامة:

١. ليس مهمًّا كيف وأين ومتى تعطيني ملاحظات، فإنها التعليقات التي أريدها وأحتاجها. من موقعي المتمثل في القوة والامتياز الاجتماعي والثقافي والمؤسسي، فأنا آمِنٌ تمامًا ويمكنني التعامل مع الأمر. إن لم أتمكن من ذلك، فعليَّ أن أبني جَلَدي العرقي.

٢. أشكرك على إعطائي الملاحظات. تقوم القواعد العامة أعلاه على فهم أنه لا يوجد وجه لحفظ مائه، وأن اللعبة انتهت؛ أعلم أن لديَّ نقاطًا عمياء واستثمارات غير واعية في العنصرية. واستثماراتي في التيار الرئيسي للمجتمع تُدعَّم يوميًّا. لست أنا من بنى هذا النظام، لكنه يفيدني بشكل غير عادل، وأنا أستغلّه لمصلحتي، وأنا المسؤول عن مقاطعته. أحتاج إلى العمل بجدية لتغيير دوري في هذا النظام، لكن لا يمكنني القيام بذلك بمفردي. ويجعلني هذا الفهم ممتنًّا عندما يساعدني الآخرون.

تتجلى الهشاشة البيضاء أيضًا في الحاجة إلى العديد من التقدميين البيض «لبناء الثقة» قبل أن يتمكنوا من استكشاف العنصرية في ورش التدريب ومجموعات الدعم والمنتديات التعليمية الأخرى. سيتعرف المشاركون في تعليم العدالة العرقية على هذه الدعوة البيضاء للثقة العرقية، والتي تظهر بطرق متنوعة: يخصص الميسرون وقتًا للتمارين التي تهدف إلى بناء الثقة، وإنشاء القواعد الأساسية والمبادئ التوجيهية لتوليد الثقة، ومبررات المشاركين لعدم المشاركة (على سبيل المثال «لن أشارك، لأنني لا أشعر بالثقة هنا»). سألت العديد من الزملاء بالضبط عمَّا يعنيه زملائي البيض بالدعوة إلى الثقة. أنا متأكدة من أن الحاجة إلى الثقة لا تتعلق بسرقة محفظتك أو التعرض للاعتداء الجسدي، رغم أنه، وعلى مستوى اللاوعي، قد يكون هذان الأمران هما ما يلعب دورًا في مسألة الثقة هذه عندما تكون المجموعة مختلطة عرقيًّا، نظرًا إلى قوة الانحياز الضمني والتكييف العرقي المتواصل الذي يتلقاه البيض. أعتقد أن الثقة المقصودة هي: أحتاج إلى الوثوق بأنك لن تعتقد أنني عنصري قبل أن أتمكن من العمل على عنصريتي.

ضع في اعتبارك القواعد العامة التالية التي تستند إلى «بناء الثقة»:

• لا تحكم عليَّ: من المستحيل إنسانيًّا أن يمتنع المرء عن الحكم على الآخرين. من هنا، فإن تحقيق هذا المبدأ التوجيهي أو فرضه مستحيل ولا معنى له وظيفيًّا.

• لا تبنِ افتراضات عني: من طبيعة الافتراض أن لا تعرف أنك تقوم به. من هنا، فإن تحقيق هذا المبدأ التوجيهي أو فرضه مستحيل ولا معنى له وظيفيًّا.

• افترض النية الحسنة: من خلال تقديم نوايا الفعل على أثر الفعل، فإن هذا التوجيه يعطي امتيازًا لنوايا المعتدي من خلاله يضحد أهمية تأثير سلوكه على المعتدى عليه. وبذلك تصبح نوايا المعتدي هي المسألة الأهم. إن ما يعنيه هذا المبدأ فعليًّا أنه يطلب من الضحايا -طالما لم تكن هناك نية لإحداث ضرر - نسيان الأذى الذي تعرضوا إليه والمضي قدمًا. من خلال القيام بذلك، يدعم هذا المبدأ التوجيهي البراءة العرقية البيضاء ويقلل من تأثير العنصرية على الأشخاص الملونين.

• قلِ الحقيقة: يبدو أن التحذير من قول الحقيقة غير ضروري. لم أرَ نمطًا للكذب في هذه المجموعات. هل رأيت سلوكًا دفاعيًّا، وتبروءًا، وصمتًا، وتجنبًا للمجازفة؟ نعم. لكن هل لاحظت أن الناس لا يقولون حقيقتهم؟ لا، والأهم من ذلك، ماذا لو كانت الحقيقة هي أنك أعمى تجاه الألوان؟ بالنظر إلى استحالة أن يكون أي شخص أعمى تجاه الألوان في مجتمع عنصري، فإن الادعاء بأن لديك عمى الألوان ليس حقيقة؛ إنه اعتقاد خاطئ. ومع ذلك، يمكن لهذا المبدأ التوجيهي اعتبار جميع المعتقدات حقائق، وبالتالي فهي كلها صالحة. بالنظر إلى أن مناهضة العنصرية تتطلب تحديد العنصرية وضحدها هي والمعلومات الخاطئة التي تدعمها، فإن وجهات النظر ليست كلها صحيحة؛ بعضها متجذر في أيديولوجيا عنصرية ويحتاج إلى كشف النقاب عنه والتصدي له. لا بد من التمييز بين مشاركة معتقداتك للمساعدة في تحديد الكيفية التي تدعم بها العنصرية، وبين ذكرها باعتبارها «حقائق» غير قابلة للطعن.

• الاحترام: تكمن مشكلة هذه القاعدة في أن من النادر تعريف الاحترام، فما يشعر البيض بأنه الاحترام يمكن أن يكون نفسه ما لا يخلق بيئة محترمة للملونين. على سبيل المثال، عادة ما يُعرِّف البيض البيئة المحترمة بأنها بيئة بلا صراع، وخالية من التعبير عن مشاعر قوية، وتخلو من المواجهة مع التنميطات العنصرية، وتركِّز في نوايا المرسل أكثر من تأثير أفعاله على الآخرين. لكن مثل هذا الجو هو بالضبط ما يخلق بيئة زائفة تتمحور حول المعايير البيضاء، وبالتالي فإنها بيئة معادية للملونين.

الافتراض الفجُّ خلف هذه القواعد العامة هو الاعتقاد بأنها كلية ويمكن تطبيقها في كل مكان. ولمَّا كانت قواعد لا تأخذ في الحسبان علاقات القوة غير المتكافئة، فإنها لا تؤدي وظائفها بالطرق نفسها عبر العرق. وفي حين تقود الهشاشة البيضاء هذه القواعد، فإنها بدورها ترعى الهشاشة البيضاء وتحتضنها. نفس الظروف التي يصر معظم البيض على استمراريتها ليظلوا مرتاحين هي تلك التي تدعم الوضع العرقي الراهن (مركزية البيض، والهيمنة، والبراءة المعلنة). بالنسبة إلى الملونين، فالوضع العرقي القائم معادٍ ويجب

مقاطعته لا تعزيزه. الرسالة الأساسية للثقة هي كُن لطيفًا. ووفقًا للمعايير البيضاء السائدة، فإن الإيحاء بأن شخصًا ما عنصري ليس أمرًا «لطيفًا».

قواعد مثل هذه (أعلاه) يمكنها أن تستخدم ضد الملونين. «إذا كنت تتحدى تنميطاتي العرقية، فأنت تفترض أن ما فعلته كان متجذرًا في العنصرية، ولا ينبغي أن تكوِّن افتراضاتٍ عني». أو «أنت تنكر حقيقتي من أن العِرق لا علاقة له بأفعالي». الآن تصبح أنت المتجاوز. تعيد هذه الظروف إنتاج ثقل العنصرية الذي يجب على الملونين حمله باستمرار: تنحية احتياجاتهم الخاصة جانبًا للتركيز في احتياجات البيض. إن ترياق الهشاشة البيضاء هو بناء جَلَدنا لنشهد على ألم العنصرية التي نسببها، وليس لفرض شروط تتطلب من الملونين المصادقة على صحة إنكارنا باستمرار.

من الأفضل، بالطبع، أن يوجِّه بعضنا بعضًا برفق؛ لأن من الأسهل بكثير النظر إلى شيء منفِّر داخل أنفسنا إذا لم نشعر أنا هناك من يحكم علينا أو ينتقدنا. ولكن ماذا لو وجَّه شخصٌ ما إصبعه حرفيًّا إلينا واتهمنا بجرأة: «أنت عنصري!»؟ (لطالما شكَّل هذا الاتهام خوفًا عميقًا لدى البيض التقدميين). ما زال تحديد الجوانب العنصرية لديَّ والعمل على تغييرها يقع على كاهلي. وإذا كانت النقطة التي يتم إيضاحها تسعى إلى هذا الهدف، فبغضِّ النظر عن مدى المراعاة أو غير المباشرة التي نستخدمها، فأنا بحاجة إلى التركيز في هذه النقطة. لا يمكن التذرُّع بأسلوب توصيل الرسالة لتكذيب الجانب العنصري الذي يجري تسليط الضوء عليه، ولا أن نستخدمه كذريعة للانسحاب من النقاش.

إن تجاهل المرسِل والتركيز على الرسالة مهارةٌ متقدمةٌ وتصعب ممارستها، خاصة إذا جاء إلينا شخص ما بنبرة المتفوِّق أخلاقيًّا. إذا أوصلنا اللطف إلى مبتغانا بشكل أسرع، فأنا معه بكل طاقتي. لكني لا أطلب أي شيء من شخص يعلّق على عنصريتي، قبل أن أتمكن من التعامل مع هذه التعليقات. وجزء من معالجة هذه التعليقات يكمن في فصلها عن أسلوب إيصالها والتأكيد على النقطة المركزية ومساهمتها في تطوري. الكثير منا لم يصل إلى هذه المرحلة من الوعي بعد، وهذا ما نحتاج إلى العمل عليه.

كنت في العديد من مجموعات العدالة العرقية البيضاء حيث بذل المشاركون طاقة كبيرة للتأكد من أن الناس كانوا لطفاء ومتعاطفين بعضهم مع بعض ولم «يكسروا الثقة». طاقة كبيرة جدًّا بُذلت في ذلك، حتى لم نعد قادرين على مساعدة بعضنا في رؤية جوانبنا المشتبه بها عرقيًّا دون أن نكسر معايير المجموعة. لذلك ما لم يتم الجمع بين اللطف والوضوح والشجاعة لتسمية العنصرية ومواجهتها، فإن هذا النهج يحمي هشاشة البيض ويحتاج إلى من يتحداه.

كما حاولت أن أوضح خلال هذا الكتاب، ينشأ البيض في المجتمع الغربي ضمن شرط ونظرةِ تفوقٍ بيضاء إلى العالم لأنها حجر الأساس لمجتمعنا ومؤسساته. بغض النظر عمَّا إذا كان أحد الوالدين قد أخبرك بأن الجميع متساوون، أو أن الملصق الموجود في قاعة مدرستك في الضواحي البيضاء يعلن عن قيمة التنوع، أو أنك سافرت إلى الخارج، أو لديك أشخاص ملونون في مكان عملك أو عائلتك، فلا يمكن تجنب القوة الاجتماعية المنتشرة لتفوق البيض. يتم تداول الرسائل العنصرية ٢٤ ساعة طوال أيام الأسبوع، وليس لها علاقة أو لها علاقة قليلة بالنوايا أو الوعي أو الاتفاق. دخولنا في الحوار بهذا الفهم أمر محرر، إذ يسمح لنا بالتركيز في كيف -وليس ما إذا - تتجلى عنصريتنا. عندما نتجاوز ثنائية جيد/سيئ، يمكننا أن نصبح حريصين على تحديد جوانبنا العنصرية، لأن وضع حد لهذه الجوانب أكثر أهمية من إدارة الطريقة التي نفكر بها كيف نبدو في عيون الآخرين.

أكرر: لا بد أن يكون إيقاف جوانبنا العنصرية بالنسبة إلينا أكثر أهمية من إقناع الآخرين بأننا لا نملك هذه الجوانب من الأساس، لأننا نملكها بالفعل، والملونون يعرفون ذلك أصلًا؛ فجهودنا لإثبات خلاف ذلك ليست مقنعة. تحمل مسؤولية هذه الجوانب بصدق ليس بالمهمة الصغيرة ولا السهلة نظرًا إلى قوة الهشاشة البيضاء والتضامن الأبيض، ولكنها ضرورية.

# الفصل الحادي عشر: دموع النساء البيض

**لكنكِ أختي وأنا أشاركِ ألمكِ!**

يشير مصطلح الدموع البيضاء إلى كلِّ الطرق، الحرفية أو المجازية، التي تتجلى فيها الهشاشة البيضاء من خلال شكوى وحزن البيض من مدى صعوبة العنصرية عليهم. في عملي، واجهت هذه الدموع بأشكالها المختلفة باستمرار. وعنها قدَّم العديد من الكُتَّاب بالفعل انتقادات قيِّمة[١]. هنا، أريد أن أتناول أحد مظاهر الدموع البيضاء: تلك التي تذرفها النساء البيض في أماكن مختلطة الأعراق.

يوضح المثال التالي كلًّا من الإحباط الذي يشعر به الملونون من هذه الدموع وإحساس النساء البيض بحقهن في ذرفها بحرية. عندما أطلقت الشرطة النار على رجل أسود أعزل، دعا مكان عملي إلى تجمع غير رسمي لمن يريدون التواصل وتلقي الدعم. قبل التجمع مباشرة، سحبتني امرأة ملونة جانبًا وأخبرتني بأنها تريد الحضور لكنها «لم تكن في حالة مزاجية تسمح بتحمل دموع النساء البيض اليوم». أكدت لها أنني سأتعامل مع الأمر. عندما بدأ الاجتماع، أخبرت زميلاتي المشاركات من البيض أنهن إذا شعرن برغبة في البكاء فينبغي عليهن مغادرة الغرفة. كنت سأذهب معهن لدعمهن نفسيًّا، لكنني طلبت منهن عدم البكاء في المجموعة المختلطة. ثم قضيت الساعة التالية أشرح لامرأة بيضاء غاضبة جدًّا لماذا طُلب منها عدم البكاء في حضور الملونين.

أفهم أن التعبير عن مشاعرنا الصادقة -خاصة فيما يتعلق بالظلم العنصري - هو أمر له قيمة تقدميَّة مهمة. ويبدو أن قمع مشاعرنا يخالف أننا حاضرون ورحيمون وداعمون. فلماذا طلبت زميتلي الملونة مثل هذا الطلب؟ باختصار، فإن لدموع النساء البيض تأثيرًا قويًّا في هذا الموقف، حيث تعمل على إعادة ترسيخ العنصرية بدلًا من تخفيفها.

يرى كثير منا أن العواطف تحدث بشكل طبيعي. غير أن العواطف مسألة سياسية من ناحيتين؛ أولًا، تتشكل عواطفنا من خلال تحيزاتنا ومعتقداتنا وأطرنا الثقافية. على سبيل المثال، إذا كنت أؤمن -بوعي أو بغير وعي - أن من الطبيعي والمناسب للرجال وليس للنساء أن يعبِّروا عن غضبهم، فسوف تكون ردود فعلي على تعبير الرجال عن غضبهم مختلفة عن تلك التي تتكون عند تعبير النساء عن غضبهن. قد أرى الرجل الذي يعبِّر عن الغضب قادرًا ومسؤولًا وقد أشعر بالاحترام نحوه، بينما أرى المرأة التي تعبِّر عن الغضب

طفولية وخارجة عن السيطرة وقد أشعر نحوها بالازدراء. إذا كنت أعتقد أن الأشخاص السيئين فقط هم العنصريون، فسوف أشعر بالأذى والإهانة والعار لمجرد أن يُشار إلى افتراض عنصري لا واعٍ لديَّ. ولكن إذا كنت بدلا من ذلك، أعتقد أن وجود افتراضات عنصرية أمر لا مفر منه (ولكن من الممكن تغييره)، فسوف أكون ممتنًّا حين ينبهني أحد إلى افتراض عنصري لا واعٍ لديَّ؛ فأنا الآن على وعي بهذا الافتراض وصار بإمكاني تغييره. بهذه الطريقة، لا تكون العواطف طبيعية. إنها نتيجة الأطر التي نستخدمها لفهم العلاقات الاجتماعية. وبالطبع فإن العلاقات الاجتماعية سياسية. عواطفنا هي أيضًا سياسية لأنها في الأغلب موجهة نحو الخارج؛ فهي الدوافع التي تقف خلف سلوكنا الذي يؤثر في الآخرين.

دموع النساء البيض مشكلة في التفاعلات بين الأعراق لعدة أسباب ترتبط بكيفية تأثيرها في الآخرين. هناك مثلًا خلفية تاريخية طويلة لرجال سود يتعرضون للتعذيب والقتل بسبب محنة امرأة بيضاء، ونحن النساء البيض نأتي بهذه التواريخ معنا. دموعنا تعيد إلى الذاكرة إرهاب هذا التاريخ، خاصة بالنسبة إلى الأميركيين الأفارقة. من أكثر الأمثلة قسوة وتجسيدًا لما أقول واقعة إميت تيل، وهو صبي يبلغ من العمر أربعة عشر عامًا قيل إنه غازل امرأة بيضاء -كارولين براينت - في محل بقالة في ميسيسيبي في عام ١٩٥٥. أخبرت المرأة زوجها روي براينت بالمغازلة المزعومة، وبعد بضعة أيام، اختطف روي وأخوه غير الشقيق جيه دبليو إيلام الفتى تيل من منزل ذويه وعلقوه على شجرة وضربوه حتى الموت، وشوهوا جسده، وأغرقوه في نهر تالاتشي. في المحكمة برأت هيئة محلفين كلها من البيض روي وشقيقه جيه، اللذين اعترفا فيما بعد بارتكاب جريمة القتل. وهي على فراش الموت، في عام ٢٠١٧، تراجعت كارولين براينت عن هذه القصة واعترفت بأنها كذبت.

مقتل إيميت تيل هو مجرد مثال واحد على التاريخ الذي يقود إلى تحذير زملائي الأميركيين السود المتكرر: «عندما تبكي امرأة بيضاء، يتعرض رجل أسود للأذى». إن عدم معرفة هذا التاريخ أو الحساسية تجاهه هو مثال آخر على المركزية البيضاء والفردية وغياب التواضع العرقي. بسبب براءته الظاهرة، فإن بكاء النساء البيض ذوات النوايا الحسنة في تفاعلات مختلطة الأعراق هو أحد أكثر الممارسات الخبيثة للهشاشة البيضاء. فأسباب البكاء في هذه التفاعلات تختلف، ربما أننا تلقينا ملاحظات حول عنصريتنا. نحن لا نفهم أن العنصرية البيضاء اللاواعية أمرٌ لا مفر منه، فنستقبل ردود فعل الآخر كحكم أخلاقي علينا، وتتأذى مشاعرنا. في مثال كلاسيكي حدث أثناء ورشة عمل كنت أقودها. كان هناك رجل أسود يجد صعوبة في التعبير عن فكرة ما، فأشار إلى نفسه على أنه غبي. ردت الميسّرة المشاركة معي، وهي امرأة سوداء، بلطف قائلة إنه ليس غبيًّا ولكن المجتمع يجعله يعتقد أنه كذلك. وبينما

كانت تشرح قوة العنصرية المستدخلة، قاطعتها امرأة بيضاء: «ما كان يحاول قوله هو...» عندما أشارت الميسرة إلى أن المرأة البيضاء عززت الفكرة العنصرية حين رأت أنها تستطيع التحدث بشكل أفضل عن الرجل الأسود، انفجرت المرأة البيضاء بالبكاء. وتوقف التدريب تمامًا، واندفع معظم مَن في الغرفة لتهدئتها غاضبين على الميسرة السوداء التي اتهموها بالظلم (على الرغم من أن المشاركين كانوا هناك لمعرفة كيفية عمل العنصرية، لكنهم غضبوا فكيف تجرؤ الميسرة على الإشارة إلى مثال على كيفية عمل العنصرية!) في الوقت نفسه، تُرك الرجل الأسود الذي كان يريد التعبير عن مشكلته وحده ليشاهدها والجميع يخفف عنها ويواسيها.

شاركت زميلة ملونة مثالًا حيث عُرضت على امرأة بيضاء -جديدة في منظمة العدالة العرقية - وظيفة بدوام كامل كمشرفة على النساء الملونات اللواتي عملن هناك لسنوات وقمن بتدريبها. وما إن تم الإعلان عن الترقية، حتى طلبت المرأة البيضاء باكية الدعم من النساء ذوات البشرة الملونة لها وهي تشرع في منحنى جديد تتعلم منه في مسيرتها المهنية. ربما رأت المشرفة الجديدة في دموعها تعبيرًا عن التواضع حول حدود معرفتها العرقية وما تتوقعه من دعم بعد ذرفها. كان على النساء الملونات أن يتعاملن مع ظلم الترقية، ومع عدم الاعتراف بقدراتهن، وغياب الوعي العرقي لدى المرأة البيضاء المسؤولة الآن عن مصدر رزقهن. وأثناء محاولتهن التحكم في ردود أفعالهن العاطفية، وضعتهن المرأة البيضاء فورًا على المحك، فإن لم يقمن بطمأنتها، فإنهن يجازفن بالظهور ساخطاتٍ ويفتقرن إلى الحساسية.

سواء أكان الأمر مقصودًا أم لا، فعندما تبكي امرأة بيضاء بسبب بعض مظاهر العنصرية، فإن كل الاهتمام يتوجَّه إليها على الفور، ويتطلب وقتًا وطاقة واهتمامًا من جميع الموجودين في الغرفة في الوقت الذي كان ينبغي عليهم فيه التخفيف من العنصرية. بينما تُمنح الاهتمام، يجري التخلي عن الأشخاص الملونين مرة أخرى و/أو إلقاء اللوم عليهم. وكما صرحت ستايسي باتون، الأستاذة المساعدة لصحافة الوسائط المتعددة في كلية الصحافة العالمية والاتصالات بجامعة مورجان ستيت، في نقدها لدموع النساء البيض: «من ثم يُنتظر منا مواساتهن وطمأنتهن بأنهن لسن سيئات»[٢]. تعيد ريجين برايس، الخبيرة الإستراتيجية والميسرة المناهضة للعنصرية، صياغة تشبيه قائم على عمل مفكرة العِرق الناقدة كيمبرلي كرينشو. تقول برايس: «تخيلوا أن أول المستجيبين لمكان الحادث يندفعون لتهدئة السائق الذي صدمت سيارته أحد المشاة، بينما المصاب ممددًا ينزف في الشارع». إنها حركة مألوفة وتخريبية بشكل خاص، تصبح فيها العنصرية متعلقة بشعور البيض بالضيق، ومعاناة البيض، وتحويل البيض إلى ضحايا.

الرجال البيض هشون أيضًا من الناحية العرقية، لكنني لم أرَ هشاشتهم تظهر في المناقشات العابرة للأعراق على شكل بكاء. بل تظهر هشاشتهم عادة كأشكال مختلفة من الهيمنة والتخويف، من ذلك:

• التحكم في المحادثة من خلال التحدث في الأول والأخير ومعظم الوقت.

• الإنكار المتكبر والمخادع لوجود اللامساواة العرقية من خلال «لعب دور محامي الشيطان».

• التصريحات المبسطة والافتراضية عند «الإجابة» على العنصرية («يحتاج الناس فقط إلى...»).

• لعب دور الضحية الغاضبة من «العنصرية المعكوسة».

• اتهامات باللعبة المعروفة باستخدام «بطاقة العرق».

• الصمت والانسحاب.

• لغة الجسد العدائية.

• تبديل القنوات («الاضطهاد الحقيقي طبقي وليس عرقيًّا!»).

• لجوء إلى التثاقف وإقصاء الذات («أوصي بهذا الكتاب...»).

• «تصحيح» التحليل العرقي للأشخاص الملونين والنساء البيض.

• شرح مبهم يستعبد العنصرية وينفي تجارب الملونين.

كل هذه التحركات تدفع بالعِرق بعيدًا عن طاولة النقاش، وتساعد الرجال البيض في الاحتفاظ بالسيطرة على الكلام، وإنهاء أي مواجهة لمواقفهم، وإعادة تأكيد هيمنتهم.

ولأن العنصرية لا تعتمد على الفاعلين الأفراد فقط، يعاد إنتاج النظام العنصري تلقائيًّا. ولمقاطعة عملية الإنتاج هذه، نحتاج إلى التعرف على القواعد والهياكل والمؤسسات التي تُحافظ على العنصرية ومواجهتها. ولكن لأنها تعود علينا بالفائدة، فإن العلاقات غير المتكافئة عرقيًّا مريحة لمعظم البيض. وبالنتيجة، فإذا أردنا نحن البيض مقاطعة هذا النظام العنصري، فلا بد من أن نمر ب ضيق عرقي وأن نكون مستعدين لتفحص آثار مشاركتنا العرقية. يتضمن هذا ألا ننجرَّ وراء ردود أفعالنا -من غضب ومواقف دفاعية وشفقة على الذات وما إلى ذلك - حين نكون في حوار مشترك ومختلط عرقيًّا من دون أن نفكِّر أولًا في الدافع وراء ردود أفعالنا وكيف ستؤثر في الآخرين.

الدموع التي يقودها الذنب الأبيض هي دموع منغمسة في ذاتها. عندما نكون غارقين في الشعور بالذنب، نكون نرجسيين ومعطلين؛ حيث يعمل الشعور بالذنب كذريعة للتقاعس. ونظرًا إلى قلّة ما نتمتع به من علاقات عرقية حقيقية ومستدامة، فإن دموعنا لا تبدو تضامنًا مع الأشخاص الملونين الذين لم نقف إلى جانبهم من قبل. بدلًا من ذلك، تكون دموعنا ردود أفعال عاجزة لا تؤدي إلى اتخاذ إجراءات ذات قيمة. نحن بحاجة إلى التفكير في متى نبكي ومتى لا نبكي، ولماذا. بمعنًى آخر، أن نفكر في ما الذي يتسبب في بكائنا. فلأن الكثيرين منا لم يتعلموا كيف تعمل العنصرية وما هو دورنا فيها، فقد تسقط دموعنا من الصدمة والضيق بشأن ما لم نعرفه أو ندركه. بالنسبة إلى ذوي البشرة الملونة، تُظهر دموعنا عزلتنا العرقية وامتيازنا.

سألتُ المرأة الملونة التي أشرت إليها في بداية هذا الفصل إذا كنت قد أغفلتُ أي شيء في هذه القائمة. هذا ردها:

بكاء البيض أمر مزعج بسبب جرأته في عدم احترام تجربتنا. أنت تبكين لأنك غير مرتاحة لمشاعرك بينما بالكاد يُسمح لنا أن يكون لدينا مشاعر أصلًا. أنت تخجلين أو شيء من هذا القبيل وتبكين، بينما لا يُسمح لنا بالتعبير عن أي مشاعر لأننا عندها نكون من يعقّد الأمور ويجعلها صعبة. من المفترض أن نظل على تماسكٍ ورزانة، وإلا فإننا أشخاص ملونون غاضبون ومخيفون. يُسمح لنا بمشاعرنا فقط من أجل الترفيه عنك، كما هو الحال في تقديم جنازاتنا. وحتى ذلك الحين، هناك توقعات لما يسمح لنا بالتعبير عنه. نتعرض للإيذاء اليومي والضرب والاغتصاب والقتل ولكنك حزينة وهذا هو المهم. هذا هو السبب في أنه من الصعب جدًّا تحمل بكاء النساء البيض. لا بد أنني تأثرت وبكيت بعد سماع قصة أحدهم في هذه المناقشات المختلطة الأعراق، وأحسب أن هذه الدموع تجد من يقدرها في بعض الأحيان، من حيث أنها تؤكد وتشهد على ألم العنصرية الذي يعيشه الملونون. لكنني أراعي كيف أبكي ومتى أسمح لنفسي بذلك. أحاول البكاء بهدوء لكي لا أشغل مساحة أكبر، وإذا اندفع الناس لتهدئتي لا أقبل مواساتهم؛ بل أخبرهم أنني بخير لنتمكّن من المضي قدمًا.

### الرجال الذين يحبوننا

بالإضافة إلى الديناميكيات العامة التي ناقشتها حتى الآن، فإن دموع النساء البيض في المناقشات المختلطة للأعراق لها تأثير من نوع خاص جدًّا على الرجال. لقد رأيتُ دموعنا تتلاعب بالرجال من شتى الأعراق، لكن عواقب هذا التلاعب ليست واحدة. يحتل الرجال البيض أعلى مكانة في هيراركية العِرق والجندر. وبالتالي، لديهم القدرة على تحديد واقعهم وواقع

الآخرين. وهذا الواقع يتضمن ليس فقط تجارب من هي المقبولة بل ومَن هو المقبول بشكل أساسي. في الإطار العرقي الأبيض لا تعتبر كل النساء جديرات بالتقدير. على سبيل المثال وبخلاف الأكاذيب البيضاء الرائجة، فإن من يستفيد من التمييز الإيجابي بشكل أساسي، هم النساء البيض وليس الملونين. عندما يضطر الرجال البيض إلى الاعتراف بإنسانية أحد، فإنهم يعترفون بإنسانية النساء البيض؛ كانت النساء البيض شقيقاتهن وزوجاتهن وبناتهن. وبالطبع، من خلال هذه العلاقات، استفادت النساء البيض من زيادة الوصول إلى الموارد. هذه الإنسانية لم تُمنح بعدُ للنساء الملونات.

يحق للرجل الأبيض كذلك أن يأذن بما يشكل ألمًا، وألم من هو المشروع. عندما يأتي الرجال البيض لإنقاذ النساء البيض في موقف تختلط فيه الأعراق، يتم تعزيز النظام الأبوي لأنهم يلعبون دور المنقذ لفتاتنا وهي في محنة. من خلال تقديم النساء البيض كأهداف للأذى، يكتسب كل من الرجال والنساء البيض رأسمالًا اجتماعيًّا. يجري التخلي عن الأشخاص الملونين ويتركون ليشهدوا على أن الموارد المخصصة للبيض تزداد بالفعل -مرة أخرى - على ظهورهم.

الرجال الملونون أيضًا قد يأتون لمساعدة النساء البيض في هذه المواقف وقد يكونون مدفوعين أيضًا بشرط التحيز الجنسي والنظام الأبوي. لكن يقع على كاهل الرجال الملونين الثقل الإضافي لعبور العنصرية، وكان هذا الثقل قاتلًا تاريخيًّا. بالنسبة إلى الرجال السود على وجه الخصوص، فإن شبح إيميت تيل ماثل دائمًا إلى جانب عدد لا يحصى من الآخرين الذين تعرضوا للضرب والقتل بسبب مزاعم امرأة بيضاء واتهامها رجلًا من عِرق آخر. يمكن تصور تخفيف ضائقة المرأة البيضاء بأسرع ما يمكن كمسألة حياة أو موت. ومع ذلك، فإن إنقاذ امرأة بيضاء يؤدي أيضًا إلى إحداث فجوة بين الرجال والنساء الملونين. بدلًا من تلقي الرأسمال الاجتماعي الذي يعزز مكانته، يجب على الرجل الملون الذي تم وضعه في هذا الموقف أن يعيش الآن مع ألم الاضطرار إلى دعم امرأة بيضاء بدلًا من شخص ملون من أجل البقاء على قيد الحياة.

على البيض أن يشعروا بالأسى حيال وحشية التفوق الأبيض ودورنا فيه. في الواقع، إن تخدرنا تجاه الظلم العنصري الذي يحدث يوميًّا هو مفتاح تماسكه في مكانه. لكن حزننا يجب أن يؤدي إلى عمل مستدام وتحوُّلي. نظرًا إلى أن عواطفنا هي مؤشرات لأطرنا الداخلية، فإن بإمكانها العمل كنقاط دخول إلى الوعي الذاتي الأعمق الذي يقود إلى هذا الفعل. سوف يمكننا فحص جذور عواطفنا (عار جهلنا، والشعور بالذنب لإيذاء شخص ما، مشاعرنا متألمة لأننا نعتقد أننا قد أسيء فهمنا) من معالجة هذه الأطر. نحتاج أيضًا إلى فحص ردود أفعالنا تجاه مشاعر الآخرين وكيف يمكنها أن تعيد إنتاج

هيراركية العِرق والجندر. تجعلنا التنشئة الاجتماعية العرقية نكرر السلوك العنصري، بغض النظر عن نوايانا أو صورتنا الذاتية. علينا أن نواصل البحث في كيفية ظهور عنصريتنا، ليس ما إذا كانت تظهر أم لا.

# الفصل الثاني عشر: إلى أين نذهب من هنا؟

وُجهت دعوة إلى فريق العدالة للاجتماع مع مطورة الموقع الجديد للشركة. يتكون الفريق من امرأتين، كلاهما من السود، وأنا. تريد مطورة الويب الجديدة، وهي سوداء أيضًا، إجراء مقابلة معنا حتى تتمكن من بناء صفحتنا. بدأت الاجتماع بإعطائنا استبيانًا نملؤه. تستفسر العديد من الأسئلة في الاستبيان عن جمهورنا المستهدف والأساليب والأهداف قريبة المدى والغايات بعيدة المدى. أجد الأسئلة مملة وأشعر بأني مستفزة منها. أقوم بتجاهل الاستبيان، أحاول الشرح شفهيًا. أخبر مطورة الويب بأننا نخرج للعمل في مكاتب فرعية لتسهيل التدريب على مناهضة العنصرية. أضيف أن التدريب لا يلقى استحسانًا دائمًا؛ في الواقع قيل لواحدة من فريقنا أن لا ترجع مرة أخرى. أمزح: «كان البيض خائفين من شعر ديبورا» (ديبورا سوداء ولها ضفائر طويلة). ينتهي الاجتماع ونمضي. بعد بضعة أيام، أخبرتني زميلتي في الفريق أن مطورة الويب - التي سأطلق عليها أنجيلا – شعرت بالإهانة من تعليقي على شعر ديبورا.

لم أكن منتبهة وقتها، لكنني ما أن عرفت بشعور أنجيلا حتى أدركت أن مزحتي كانت خارجة عن حدود اللياقة. بحثت عن صديقتي، وهي بيضاء متخصصة في فهم الديناميكيات العابرة للأعراق. نناقش مشاعري (الإحراج، الخزي، الذنب) ثم تساعدني في التعرف على الطرق المختلفة التي ظهرت بها عنصريتي في هذا الموقف. بعد هذه المناقشة، أشعر بأنني مستعدة لإصلاح ما فعلت، أطلب من أنجيلا مقابلتي، وتوافق.

أبدأ بسؤال أنجيلا: «هل لديك استعداد لإعطائي فرصة الاعتذار عن العنصرية التي ظهرت مني نحوك في الاجتماع؟» تقبل، فأكمل كلامي: «أدرك أن تعليقي على شعر ديبورا كان غير لائق». أومأت أنجيلا برأسها وأوضحت أنها لا تعرفني ولا تريد أن تمزح بشأن شعر النساء السود (وهي قضية حساسة للعديد من النساء السود) مع امرأة بيضاء لا تعرفها ولا تثق بها، ناهيك عن أن الاجتماع كان مهنيًّا. أعتذر وأسألها إن بدر مني أي شيء آخر في الاجتماع. أجابت «نعم. هذ الاستطلاع؟ أنا من كتب هذا الاستطلاع. وقد أمضيت حياتي في تبرير ذكائي للبيض». ينقبض صدري لأنني أدرك على الفور تأثير تصرفي حين استبعدت الاستطلاع بسرعة. أقر بهذا وأعتذر. تقبل اعتذاري. أسأل أنجيلا إذا كان هناك أي شيء آخر قبل أن نتمكن من المضي قدمًا. تجيب بنعم وتسألني: «في المرة القادمة التي تفعلين فيها شيئًا كهذا، هل ترغبين في توجيه ملاحظة لك أمام الآخرين أم بيني وبينك؟» أجيب بأنه نظرًا إلى دوري كمعلمة، فسأكون ممتنة لتلقي التعليقات علنًا لأنه من المهم

أن يرى البيض أنني منخرطة أيضًا في عملية تعلم وتطور مستمرة مدى الحياة. ويمكنني أن أكون نموذجًا للبيض الآخرين لكيفية تلقي التعليقات بشكل علني وبدون أن أتخذ موقفًا دفاعيًّا. أخبرتني أنه على الرغم من أن هذه المواقف تتكرر يوميًّا بين البيض والملونين، لكن ما لا يتكرر هو رغبتي في إصلاح الموقف، وأنها تقدر ذلك.

في الفصل التاسع، حدَّدت المشاعر والسلوكيات والادعاءات والافتراضات الأساسية للهشاشة البيضاء. في هذا الفصل، سنرى كيف ستتغير هذه العناصر إذا غيرنا نموذجنا العرقي. من الصعب بالنسبة إليَّ أن أتخيل أن موقفي واستجابتي لأنجيلا ستكون مجدية لو حدثت قبل أن أبدأ هذا العمل. لو كنت ضمن النموذج العرقي السائد لكنت ببساطة لم أستطع ولم أتجاوب بشكل إيجابي عندما أخبرتني زميلتي في العمل أن أنجيلا شعرت بالإهانة، بل كنت سأمتلئ قلقًا وأشرح فورًا حسن نيتي لزميلتي، منتظرة منها أن تتفهمني وأن تبرئني من العنصرية. كنت سأشعر بتهمة غير عادلة وأرى نفسي ضحية لظلم أنجيلا. ولو أنني أستجبت على هذا النحو، كنت سأفقد أي علاقة محتملة معها، وسأحمي رؤيتي المحدودة للعالم، وأعطِّل تطوري العاطفي والفكري.

ومع ذلك، فإن رد الفعل الدفاعي هذا هو ما يتلقاه الملونون عادةً من البيض، وهو ما يثنيهم حتى عن محاولة التحدث إلينا. ولكن حين نكون في نموذج عرقي متحول، فإن المشاعر التي تتكون لدينا عندما نتلقى ملاحظات حول أنماطنا العنصرية الحتمية واللاواعية مختلفة: • الامتنان.

- الدافع.
- الإثارة.
- التواضع.
- الضيق.
- الرحمة.
- الشعور بالذنب.
- الاهتمام.

عندما تكون لدينا هذه المشاعر، قد ننخرط في السلوكيات التالية: • التفكير.

- السعي إلى الفهم.
- الاعتذار.

• الجدال.
• الإصغاء.
• الانخراط.
• المعالجة.
• التصديق.

ما الادعاءات التي قد نطلقها عندما تكون لدينا هذه المشاعر وننخرط في هذه السلوكيات؟ لاحظوا أن أيًّا من الادعاءات التالية لا تصنفنا كمتهمين زورًا أو أننا متجاوزين للعنصرية وللمناقشة؛ بل إنها توحي بالانفتاح والتواضع.

• أقدر هذه التعليقات.
• الملاحظة مفيدة جدًّا.
• تقع على عاتقي مسؤولية مقاومة أسلوبي الدفاعي وشعوري بالرضا عن نفسي.
• هذا أمر صعب ولكنه أيضًا محفز ومهم.
• أووبس!
• من المحتم أن يكون لديَّ هذه التنميطات. أريد تغييرها.
• إنها ملاحظة شخصية ولكنها ليست شخصية وحسب.
• سأركز في الرسالة وليس في الرسول.
• أحتاج إلى بناء جَلَدي على الشعور بالضيق والقلق وأن أشهد على الألم الذي تسببه عنصريتي.
• عليَّ بذل الجهد لأتغير.

من المحتمل أن تكون هذه المشاعر والسلوكيات والمزاعم ليست مألوفة للقراء، لأننا نادرًا ما نأخذ بها. ولكن عندما يتغير فهمنا الأساسي للعنصرية، فإن افتراضاتنا وسلوكياتنا المترتبة على ذلك تتغير. تخيل الاختلاف في بيئتنا وتفاعلاتنا ومعاييرنا وسياساتنا إذا وصفت القائمة التالية افتراضاتنا: • ليست لمسألة أن تكون إنسانًا طيبًا أو سيئًا صلة بالأمر.
• العنصرية هي نظام متعدد الطبقات متأصل في ثقافتنا.
• كل واحد منا جرت تنشئته اجتماعيًّا في نظام من العنصرية.
• لا يمكن تجنب العنصرية.

• لدى البيض نقاط عمياء فيما يتعلق بالعنصرية، ولديَّ نقاط عمياء فيما يتعلق بالعنصرية.

• العنصرية معقدة، ولست مضطرًّا إلى فهم كل الفروق الدقيقة في التعليقات للتحقق من صحة هذه التعليقات.

• البيض (أنا) منغمس (ون) في العنصرية دون وعي.

• التحيز ضمني ويمارس بلا وعي. لا أتوقع أن أكون على علم بتحيزي دون بذل الكثير من الجهد والاستمرار في بذله.

• إن تزويدنا بتعليقات حول عنصريتنا أمر محفوف بالمخاطر بالنسبة إلى الملونين، لذلك يمكننا اعتبار التعليقات علامة على الثقة.

• من الصعب إعطاء ملاحظات حول عنصرية البيض. أسلوب تقديم الملاحظات إليَّ ليس له علاقة بالملاحظات نفسها.

• نادرًا ما تكون مناهضة العنصرية الحقيقية أمرًا مريحًا. الشعور بالضيق هو مفتاح التطور وبالتالي فهو أمر مرغوب فيه.

• تحافظ الراحة البيضاء على الوضع العرقي الراهن، لذا فإن الشعور بالضيق ضروري ومهم.

• يجب ألا أخلط بين الراحة والأمان. كشخص أبيض، أنا آمن في مناقشات العنصرية.

• الترياق ضد الشعور بالذنب هو العمل.

• إن قطع التضامن مع البيض يتطلب شجاعة. كيف يمكنني دعم من يفعل؟

• أحمل معي تاريخ جماعتي. التاريخ مهم.

• بالنظر إلى التنشئة الاجتماعية التيي تلقيتها، فمن الأرجح أنني أنا من لا يفهم المشكلة.

• لا شيء يعفيني من قوى العنصرية.

• يجب أن يكون تحليلي متقاطعًا مع هوياتي الاجتماعية الأخرى (الطبقة، والجندر، والقدرة – كلها هويات تُعلِّمنا كيف أُنشِئتُ اجتماعيًّا داخل النظام العرقي).

• العنصرية تؤذي (بل إنها تقتل) الملونين ٢٤ ساعة في سبعة أيام في الأسبوع. مقاطعة النظام العنصري أهم من مشاعري أو غروري أو صورتي الذاتية.

قد تؤدي هذه الافتراضات إلى مقاطعة العنصرية بطرق مختلفة، مثل ما يلي: • تقليل مواقفنا وردود أفعالنا الدفاعية.

- إظهار ضعفنا.
- إظهار فضولنا وتواضعنا.
- السماح لأنفسنا بالتطور.
- توسيع نظرتنا للعالم.
- ضمان العمل.
- إثبات أننا نمارس ما نعلن من قيم.
- بناء علاقات وثقة حقيقية.
- مقاطعة الامتياز الذي نتمتع به لحماية راحتنا.
- مقاطعة شعورنا المستدخل بالتفوق.

عندما يسألني أشخاص بيض حول ما يمكن فعله بشأن العنصرية والهشاشة البيضاء، فإن أول شيء أسأله هو «ما الذي مكّنك من أن تكون شخصًا بالغًا متعلمًا ومهنيًّا ولا تعرف حتى الآن ماذا تفعل حيال العنصرية؟» إنه سؤال صادق. كيف تدبرنا أن نكون جهلة عندما تكون المعلومات حولنا في كل مكان؟ عندما يخبرنا الملونون منذ سنوات؟ إذا أخذنا هذا السؤال على محمل الجد وحددنا جميع الطرق التي أوصلتنا إلى أن نجهل ما ينبغي علينا القيام به، فسيكون أمامنا خريطة طريق للعمل. على سبيل المثال، إذا كانت إجابتي هي أنني لم أتعلم عن العنصرية، فأنا أعلم الآن أن عليَّ أن أتعلم. إذا كانت إجابتي هي أنني لا أعرف أشخاصًا من ذوي البشرة الملونة، فأنا بحاجة إلى بناء علاقات عابرة للأعراق. إذا كان ذلك بسبب وجودي في بيئة منفصلة عرقيًّا فلا يوجد ملونون في بيئتي، فسأحتاج إلى الخروج من منطقة الراحة الخاصة بي وتغيير بيئتي؛ معالجة العنصرية لا تتحقق دون بذل جهد.

تاليًا، سأقول: «افعل كل ما يتطلبه الأمر لاستيعاب الافتراضات المذكورة أعلاه»، أعتقد أنه إذا كنا نحن البيض أبناء هذه الافتراضات، فلن تتغير علاقاتنا المتبادلة شخصيًّا فحسب، بل ستتغير مؤسساتنا أيضًا. ستتغير مؤسساتنا لأننا سنكون حريصين على أن يحدث ذلك. لكننا ببساطة لا نستطيع إنهاء العنصرية بالنموذج العرقي الحالي.

النصيحة الأخيرة التي أقدمها: «خذ المبادرة واكتشف بنفسك». للكسر مع شرط البياض -التكييف الذي يجعلنا لا مبالين بالعنصرية ويمنعنا من تطوير المهارات التي نحتاجها لمقاطعتها - يحتاج البيض إلى معرفة ما يمكنهم فعله

بأنفسهم. هناك الكثير من النصائح الممتازة اليوم كتبها خبراء ملونون وبيض. إبحث عنها. تخلص من لامبالاة البياض، وأظهر أنك تهتم بما يكفي لبذل الجهد.

لنتخيل مثلًا أنك تذهب إلى الطبيبة التي تخبرك أن لديك ورمًا في العصب السمعي. وبينما هي على وشك شرح ماهية ذلك وما هي الخيارات المتاحة أمامك، تتلقى الطبيبة مكالمة طوارئ ويجب أن تسرع فتنهي زيارتك فجأة. ماذا ستفعل؟ من المحتمل جدًّا أن تذهب إلى المنزل، وتدخل الإنترنت وتقرأ كل ما يمكن أن تجده حول هذا الموضوع. ربما تنضم إلى مجموعة مناقشة مع أشخاص لديهم خبرة في هذه الحالة التي تعاني منها. حتى لو أن الطبيبة لم تغادر وشرحت لك الحالة وقدمت إليك بعض النصائح، فمن المحتمل أنك ستذهب إلى المنزل وتجري نفس البحث بحيث يكون لديك أكثر من رأي واحد حول هذه المسألة المهمة، بل ربما تكون مسألة حياة أو موت. الخلاصة: ستهتم بما يكفي للحصول على معلومات. لذا اعتبر أنت أن العنصرية مسألة حياة أو موت (كما هو الحال بالنسبة إلى الملونين)، وقم بواجبك.

## الإصلاح

بالعودة إلى مثال العنصرية التي ارتكبتُها تجاه زميلتي في العمل، يمكننا أن نرى أنني اتبعت سلسلة من الخطوات. تستند هذه الخطوات إلى القائمة السابقة للافتراضات والتصرفات (التفكير، والاعتذار، وما إلى ذلك) المعروضة أعلاه. أولًا، بمجرد أن أدركت أنني قد تصرفت بشكل غير لائق، أخذت الوقت الكافي لمعالجة رد فعلي مع شخص أبيض آخر. لم يكن من واجب أنجيلا الاهتمام بمشاعري أو الشعور بالضغط لطمأنتي. كنت حريصةً أيضًا على اختيار شخص أعرف أنه سيحاسبني، وليس شخصًا يصر على أن أنجيلا كانت تبالغ بحساسيتها. بعد أن نفَّست عن مشاعري (الإحراج والشعور بالذنب والعار والندم)، بذلنا قصارى جهدنا لتحديد كيف عززت العنصرية بتصرفي. كنت حينها مستعدة للعودة إلى أنجيلا، وكنت واضحةً ومنفتحةً بشأن سبب رغبتي في مقابلتها، وسألتها عما إذا كانت على استعداد للقائي. كنت مستعدة لأن ترفض مقابلتي وتقول لا، فإذا لم أتمكن من قبول «لا» كإجابة، فأنا لست مستعدةً لتقديم اعتذار حقيقي.

عندما التقيت أنجيلا، اعترفت بعنصريتي. لم أركز في نيتي الحسنة بل ركزت في تأثير تصرفي فيها واعتذرت عن هذا التأثير. كما أنني لم أستخدم التأطير السلبي كأن أقول: «إذا كنتِ قد شعرت بالإهانة». (الاعتذارات التي تبدأ بهذه الطريقة هي جهود خفية لإلقاء العبء على من يستقبل عنصريتنا. ولو فعلت وبدأت الاعتذار على هذا النحو فأنا أقول بشكل غير مباشر، إن تصرفي لم يكن مسيئًا بطبيعته -لن يجده الكثيرون مسيئًا على الإطلاق -

ولكن إذا شعرتِ أنت بالإهانة بسبب حساسيتك المفرطة، فأنا آسفة). لقد اعترفت ببساطة أن تصرفي كان مسيئًا. أدركت أنني، كشخص أبيض، وكذلك صديقتي البيضاء التي ساعدتني في معالجة مشاعري، لن أفهم كل الديناميكيات على الأرجح، فسألت أنجيلا عمَّا فاتني. كانت على استعداد لتكشف لي المزيد، وقبلت ملاحظاتها الإضافية واعتذرت. لقد التزمت بأن أتصرف بشكل أفضل مستقبلًا، وانتهيت بسؤالها عما إذا كان هناك أي شيء آخر ينبغي قوله أو سماعه قبل أن نتمكن من المضي قدمًا. اليوم، لدينا أنجيلا وأنا على ثقة أكبر -وليس أقل - بعلاقتنا مما كانت عليه قبل هذه الحادثة. بينما يؤسفني أن ذلك جاء على حساب أنجيلا، إلا أنها لم تكن نهاية العالم. أكد لي عدد من الملونين أنهم لن يتخلوا عني على الرغم من تنميطاتي العنصرية؛ إنهم يتوقعون أن يكون لديَّ سلوك عنصري بالنظر إلى تنشئتي الاجتماعية. ما يبحثون عنه ليس الكمال ولكن القدرة على مناقشة ما حدث، والقدرة على إصلاحه. لكن لسوء الحظ، من النادر أن يعترف البيض بأخطائهم ويصلحون تنميطاتنا العنصرية التي لا مفر منها. وبالنتيجة، فبالنسبة إلى ذوي البشرة الملونة فإن العلاقات مع البيض أميل إلى أن تفتقد الثقة وأقل من أن تُعتبر علاقات صادقة وحقيقية.

## للمضي قدمًا

في الفصل الرابع، حذرت القراء من الاعتماد على الأشخاص الملونين في تعليمنا العرقي وشرحت سبب كون هذا الاعتماد مثيرًا للجدل. ربما تساءل القراء كيف نحصل على هذه المعلومات إن لم نطلب من الأشخاص الملونين إعطاءنا إياها. يمكننا الحصول عليها بعدة طرق، عبر البحث عن المعلومات في الكتب والمواقع الإلكترونية والأفلام والمصادر الأخرى المتاحة. يلتزم العديد من الأشخاص الملونين بتعليم البيض عن العنصرية (بشروطهم الخاصة) وقد قدموا إلينا هذه المعلومات لعقود إن لم يكن لقرون. إن افتقارنا إلى الاهتمام أو الدافع هو الذي منعنا من الحصول على المعرفة.

يمكننا أيضًا أن نطالب بإعطائنا هذه المعلومات في المدارس والجامعات وألا يُطلب منا أخذ دورات خاصة اختيارية حتى نتعرض لها. يمكننا الانخراط مع المنظمات متعددة الأعراق والمنظمات البيضاء التي تعمل من أجل العدالة العرقية. ويمكننا بناء علاقات عرقية حقيقية وموثوقة وأن نكون على استعداد للمشاهدة والاستماع والتعلم. في بعض الأحيان، في سياق هذه العلاقات، يمكننا طرح أسئلة مباشرة وطلب معلومات صريحة، لكن هذا ليس ضروريًّا دائمًا. ببساطة من خلال العيش في حياة مختلطة ومتعددة الأعراق ومن خلال إيلاء الاهتمام والانتباه، سوف نتعلم ما نحتاج إلى معرفته.

رغم ذلك، فإن البيض لديهم بالفعل معرفة بمظاهر العِرق والعنصرية، ويمكننا بسهولة اكتشاف هذه المعرفة بقدر قليل من التفكير. على سبيل المثال، يمكننا التفكير في الرسائل التي تلقيناها، والامتيازات التي نتمتع بها، وكيف جرت تنشئتنا اجتماعيًّا لنشعر بالتفوق (بينما ننكر أننا نشعر بذلك)، وكيف يمكن أن يتمظهر كل هذا في حياتنا.

عندما بدأت هذا العمل، كنت أخشى تلقي ملاحظات من أشخاص ملونين حول تنميطاتي وافتراضاتي العنصرية. الآن أرحب بهذه الملاحظات. ربما يكون أقوى درس تعلمته فيما يتعلق بمقاطعة هشاشتي البيضاء هو أن هذه التعليقات ما هي إلا علامة إيجابية في العلاقة. بالطبع، نادرًا ما تكون التعليقات جيدة -أشعر أحيانًا بالحرج أو برغبة في الدفاع عن نفسي. لكنني أفهم أيضًا أنه لا توجد طريقة أخرى بالنسبة إليَّ لتجنب ارتكاب ممارسات عرقية مزعجة، لذلك إذا وثق بي شخص ملون بدرجة تكفي أن يخاطر ويخبرني، فأنا بخير.

أخبرني العديد من الأشخاص الملونين أنهم لا يكلفون أنفسهم عناء تقديم الملاحظات إلى شخص أبيض إذا اعتقدوا أنه عازف عن تقبلها؛ فإما أنهم يتحملون الاعتداءات الصغيرة أو ينسحبون بعيدًا عن هذه العلاقة. إنهم لا يشعرون بأنهم قريبون من الأشخاص البيض الذين لا يستطيعون التحدث إليهم بصدق عن العنصرية، وفي هذه العلاقات دائمًا درجة من التباعد وغياب الثقة. نشعر بالقلق من أننا إذا كشفنا عن عنصريتنا بأي شكل من الأشكال فإن الأشخاص الملونين في حياتنا سيتخلون عنا، لكن ما يحدث في الواقع هو العكس، فعندما نتعامل مع الملاحظات التي توجه إلينا ونسعى إلى إصلاح تصرفاتنا، تتعمق علاقتنا بهم. محاولة استخدام الشرح لإنكار عنصريتنا لا تخدع الملونين ولا تقربهم منا. لأنني لن أتحرر تمامًا من العنصرية أو أنهي تعلُّمي عنها، ما هي بعض الأشياء التي يمكنني فعلها أو تذكرها عندما تظهر هشاشتي البيضاء؟ هناك العديد من الاستجابات المثمرة التي يمكننا أن نقوم بها في الوقت الحالي: • تنفس.

- استمع.
- فكِّر بعمق.
- عد إلى قائمة الافتراضات الأساسية في هذا الفصل.
- ابحث عن شخص لديه تحليل أقوى إذا شعرت بالارتباك.
- خذ الوقت الذي تحتاجه لمعالجة مشاعرك، لكن عد إلى الموقف والأشخاص المعنيين.

يمكننا مقاطعة هشاشتنا البيضاء وبناء قدرتنا على إدامة الصدق بين الأعراق من خلال استعدادنا لتحمّل الضيق المرتبط بالتقييم الصادق ومناقشة شعورنا المستدخل بتفوقنا وامتيازنا العرقي. يمكننا مواجهة واقعنا العرقي من خلال الاعتراف بأننا كائنات عرقية ذات منظور خاص ومحدود وضيق حول العرق. يمكننا محاولة فهم الحقائق العرقية لذوي البشرة الملونة من خلال تفاعل حقيقي معهم وليس عبر وسائل الإعلام أو من خلال العلاقات غير المتكافئة. يمكننا اتخاذ إجراءات للتصدي لعنصريتنا، وعنصرية البيض الآخرين، والعنصرية المتأصلة في مؤسساتنا. ستتطلب كل هذه الجهود أن نكون في مواجهة مستمرة مع تنشئتنا الاجتماعية واستثماراتنا في العنصرية والمعلومات المضللة التي تعلمناها عن ذوي البشرة الملونة. يمكننا تثقيف أنفسنا حول تاريخ العلاقات بين الأعراق في بلدنا. يمكننا أن نتبع من يقودون مناهضة العنصرية من الأشخاص الملونين وأن نعمل على بناء علاقات عرقية حقيقية وجديرة بالثقة. يمكننا الانخراط في المنظمات التي تعمل من أجل العدالة العرقية. والأهم من ذلك، يجب علينا كسر حاجز الصمت بشأن العرق والعنصرية مع البيض الآخرين. مسألة الذنب

تناولت أودري لورد أفكارها ببلاغة حول شعور البيض بالذنب في مؤتمر الرابطة الوطنية لدراسات المرأة في عام ١٩٨١: «لا أستطيع أن أخفي غضبي لأعفيك من الذنب، ومن جرح مشاعرك، ومن أن ترد على الغضب. لأن القيام بذلك يهين كل جهودنا ويتفِّه منها. الذنب ليس رد فعل على الغضب. إنه استجابة لأفعال الفرد أو قلة أفعاله. إذا كان يؤدي إلى التغيير، فيمكن أن يكون مفيدًا، لأنه لم يعد ذنبًا بل بداية المعرفة. ومع ذلك، وفي الكثير من الأحيان، يكون الذنب مجرد اسم آخر للعجز، للدفاع الأعمى والمدمر للتواصل؛ يصبح جهازًا لحماية الجهل واستمرار الأشياء على ما هي عليه، والحماية القصوى من التغيير»[١].

أُسأل أحيانًا عمَّا إذا كان عملي يعزز الشعور الأبيض بالذنب ويستغلّه. لكني لا أرى جهودي للكشف عن الكيفية التي يشكل العرق بها حياتي على أنها مسألة ذنب. أعلم أنه نظرًا إلى أنني نشأت اجتماعيًّا بيضاء في مجتمع قائم على العنصرية، فإن لديَّ نظرة عنصرية للعالم، وتحيزًا عنصريًّا عميقًا، وتنميطات عنصرية، واستثمارات في النظام العنصري الذي رفعني. مع ذلك، لا أشعر بالذنب حيال العنصرية. لم أختَرْ هذه التنشئة الاجتماعية، ولا يمكنني تجنبها. لكنني مسؤولة عن دوري فيها. بقدر ما بذلت قصارى جهدي في كل لحظة لمقاطعة مشاركتي في النظام العنصري، بقدر ما يمكن لضميري أن يرتاح. لكن هذا الضمير المرتاح لا يتحقق بالرضا عن النفس أو الإحساس بأنني وصلت.

على عكس المشاعر الثقيلة مثل الشعور بالذنب، فإن العمل من أجل تحديد شعوري المستدخل بالتفوق والطرق التي يظهر بها يحررني إلى حد لا يصدق. عندما أبدأ من الفرضية القائلة بأنني طبعًا تربيت اجتماعيًّا وإلى حد عميق في الثقافة العنصرية التي ولدت فيها، فأنا لست بحاجة إلى بذل الطاقة لإنكار هذه الحقيقة. أنا حريصة -بل متحمسة - لإدراك تواطئي الحتمي لكي أتمكن من معرفة السبيل لوضع حد لهذا التواطؤ! إن الإنكار والدفاع عن النفس اللازمين للحفاظ على التواطؤ منهكان.

**هوية بيضاء إيجابية؟**

هناك العديد من وسائل العمل المناهض للعنصرية؛ إحداها محاولة تطوير هوية بيضاء إيجابية. غالبًا ما يقترح من يروجون لهذا النهج أننا نطور هذه الهوية الإيجابية من خلال استعادة التراث الثقافي الذي فقد في بدايات التأسيس، أثناء مرحلة الاستيعاب في البياض بالنسبة إلى الأعراق الأوروبية. ومع ذلك، فالهوية البيضاء الإيجابية هدف مستحيل. الهوية البيضاء عنصرية بطبيعتها. فلا وجود للبيض خارج نظام التفوق الأبيض. هذا لا يعني أن علينا التوقف عن تعريف أنفسنا بأننا بيض وأن نبدأ في الادعاء فقط بأننا إيطاليون أو أيرلنديون. القيام بذلك يعني إنكار حقيقة العنصرية الآن وهنا، وهذا الإنكار ببساطة هو عنصرية عمى الألوان. بدلًا من ذلك، أسعى إلى أن أكون «أقل بياضًا». أن تكون أقل بياضًا يعني أن تكون أقل ظلمًا عرقيًّا. وهذا يتطلب مني أن أكون أكثر وعيًا من الناحية العرقية، وأن أتعلم أكثر عن العنصرية، وأن أتحدى اليقين والغطرسة العرقيين باستمرار. أن تكون أقل بياضًا هو أن تكون منفتحًا ومهتمًّا ومتعاطفًا مع الواقع العرقي للملونين. يمكنني بناء مجموعة واسعة من علاقات عابرة للعِرق أصيلة ومستدامة، وأن أقبل في الوقت نفسه أن لديَّ تنميطات عنصرية. وبدلًا من أن أخذ موقفًا دفاعيًّا بشأنها، يمكنني أن أهتم أكثر برؤيتها بصورة أوضح حتى أتمكن من تعديلها. أن تكون أقل بياضًا هو قطع الصمت الأبيض والتضامن مع البيض، والتوقف عن تقديم راحة البيض على آلام العنصرية التي يعيشها الملونون، وتجاوز الشعور بالذنب بالبدء في العمل. هذه الأساليب الأقل قمعية هي وسائل فاعلة وليست سلبية. في النهاية، إنني أبذل جهدي لتكون هويتي أقل بياضًا من أجل تحريري أنا وإحساسي بالعدالة، وليس لإنقاذ الملونين.

خلاصة عندما ألقي محاضرة أو ورشة عمل، فإن السؤال الأول الذي يطرحه عليَّ المشاركون البيض هو، «كيف أخبر فلانًا عن عنصريته دون التسبب في استفزاز الهشاشة البيضاء؟» أول إجابة لي على هذا السؤال هي «كيف لي أن أخبرك عن عنصريتك دون التسبب في هشاشتك البيضاء؟» بهذا

الرد، أشير إلى الافتراض غير المعلن بأن مَن يطرح السؤال يرى أنه ليس جزءًا من المشكلة. بمعنًى آخر، ينأى هذا السؤال بالمشارك عن العنصرية. ويعني أن السائل يفترض أنه ليس بحاجة إلى ملاحظات أو أنه لا يعاني من هشاشته البيضاء. سؤال هذا الشخص ليس آتيًا من التواضع أو تفحص الذات.

يمكنني، الآن وقد قلت ذلك، تقديم بعض الإستراتيجيات لمحاولة العمل معًا على هشاشتنا البيضاء. أولًا، ينبغي أن أحاول أن أؤكد وجهة نظر الشخص قبل أن أشارك وجهة نظري، وعندما أشارك وجهة نظري، عليَّ أن أشير بإصبعي إلى الداخل وليس إلى الخارج. قد أقول: «يمكنني أن أفهم سبب شعورك. لقد كان لديَّ المشاعر نفسها. ومع ذلك، بعد أن أتيحت لي فرصة العمل مع أشخاص ملونين والاستماع إلى وجهات نظرهم فقد توصلت إلى أن...». ثم أشارك ما فهمته مع التركيز في كيفية ارتباط هذا الفهم بي. هذه الإستراتيجية ليست مضمونة لتقليل المواقف الدفاعية التي يأخذها البيض عند مواجهتهم بجانب عنصري لديهم، فمن الصعب الجدال مع شخص قام بتأطير الرد باعتباره رؤيته الشخصية.

أنا أيضًا أمنح نفسي بعض الوقت إذا شعرت بحيرةٍ تعيق قدرتي على الرد بوضوح في الوقت الحالي. عندما تكون لدينا علاقة مستمرة مع شخص ما، فلا بأس من إعطاء استجابتنا وقتًا أكبر ثم العودة إلى المشكلة لاحقًا. عبر هذه الإستراتيجية يمكننا اختيار وقت نشعر فيه بمزيد من الاستعداد ونشعر بأن الشخص الآخر مستعد أيضًا ومنفتح ليقبل الكلام عن العنصرية منَّا. في هذه الحالة، قد أقول: «هل يمكنني التحدث معك عن شيء ما؟ كنت أشعر بالضيق حيال كلامنا ذلك اليوم، وتطلَّب الأمر مني بعض الوقت لتوضيح السبب. فكَّرت وأفهم ما أريد قوله بشكل أفضل الآن، فهل يمكننا العودة إلى حديثنا؟» ثم أبذل قصارى جهدي لمشاركة أفكاري ومشاعري بهدوء ودقة قدر الإمكان. في النهاية، لقد تخلَّيت منذ زمن عن فكرة تغيير الآخرين. إذا أفدتُ شخصًا ما ومكّنته من بناء رؤية أعمق للعنصرية من خلال ما أشاركه، فهذا رائع. لكن الهدف الذي يقودني هو حاجتي الخاصة إلى التحرُّر من تضامن البيض، حتى لو كان هذا الانفصال مقلقًا، ودائمًا ما يكون كذلك. في آخر المطاف، أفعالي مدفوعة بحاجتي إلى النزاهة، وليس الحاجة إلى تصحيح شخص آخر أو تغييره.

ملونون يعبرون الهشاشة البيضاء

يسألني أشخاص من ذوي البشرة الملونة من حين إلى آخر عن كيفية التعامل مع الهشاشة البيضاء. أتمنى لو أن لديَّ وصفة بسيطة أقدِّمها إليهم! أريد أن نتوقف عن إظهار الهشاشة البيضاء حتى لا يضطر الملونون إلى طرح هذا السؤال. مع ذلك، إلى جانب الإستراتيجيات التي تمت مناقشتها حتى

الآن، ثمة نهجٌ آخر قد يجده الملونون مفيدًا. عندما لا تريد -بصفتك شخصًا ملونًا - تحمل عبء الإشارة إلى عنصرية شخص أبيض ولكن لا تريد أيضًا تجاهلها، فربما يمكنك أن تطلب من شخص أبيض تثق به أن يتعامل معه. وفي حين أن التعامل مع العنصرية البيضاء نادرًا ما يكون يسيرًا، فإن المواجهة حين تأتي من شخص أبيض يكون تحمل وطأة الاستجابة العدائية أقل إيلامًا من وقوع هذه الاستجابة نفسها على شخص ملوَّن. في هذه الحالة أيضًا، قد تكون الهشاشة أقل بقليل لأن التدخل يأتي من شخص أبيض آخر. تساعد هذه الإستراتيجية أيضًا الشخص الأبيض المتدخِّل على إظهار دعمه وممارسته الانفصال عن تضامن البيض.

أخبرني أشخاص ملونون بأنه من المفيد معرفة كيف تواطؤوا هم أنفسهم مع هشاشتي البيضاء. للإجابة على هذا السؤال، يجب أن أكون واضحة أولًا بأن عبور الهشاشة البيضاء هو في الأساس مسألة نجاة بالنسبة إلى الملونين. فعواقب الهشاشة البيضاء تعني ساعات من الألم، هذا بالإضافة إلى عواقب أكثر خطورة مثل النظر إلى الملون على أنه تهديد ومثير للمشاكل. وغالبًا ما تؤدي هذه التقييمات المتحيزة إلى خسارة الوظيفة، والأمراض المرتبطة بالإجهاد، والتهم الجنائية، والاضطهاد. وبالتالي، فإن اختيار النجاة بأية طريقة تعتبر ضرورية هو الخيار الذي يجد الدعم. تقع على عاتق البيض مسؤولية أن يكونوا أقل هشاشة؛ لا ينقص الملونين أن يضيقوا على أنفسهم بينما يحاولون التنقل بيننا بأقلِّ قدر ممكن من الألم. ولمساعدة الملونين على تحديد ما إذا كانوا يريدون قطع الطريق على الهشاشة البيضاء أو الكيفية التي يمكنهم فعلِ ذلك بها، يمكنني مشاركة بعض الطرق التي لاحظت فيها أن الملونين يمكِّنون بها هشاشتي.

يُنظر إليَّ على أنني إلى حد ما أكثر وعيًا عرقيًّا من البيض الآخرين، لذلك غالبًا ما يمنحني الملونون رخصة وعذرًا. هذا بالتأكيد مريح أكثر بالنسبة إليَّ، إلا أنه لا يجعلني أتحمل مسؤولية ممارساتي ولا يساعدني في تطوير وعيي العرقي. أطلب من أصدقائي الملونين أن يثقوا بأنني أستطيع تحمل تعليقاتهم على تصرفاتي، ويقع على عاتقي أن أظهر نفسي جديرة بهذه الثقة. على الرغم من أنني أدرك المخاطر التي ينطوي عليها الأمر، فإنني لم أكن لأحظَ بوعيي الحالي لو اختار الأشخاص الملونون الذين عرفتهم حماية مشاعري. نظرًا إلى أن تعليمي لن ينتهي، فبالضرورة أن لا تنتهي الحاجة إلى محاسبتي بالمثل.

عندما يعطيني شخص ملون ملاحظات أعتبرها غير منصفة، فإنني أميل إلى الذهاب إلى شخص ملون آخر لطمأنتي بأنني شخص طيب. هذا البحث عن الطمأنة من الملونين أنفسهم يضغط عليهم ليصطفوا معي من خلال الموافقة على أنني تعرضت لهجوم غير عادل. يخلق التعاطف مع مَن

يشعرون بالضيق دافعًا قويًّا لتهدئتهم، وفي بحثي عن هذه الراحة أستغل هذه الرغبة بوعيٍ أو بغير وعي. لكن لا يليق بنا نحن البيض البحث عن الطمأنينة من ملونين في هذه الحالة، فحاجتي هذه تعمل كما لو كانت ضرب إسفين «فرِّق تسد». علاوة على ذلك، فإن سعيي إلى الحصول على طمأنة يدعم العنصرية من خلال تعزيز فكرة أن الملاحظات كانت هجومًا غير عادل و/أو أن هناك طريقة صحيحة لتوجيه الملاحظات وأن الشخص الملون المعني قد خالف قواعد التفاعل والنقاش. من خلال الشكوى إلى شخص ملون من ظلم الملاحظات التي وجهها شخص ملون آخر (بغض النظر عن الطريقة الدبلوماسية أو غير المباشرة التي أحاول فيها إخفاء شكواي)، فأنا أضغط على شخص ملون للتواطؤ مع عنصريتي.

أطلعني مستشار العدالة ديفون ألكسندر، على ما قد يكون أكثر أشكال الضغط ضررًا على الأشخاص ذوي البشرة الملونة: الضغط للتواطؤ مع الهشاشة البيضاء من خلال التقليل من شأن تجاربهم العرقية لاستيعاب إنكار البيض ومواقفهم الدفاعية. بعبارة أخرى، لا يشاركنا الملونون آلامهم لأننا لا نستطيع التعامل معها. وهذا الشرط يتطلب درجة مجحفة إلى حد بعيد من الزيف والقدرة على التحمل بصمت. في حلقة عرقية مفرغة، تعمل الهشاشة البيضاء على منع الملونين من مواجهة العنصرية من أجل تجنب غضب البيض. في المقابل، فإن في عدم مواجهة البيض بالعنصرية دعمًا للنظام العرقي ودور البيض داخل هذا النظام وموقفهم منه.

# خاتمة

يقوم جوهر النظام الحالي على إعادة إنتاج عدم المساواة العرقية. صُمِّمت مؤسساتنا لإعادة إنتاج عدم المساواة العرقية وهي تفعل ذلك بكفاءة. مدارسنا فعالة بشكل خاص في هذه المهمة. للاستمرار في إعادة إنتاج عدم المساواة العرقية، يحتاج النظام من البيض فقط أن يكونوا لطيفين حقًّا وأن يواصلوا الابتسام في وجه الملونين وأن يكونوا دمثين في علاقاتهم المختلطة، وأن يذهبوا معًا لتناول الغداء من وقت إلى آخر. أنا لا أقول إنه لا ينبغي على المرء أن يكون لطيفًا. ذلك أفضل من أن يكون لئيمًا. لكن اللطف ليس شجاعة. اللطف لن يضع العنصرية على الطاولة ولن يبقيها على الطاولة عندما يريد الجميع إزاحتها. في الواقع، غالبًا ما يُنظر إلى لفت انتباه البيض إلى العنصرية باعتباره تصرفًا ليس لطيفًا، وتلقيه بوصفه فعلًا «ليس لطيفًا» يستفز الهشاشة البيضاء.

مقاطعة العنصرية تتطلب الشجاعة والتصميم. والمقاطعة interruption بحكم تعريفها ليست فعلًا سلبيًّا ولا هو بالمجامل. إذن في إجابة السؤال «إلى أين نذهب من هنا؟» أقترح ضرورة ألّا نعتبر أنفسنا أبدًا قد انتهينا من تربية أنفسنا وتعلّمنا. حتى وإن كانت مواجهة كل تلك العنصرية والشعور المستدخل بالتفوق اللذين تشربناهما مواجهة سريعة وسهلة، فإن عنصريتنا ستتعزّز مرة أخرى بحكم العيش في هذه الثقافة نفسها. منذ سنوات عديدة وأنا مشتبكة مع هذا العمل بصيغ كثيرة، وما زلت أتلقى ملاحظات على تنميطات مستعصية لديَّ وافتراضات فجَّة لم أختبر صحتها. المسألة معقدة، فعملية تطور وعيي العرقي مستمرة طالما أنا على قيد الحياة، ولكنها ضرورية لكي تنسجم قيمي المعلَنة مع أفعالي الحقيقية. كما أنها عملية جبرية وتحوُّلية على مستوًى عميق.

# موارد التعليم المستمر

لا يمكن لهذه القائمة المختصرة أن تنصف عشرات الموارد الممتازة المتاحة لأي شخص يرغب في أخذ زمام المبادرة للبحث عنها؛ المقصود منها أن تكون نقطة بداية.

الكتب والمقالات والمدونات


• ألكسندر، ميشيل. جيم كرو الجديد: سجن جماعي في عصر عمى الألوان. نيويورك: نيو برس، ٢٠١٠.

• أندرسون، كارول. الغضب الأبيض: الحقيقة غير المعلنة للانقسام العرقي. نيويورك: بلومزبري، ٢٠١٦.

• بيوين، جون. رؤية البياض. ببليوغرافيا البودكاست. مركز الأفلام الوثائقية، دراسات، جامعة ديوك، ٢٠١٥.

http://podcast.cdsporch.org/seeingwhite/seeing-white-bibliography

• بونيلا سيلفا، إدواردو. عنصرية دون عنصريين: عنصرية عمى الألوان واستمرار اللامساواة العرقية في أميركا. الطبعة الرابعة ٢٠١٣. منشورات رومان آند ليتلفيلد، نشر لأول مرة عام ٢٠٠٣.

• براون، دي. ادفنوا قلبي في ووندید ني. نيويورك: منشورات أوبن رود ميديا، ٢٠١٢.

• كوتس، تا نهيسي. بين العالم وأنا. نيويورك: شبيجل وغراو، ٢٠١٥.

• كوتس، تا نهيسي. قضية التعويضات. أتلانتيك، يونيو ٢٠١٤.

• دايسون، مايكل إريك. دموع لا يمكننا إيقافها: عظة لأميركا البيضاء. نيويورك: منشورات سانت مارتن، ٢٠١٧.

• فيغين، جو ر. الإطار العرقي الأبيض: قرون من التأطير العنصري والتأطير المضاد. نيويورك: روتليدج، ٢٠١٣.

• غاسكينز، بيرل فويو، ما أنت؟ أصوات الشباب مختلط الأعراق. نيويورك: منشورات هنري هولت آند كو، ١٩٩٩.

• إيرفينغ، ديبي. إيقاظ البيض: وأجد نفسي في قصة العرق. بوسطن: مطبعة إليفانت رووم، ٢٠١٤.

• كامينتز، أنيا. «موارد للمعلمين لاستخدامها في مدينة شارلوتسفيل». الإذاعة الوطنية العامة، ١٤ أغسطس ٢٠١٧.

https://www.npr.org/sections/ed/2017/08/14/543390148/resources-for-educators-to-use-the-wake-of-charlottesville

• كيندي، إبرام. إكس. موسوم من البداية. نيويورك: نيشن بوكس، ٢٠١٦.

• لي، ستايسي. كشف كليشيه «نموذج الأقلية»: الاستماع إلى الشباب الأميركيين الآسيويين. نيويورك: منشورات تيتشرز كوليج، ١٩٩٦.

• لي، ستايسي. الوقوف ضد البياض: العرق والمدرسة والشباب المهاجر. نيويورك: منشورات تيتشرز كوليج، ٢٠٠٥.

• لوين، جيمس. دبليو. أكاذيب أخبرني بها أستاذي: كل شيء خطأ في كتابك للتاريخ الأميركي، نيويورك: نيو برس، ٢٠١٨.

• ميناكيم، ريسما. يدا جدتي: التروما العرقية والطريق إلى إصلاح قلوبنا وأجسادنا. لاس فيجاس: منشورات سنترال ريكافوري، ٢٠١٧.

• ميلز، تشارلز. دبليو. العقد العرقي. إيثاكا، نيويورك: مطبعة جامعة كورنيل، ١٩٩٧.

• مور وإدي وعلي مايكل ومارغريت دبليو بينيك باركس. دليل النساء البيض اللواتي يعلمن الأولاد السود. ثاوزاند أوكس، كاليفورنيا: كوروين، ٢٠١٧.

• موراغا، شيري. أندزالدزا، غلوريا. هذا الجسر يسمّى ظهري: كتابات نساء راديكاليات من ذوات البشرة الملونة. نيويورك: مطبعة جامعة نيويورك، ٢٠١٥.

• موريسون، توني. اللعب في الظلام: البياض والخيال الأدبي. نيويورك: راندوم هاوس، ١٩٩٢.

• أوليو، إيجويوما. تريد التحدث عن العِرق إذن. بيركلي، كاليفورنيا: مطبعة سيل، ٢٠١٨.

• تربية أطفال بوعي عرقي. الصفحة الرئيسية.

http://www.raceconscious.org.

• سينسوي، أوزليم، وديانجلو، روبن. هل الجميع متساوون حقًّا؟ مقدمة للمفاهيم الأساسية في تعليم العدالة الاجتماعية النقدية، الطبعة الثانية. نيويورك: منشورات تيتشرز كوليج، ٢٠١٧.

• شاهين، جاك جي. «العرب السيئون: كيف تشوه هوليوود الشعوب» ضمن سلسلة الإصدارات السنوية للأكاديمية الأميركية للعلوم السياسية

والاجتماعية ٥٨٨، عدد. ١ (٢٠٠٣).

• سينغلتون، غلين. محادثات شجاعة حول العرق: دليل ميداني لتحقيق العدالة في المدارس. الطبعة الثانية. ثاوزاند أوكس، كاليفورنيا: كوروين، ٢٠١٤.

• تاتوم، بيفرلي. لماذا يجلس جميع الأطفال السود معًا في الكافتيريا: وأحاديث أخرى حول العرق، بمناسبة الذكرى العشرين لصدور الكتاب أول مرة. نيويورك: بيسك بوكس. ٢٠١٧.

• فان أوسدال، ديبرا. فيغين، جو آر. «أول ع: كيف يتعلم الأطفال عِرق وعنصرية». لانهام، رومان آند ليتلفيلد، ٢٠٠١.

• وايز، تيم. أبيض مثلي: تأملات في العِرق من ابن له امتياز. بيركلي، كاليفورنيا: منشورات سوفت سكال، كاونتربوينت. ٢٠١٠.

قائمة أفلام

-Chisholm ′72: Unbought and Unbossed, 2004
https://www.pbs.org/pov/films/chisholm/

-A Class Divided, 1985

https://www.pbs.org/wgbh/frontline/documentary/class-divided/

-The Color of Fear, 1994

http://www.stirfryseminars.com/store/products/cof_bundle.php.

-Cracking the Codes: The System of Racial Inequity2013 ,

https://world-trust.org.

-Eyes on the Prize: America’s Civil Rights Years.1965–1954 Season 1, 2009

https://shop.pbs.org/eyes-ontheprize-america-s-civil-rights-years-1954-1965-season-1-dvd/product/EYES600

-In Whose Honor? 1997

http://www.pbs.org/pov/inwhosehonor.

-Mirrors of Privilege: Making Whiteness Visible.2007 ,

https://world-trust.org.

-Race: The Power of an Illusion, 2003.

http://www.pbs.org/race/000_General/000_00-Home.htm.

-Reel Bad Arabs, 2006.

http://freedocumentaries.org/documentary/reel-bad-arabs - .The Revisionaries, 2012.

http://www.pbs.org/independentlens/films/revisionaries.

13 -th, Netflix, 2016.

https://www.netflix.com/title/

# ملاحظات

مقدمة: لا يمكننا الوصول إلى هناك من هنا

1 - أنجيلا أونواتشي ويلينغ، وفقًا لقلوبنا: راينلاندر ضد راينلاندر وقانون الأسرة متعددة الأعراق. منشورات جامعة يال. ٢٠١٣.

2 - لاري أدلمان، العرق: قوة الوهم، فيديو (سان فرانسيسكو: كاليفورنيا نيوزريل، ٢٠٠٣)؛ هيذر بيث جونسون وتوماس إم شابيرو، «الأحياء الجيدة والمدارس الجيدة: العِرق و«الخيارات الجيدة» للعائلات البيضاء»، من كتاب «اطمس بالأبيض: الأهمية المستمرّة للعنصرية»، تحرير. أشلي دبليو دواين وإدواردو بونيلا - سيلفا (نيويورك: روتليدج، ٢٠٠٣)، ص: ١٧٣-٨٧.

الفصل الثاني: العنصرية والتفوق الأبيض

1 - لويجي لوكا كافالي سفورزا، باولو مينوزي، وألبرتو بياتزا، تاريخ وجغرافيا الجينات البشرية. مطبعة جامعة برينستون، ١٩٩٤.

2 - ريتشارد إس. كوبر، جاي إس كوفمان، وريك وارد، «العِرق والجينومات»، مجلة «نيو إنجلاند جورنال أوف ميديسين» ٣٤٨، رقم. ١٢ (٢٠٠٣): ص: ١١٦٦-١١٧٠. 3 - مناكيم، ريسما، يدا جدتي: التروما العرقية والطريق إلى إصلاح قلوبنا وأجسادنا (لاس فيغاس: مطبعة سنترال ريكافاري، ٢٠١٧). 4 - توماس جيفرسون، ملاحظات عن ولاية فيرجينيا؛ مع المستندات ذات الصلة، تحرير. ديفيد والدستريتشر (بوسطن: بيدفورد/سانت مارتن، ٢٠٠٢). 5 - نانسي ليز ستيبان وساندر ل. جيلمان، «الاستحواذ على مصطلحات العلم: رفض العنصرية العلمية»، ضمن كتاب «الاقتصاد العرقي للعلوم: نحو مستقبل ديمقراطي»، تحرير. ساندرا هاردينج (بلومنجتون: مطبعة جامعة إنديانا، ١٩٩٣). 6 - تا-نيهيسي كوتس، بين العالم وبيني (نيويورك: شبيجل وجرو، ٢٠١٥). 7 - إبرام. إكس. كيندي، موصوم من الأول (نيويورك: نيشن بوكس، ٢٠١٦). 8 - توماس.إف جوسيه، «تاريخ فكرة» (نيويورك، مطبوعات جامعة أكسفورد، ١٩٩٧)؛ نويل إغناتيف، «كيف أصبح الأيرلنديون بيضًا» (نيويورك: روتليدج، ١٩٩٥)؛ ماثيو فراي جاكوبسون، «بياض من لون مختلف: المهاجرون الأوروبيون وكيمياء العرق» (كامبريدج، ماساتشوستس: مطبعة جامعة هارفارد، ١٩٩٩). 9 - جون تيرانيان، «تأدية البياض»، مجلة ييل لو جورنال ١٠٩، رقم. ٤ (٢٠٠٠): ص: ٨١٧-٤٨. 10 - إغناتيف، «كيف أصبح الأيرلنديون بيضًا. جاكوبسون، «بياض من لون مختلف»؛ ديفيد رودجر، «أجور البياض: العِرق وصناعة الطبقة العاملة الأميركية»، (نيويورك: فيرسو، ٢٠٠٣). 11 - رودجر، ديفيد، «أجور البياض «،

مرجع سابق. 12 - للحصول على تحليل ذكي لهذه «الصفقة» بين البيض من الطبقة العاملة والبيض من الطبقة المالكة، انظر ليليان سميث، قتلة الأحلام (نيويورك: دبليو دبليو نورتون، ١٩٤٩). 13 - جي. كيهولاني كوانوي، «بنية وليس حدثًا: الكولونيالية الاستيطانية والأصلانية المستمرَّة» الجانبي: مجلة جمعية الدراسات الثقافية ٥، رقم.١ (٢٠١٦). https://doi.org/ ١٠.٢٥١٥٨/L.٥.١.٧ 14 - ستيوارت هول، «التمثيل: التمثيل الثقافي وممارسات الدلالة»، (لندن: سيج، ١٩٩٧). 15 - للحصول على حساب أكثر تفصيلًا لهذه الوثائق، انظر روبن ديانجلو، ماذا يعني أن تكون أبيض؟ تطوير محو الأمية العرقية البيضاء (نيويورك: بيتر لانج، ٢٠١٦). 16 - مارلين فراي، «سياسات الواقع: مقالات في النظرية النسوية» (ترومانسبورغ، نيويورك: مطبعة كروسينغ، ١٩٨٣). 17 - ديفيد ت. ويلمان، «بورتريهات من العنصرية البيضاء» (كامبريدج، المملكة المتحدة: مطبعة جامعة كامبريدج، ١٩٧٧). 18 - بيجي مكاينتوش، «امتياز البيض وامتياز الذكور: رواية شخصية لما حدث ورأيته من المراسلات خلال العمل في دراسات المرأة»، في كتاب «العِرق والطبقة والجنس: مختارات»، تحرير. أندرسون وبي. هيل، الطبعة التاسعة. (بلمونت، كاليفورنيا: وادزورث، ٢٠١٢)، ص: ٩٤-١٠٥. 19 - شيريل آي هاريس، «البياض كممتلكات»، هارفارد لو ريفيو ١٠٦، رقم. ٨ (١٩٩٣): ص: ١٧٤٤. 20 - ليبسيتز، جورج، «الاستثمار الاستحواذي في البياض: كيف يستفيد البيض من سياسات الهوية» (فيلادلفيا: مطبعة جامعة تمبل، ٢٠٠٦)،١. 21 - فرانكنبيرج، روث، «البياض المحلي، موضعة البياض»، في كتاب «إزاحة البياض: مقالات في النقد الاجتماعي والثقافي»، تحرير. روث فرانكنبرج (درم، نورث كارولاينا: مطبعة جامعة ديوك، ١٩٩٧)، ١. 22 - تشارلز دبليو. ميلز، «العقد العرقي» (إيثاكا، نيويورك: مطبعة جامعة كورنيل، ١٩٩٧)، ص: ١٢٢. 23 - المرجع السابق، ص: ١. 24 - تا-نهيسي كوتس، «قضية التعويضات»، أتلانتيك، ٢٠١٤. 25 - ميلز، «العقد العرقي»، ص: ٤٠. 26 - هايون بارك، جوش كيلر، وجوش ويليامز، «وجوه القوة الأميركية، في بياض مرشحي الأوسكار»، نيويورك تايمز، ٢٦ فبراير ٢٠١٦. https://www.nytimes.com/interactive/2016/02/26/us/race-of-americanpower لغة البرمجة؛ «شباك التذاكر على مدار الوقت: إجمالي الإيرادات في جميع أنحاء العالم»، ٢٠١٧ http://www.boxofficemojo.com/alltime/world، وزارة التعليم الأميركية، مكتب التخطيط والتقييم وتطوير السياسات، خدمة دراسات السياسات والبرامج، التنوع العرقي في القوى العاملة التربوية. التنوع (واشنطن العاصمة: يوليو ٢٠١٦) https://www2.ed.gov/rschstat/eval/highered/racialdiversity/%20stat e-racial-diversity-workforce.pdf؛ «عدد أعضاء هيئة التدريس المتفرغين

حسب الجنس والرتبة والمجموعة العرقية والإثنية، خريف ٢٠٠٧،» سجل التعليم العالي (٢٤ أغسطس ٢٠٠٩) https://www.chronicle.com/article/number-of-full-time-faculty-members-by-sex-rank-and-racial-and-ethnic-group-fall-2007/ 27 - هاريسون جاكوبس، «النازيون الجدد السابقون: إليك لماذا لا يوجد فرق حقيقي بين أقصى اليمين، والقومية البيضاء، والتفوق الأبيض، بيزنس إنسايدر، ٢٣ أغسطس ٢٠١٧.

https://www.businessinsider.com/why-no-difference-alt-right-whitenationalism-%20white-supremacy-neo-nazi-charlottesville-2017-8

1 - ديريك بلاك، مقابلة مع القومي الأبيض السابق ديريك بلاك، «مقابلة مع مايكل باربارو، نيويورك تايمز، ٢٢ أغسطس ٢٠١٧. 2 - لي أتواتر، مقابلة مع ألكسندر ب. لاميس، ٨ يوليو ١٩٨١، مقتبس في ألكسندر ب. لاميس، «جنوب الحزبيْن» (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٨٤). تم وصف الشخص الذي تمت مقابلته في الأصل على أنه شخص مجهول من الداخل؛ لم يتم الكشف عن أتواتر باعتباره الشخص الذي تمت مقابلته حتى إصدار عام ١٩٩٠ من الكتاب. تم اقتباس هذه المقابلة أيضًا في بوب هربرت «مستحيل، مثير للسخرية، مقرف»، نيويورك تايمز، ٦ أكتوبر ٢٠٠٥. 3 - جو آر فيغين، «الإطار العرقي الأبيض: قرون من التأطير العرقي والتأطير المضاد» (نيويورك: روتليدج، ٢٠١٣). 4 - بيفرلي دانيال تاتوم، «كسر الصمت» في كتاب «امتياز البيض: قراءات أساسية على الجانب الآخر من العنصرية»، تحرير بولا. إس. روتنبرغ، الطبعة الثالثة. (٢٠٠١؛ نيويورك: وورث للنشر، ٢٠٠٨، ص:١٤٧-٥٢.

الفصل الثالث: العنصرية بعد حركة الحقوق المدنية

1 - مارتن باركر، «العنصرية الجديدة: المحافظون وأيديولوجية القبيلة» (لندن: جانكشن بوكس، ١٩٨١). 2 - إدواردو بونيلا سيلفا، عنصرية بلا عنصريين: عنصرية عمى الألوان واستمرار اللامساواة العرقية في أميركا، الطبعة الرابعة. (٢٠٠٣؛ لانهام، رومان وليلتلفيد، ٢٠١٣). 3 - المرجع نفسه. 4 - جون إف دوفيديو، وبيتر جليك، ولوري إيه رودمان، «طبيعة التعصب: خمسون عامًا بعد ألبورت» (مالدن، ماساتشوستس: دار نشر بلاكويل، ٢٠٠٥) أنتوني ج. غرينوالد ولیندا هاميلتون كريجر، «التحيز الضمني: الأسس العلمية»، مجلة «قانون كاليفورنيا» ٩٤، رقم.٤ (٢٠٠٦)، ص: ٩٤٥-٦٧. 5 - ماريان برتراند وسينديل مولايناثان، «هل إميلي وجريج أكثر قابلية للتوظيف من لاكيشا وجمال؟ تجربة ميدانية حول التمييز في سوق العمل، مجلة

«الاقتصاد الأميركي»، رقم. ٤ (سبتمبر ٢٠٠٤) ص: ٩٩١-١٠١٣. 6 - جوردون هودسون، وجون دوفيديو، وصمويل إل جارتنر، «الصيغة المراوغة للعنصرية»، علم نفس التعصب والتمييز (العِرق والإثنية في علم النفس)١ (٢٠٠٤): ص: ١١٩-٣٦. 7 - لينكولن كويليان وديفا بيجر، «جيران سود جريمة أعلى؟ دور القوالب النمطية العرقية في تقييمات جرائم الجوار»، المجلة الأميركية لعلم الاجتماع، ١٠٧، رقم. ٣ (نوفمبر ٢٠٠١) ص: ٧١٧-٧٦٧. 8 - توني موريسون، «على ظهر السود»، ٢ ديسمبر ١٩٩٣.

https://content.time.com/time/subscriber/article /0,33 009, 979736,00.html

1 - روبن ديانجلو، «عامل الرسم: سردية الأحياء السيئة كعنف استطرادي لإهانة المجتمعات الملونة: استكشاف حقائق العنف القائم على العرق، تحرير. كينيث فاشينج-فارنر ونيكولاس دانيال هارتليب (نيويورك: رومان وليتلفيلد، ٢٠١٦). 2 - جو آر فيغين، «العنصرية الممنهجة: نظرية الاضطهاد» (نيويورك: تايلور وفرانسيس، ٢٠٠٦) كريستين مايرز، «إعادة إنتاج التفوق الأبيض من خلال الخطاب العرضي»، من كتاب «اطمس بالأبيض»، تحرير دواين وبونيلا - سيلفا، ص:٤٤-١٢٩؛ جونسون وشابيرو، «الأحياء الجيدة، المدارس الجيدة»، ص:١٧٣-٨٨؛ روبن ديانجلو وأوزليم سنسوي «لقد هوجمنا: بيض يصوّرون مناقشة العِرق كميدان للعنف»، مجلة «العِرق الإثنية والتعليم»، ١٧، رقم. ١ (٢٠١٤): ١٠٣–٢٨. 3 - كينيث ب. كلارك ومامي ب. كلارك، «العوامل العاطفية في التعريف والتفضيل العرقي لدى الأطفال الزنوج»، مجلة «تعليم الزنوج»، ١٩، رقم. ٣ (١٩٥٠) ص:٣٤١-٥٠؛ لويز ديرمان سباركس، وباتريشيا جي رامسي، وجولي أولسن إدواردز، «ماذا لو كان كل الأطفال بيضًا؟ التعليم المضاد للتحيز متعدد الثقافات مع الأطفال الصغار والعائلات (نيويورك: مطبعة تيتشرز كوليج، ٢٠٠٦). 4 - جمال بوي، «لماذا لا يفهم جيل الألفية العنصرية؟»، سلايت، ١٦ مايو ٢٠١٤،

http://www.slate.com/articles/news_and_politics/politics/2014/05/millennials_racism_and_mtv_poll_young_people_are_confused_about_bias_prejudice.html.

1 - ليزلي إتش بيكا وجو آر فيغين، «العنصرية ذات الوجهين: البيض في الكواليس والواجهة الأمامية» (نيويورك: تايلور وفرانسيس، ٢٠٠٧). 2 - المرجع نفسه.

الفصل الرابع: كيف يشكل العِرق حياة البيض؟

1 - كارول شرودر وروبن ديانجلو، «تناول البياض في تعليم التمريض: مشروع المناخ السوسيوسياسي في كلية التمريض بجامعة واشنطن»، مجلة

«التقدم في علوم التمريض» ٣٣، رقم. ٣ (٢٠١٠) ص: ٢٤٤-٥٥. 2 - ميليسا يانغ، «أنواع درجات الألوان»، ١٣ أيلول (سبتمبر) ٢٠١٧، سي إن إن.

http://www.cnn.com/2017/09/13/entertainment/rihanna-fenty-beautyfoundation/index.html

1 - مكينتوش، «الامتياز الأبيض وامتياز الذكور». 2 - باتريك روسال، «إلى السيدة التي ظنت أنني الخادم في حفل توزيع جوائز الكتاب الوطني»، مركز الأدب، ١ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠١٧.

http://lithub.com/to-the-lady-who-mistook-me-for-the-help-at-thenational-book-awards

1 - مكينتوش، «الامتياز الأبيض وامتياز الذكور». 2 - المرجع السابق. 3 - أغلق المجمع في عام ٢٠٠١ بعد إفلاسه بسبب دعوى من مركز قانون الفقر الجنوبي. 4 - مكينتوش، «الامتياز الأبيض وامتياز الذكور». 5 - شيلا إم. إلدريد، «هل هذا هو الوجه المثالي؟»، ديسكفري نيوز، ٢٦ إبريل ٢٠١٢. 6 - كريستين سليتر، «التربية المتعددة الثقافات كنشاط اجتماعي» (ألباني، نيويورك: مطبعة جامعة ولاية نيويورك،١٩٩٦) ص: ١٤٩. 7 - ما لم يُذكر خلاف ذلك، تأتي المعلومات الواردة في هذه القائمة من أوكسفام، «اقتصاد ل ٩٩٪»، ورقة إحاطة، يناير ٢٠١٧.

https://www.oxfam.org/en/research/economy-99

1 - مؤشر بلومبيرغ للملياردیرات، ٢٠١٧.

https://www.bloomberg.com/billionaires

1 - البنك الدولي، تقرير الترتيب السنوي للناتج المحلي الإجمالي، ٢٠١٧

http://data.worldbank.org/data-catalog/GDP-ranking-table

1 - مؤشر بلومبيرغ للملياردیرات. 2 - ماثيو إف ديلمونت، لماذا فشل النقل بالحافلات: العِرق والإعلام والمقاومة الوطنية لإلغاء الفصل العرقي في المدارس (أوكلاند: مطبعة جامعة كاليفورنيا، ٢٠١٦). 3 - جونسون وشابيرو، «أحياء جيدة، مدارس جيدة». 4 - جورج إس. بريدجز وسارة ستين، «التباينات العرقية في التقييمات الرسمية للمجرمين الأحداث: القوالب التنميطية كآليات وسيطة»، مجلة «علم الاجتماع الأميركي»، ٦٣، رقم. ٤ (١٩٩٨) ص: ٥٥٤-٧٠. 5 - كيلي إم هوفمان، «التحيز العرقي في تقييم الألم وتوصيات العلاج، والمعتقدات الكاذبة حول الاختلافات البيولوجية بين السود والبيض»، سجلات الأكاديمية الوطنية للعلوم ١١٣، رقم. ١٦ (٢٠١٦) ص: ٤٢٩٦-٤٣٠١. 6 - زيوس ليوناردو، «لون التفوق: ما وراء خطاب» الامتياز الأبيض»، مجلة

«الفلسفة التربوية والنظرية» ٣٦، رقم. ٢ (٢٠٠٤) ص: ١٣٧-٥٢، تم نشره على الإنترنت في ٩ يناير ٢٠١٣. 7 - جيمس بالدوين، ردا على بول وايس، عرض ديك كافيت، ١٩٦٥. يتوفر الفيديو على:

https://www.youtube.com/watch?v=_fZQQ7o16yQ

1 - كيسي ج.داوكينز، «دليل حديث على الأسباب المستمرة للفصل بين السود والبيض في الأحياء السكنية»، مجلة الشؤون الحضرية ٢٦، رقم. ٣ (٢٠٠٤) ص: ٣٧٩-٤٠٠؛ جونسون وشابيرو، «أحياء جيدة، مدارس جيدة». 2 - إيمي ستيوارت ويلز، مقتبس من نيكول هانا جونز،»اختيار مدرسة لابنتي في مدينة فصل عرقي»، مجلة نيويورك تايمز، ٩ يونيو ٢٠١٦.

https://www.nytimes.com/2016/06/12/magazine/choo sing-a-schoolfor-my-daughter-in-a-segregated-city.html

الفصل الخامس: ثنائية جيد/سيئ

1 - تريبانييه، باربرا، «العنصرية الصامتة: كيف يديم البيض الطيبون التقسيم العرقي» (نيويورك: بارادايم ٢٠١٠). 2 - أومويل أكينتوند، «العنصرية البيضاء، التفوق الأبيض، الامتياز الأبيض، والبناء الاجتماعي للعرق: الانتقال من التعددية الثقافية الحداثية إلى ما بعد الحداثة»، «التعليم متعدد الثقافات» ٧، رقم. ٢ (١٩٩٩) ص: ١. 3 - ديرمان سباركس، رامزي، وإدواردز، ماذا لو كان كل الأطفال بيضًا؟؛ فان أوسدال، ديبرا. فيغين، جو آر. «أول حرف ع: كيف يتعلم الأطفال عِرق وعنصرية». لانهام، رومان آند ليتلفيلد،٢٠٠١. 4 - ماريا بنديكتا مونتيرو، ودليلا إكزافييه دي فرانسا، وريكاردو رودريغيز، «تطوير التعصب بين المجموعات المختلطة في الطفولة: كيف يمكن للقواعد الاجتماعية تشكيل السلوكيات العرقية للأطفال»، «المجلة الدولية لعلم النفس» ٤٤، رقم. ١ (٢٠٠٩) ص: ٢٩-٣٩. 5 - فان أوسدال، ديبرا. فيغين، جو آر. «أول حرف ع: كيف يتعلم الأطفال عِرق وعنصرية».

الفصل السادس: معاداة السواد

1 - فرانز فانون، «بشرة سوداء، أقنعة بيضاء» (نيويورك: جروف برس، ١٩٥٢)؛ توني موريسون، «اللعب في الظلام: البياض والخيال الأدبي» (نيويورك: راندوم هاوس، ١٩٩٢). 2 - ميشيل ألكسندر، «جيم كراو الجديد: سجن جماعي في عصر عمى الألوان» (نيويورك: نيو برس، ٢٠١٠) برتراند ومولیناثان، «هل إميلي وجريج أكثر قابلية للتوظيف من لاكيشا وجمال؟» فيليب أوريوبولوس وديان ديشيف، «لماذا يفضل بعض أصحاب العمل مقابلة ماثيو ولكن ليس سمير؟ أدلة جديدة من تورنتو ومونتريال وفانكوفر»، ورقة

عمل رقم ٩٥، شبكة الباحثين في سوق العمل والمهارات الكندية، فبراير ٢٠١٢.

https://papers.ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract_id=201 8047

1 - سوزان إي ريد، مؤشر التنوع: الحقيقة المزعجة حول التنوع في الشركات الأميركية... وما الذي يمكن فعله حيال ذلك (نيويورك: أماكوم، ٢٠١١). 2 - ألكسندر، «جيم كرو الجديد»؛ تشونسي د. سميث، «تفكيك خط الأنابيب من المدارس إلى السجون: تقييم قضايا الحماية العادلة من خلال إطار عمل عنصري هيكلي»، مجلة فوردهام للقانون الحضري، ٣٦ (٢٠٠٩) ص: ١٠٠٩؛ باميلا فينينج وجنيفر روز، «التمثيل المفرط للطلاب الأميركيين الأفارقة في التأديب الإقصائي: دور سياسة المدرسة»، مجلة «التعليم الحضري» ٤٢، رقم. ٦ (٢٠٠٧) ص: ٥٣٦-٥٩؛ شون نيكولسون كروتي، وزاكاري بيرشمير، وديفيد فالنتين، «استكشاف تأثير التأديب المدرسي على التفاوت العرقي في نظام قضاء الأحداث»، «العلوم الاجتماعية الفصلية» ٩٠، رقم. ٤ (٢٠٠٩) ص: ١٠٠٣-١٨؛ ر. باتريك سولومون وهوارد بالمر، «الأولاد السود عبر خط أنبوب المدرسة - السجن: عندما يتحالف التنميط العرقي مع صفر التسامح»، في التضمين في البيئات التعليمية الحضرية: معالجة قضايا التنوع والإنصاف والعدالة الاجتماعية، تحرير دينيس إي أرمسترونج وبريندا ج. ماكماهون (شارلوت، نورث كارولاينا: إنفورميشن إيج، ٢٠٠٦)، ص: ١٩١-٢١٢. 3 - لمعلومات أكثر حول نسبة السبعة في المئة والنزوح الأبيض انظر بونيلا سيلفا، «عنصرية بلا عنصريين». لتراجع الطلب على المساكن راجع لينكولن كويليان، «لماذا يستمر الفصل العرقي بين السود والبيض في الأحياء السكنية؟ دليل على ثلاث نظريات من بيانات الهجرة»، «أبحاث العلوم الاجتماعية» ٣١، رقم. ٢ (٢٠٠٢) ص: ١٩٧-٢٢٩. 4 - كوتس، «قضية التعويضات». 5 - ميناكم، «يدا جدتي». 6 - تا-نيهيسي كوتس، «أول رئيس أبيض: أساس رئاسة دونالد ترامب هو نفي تركة باراك أوباما»، أتلانتيك، أكتوبر ٢٠١٧.

https://www.theatlantic.com/magazine/archive/2017/10/the-first-whitepresident-ta-nehisi-coates/537909

1 - شيرين رازاك، «النظر إلى البيض في عيونهم: الجنس والعِرق والثقافة في قاعات المحاكم والفصول الدراسية» (تورنتو: مطبعة جامعة تورنتو، ١٩٩٨). 2 - كارول أندرسون، «السخط الأبيض: الحقيقة غير المعلنة للانقسام العرقي» (نيويورك: بلومزبري، ٢٠١٦). 3 - تم تعديل الأيديولوجيات في هذه القائمة من قائمة في أوزليم سينسوي وروبن ديانجلو، «هل الجميع

متساوون حقًّا؟ مقدمة للمفاهيم الأساسية في تعليم العدالة الاجتماعية النقدية»، الطبعة الثانية. (نيويورك: مطبعة تيتشرز كوليج، ٢٠١٧)، ص: ٢٠٩.

الفصل السابع: محرِّضات عرقية للبيض

1 - ميشيل فاين، «الشهادة على البياض» في «قراءات عن العِرق والسلطة والمجتمع»، تحرير ميشيل فاين ولويس ويس وليندا باول برويت وأبريل بيرنز (نيويورك: روتليدج، ١٩٩٧)، ص:٥٧. 2 - بيير بورديو، «مجال الإنتاج الثقافي: مقالات عن الفن والأدب»، محرر. راندال جونسون (نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا، ١٩٩٣). 3 - أطلق بورديو على هذه القواعد الخاصة بلعبة كل ميدان اسم «doxa». 4 - بيير بورديو، «التمييز: نقد اجتماعي لحكم الذوق» (كامبريدج، ماجستير: مطبعة جامعة هارفارد، ١٩٨٤)، ص: ١٧٠. 5 - المرجع نفسه.

الفصل الثامن: النتيجة: هشاشة بيضاء

1 - دون غونيا، «أغلب الأميركيين البيض يعتقدون أن البيض يواجهون التمييز»، الإذاعة الوطنية العامة، ٢٤ أكتوبر ٢٠١٧.

https://www.npr.org/2017/10/24/559604836/majority-of-whiteamericans-think-theyre-discriminated-against

1 - كينيث ب. كلارك، «التحامل وطفلك» (بوسطن: مطبعة بيكون، ١٩٦٣) «ماذا لو كان كل الأطفال بيضًا؟». 2 - ديبيان مارتي، «البلاغة البيضاء المناهضة للعنصرية كدفاع: الجرح الخفي ل ويندل بيري»، «في البياض: تواصل الهوية الاجتماعية»، تحرير. توماس ناكاياما وجوديث مارتن (ثاوزاند أوكس، كاليفورنيا: ١٩٩٩)، ص: ٥١. 3 - المرجع نفسه؛ تي. إيه. فان ديك، «الخطاب وإنكار العنصرية»، مجلة «الخطاب والمجتمع» ٣، رقم. ١ (١٩٩٢): ٨٧-١١٨. 4 - ديانجيلو وسينسوي. لقد هوجمنا: التصوير الأبيض للمناقشات العرقية على أنها ساحات للعنف، نشر في مجلة: العنف والإثنية والتعليم، أيار ٢٠١٢.

https://www.tandfonline.com/doi/abs/10.1080/13613324.2012.674023

1 - موريسون، «اللعب في الظلام». 2 - بونيلا سيلفا، «عنصرية بلا عنصريين»، ص: ٦٨. 3 - ريتش فود، «امتياز إلغاء التمركز في تعليم الخدمة الاجتماعية: لمن الوظيفة على أي حال؟»، مجلة «العِرق والجنس والطبقة»، رقم ٤ (٢٠٠١) ص: ١٣٩-٦٠.

الفصل الحادي عشر: دموع النساء البيض

1 - راجع، على سبيل المثال، ستايسي باتون، «النساء البيض، من فضلك لا تتوقعي مني أن أمسح دموعك»، ١٥ كانون الأول (ديسمبر) ٢٠١٤

http://www.damemagazine.com/2014/12/15/white-wom en-pleasedont-expect-me-wipe-away-your-tears.

1 - المرجع نفسه.

الفصل الثاني عشر: إلى أين نذهب من هنا؟

1 - لورد، «استعمالات الغضب».

# المؤلفة

روبن ديانجلو أكاديمية ومعلمة ومؤلفة تعمل في مجالات تحليل الخطاب النقدي ودراسات البياض. عملت سابقًا كأستاذة دائمة في التعليم متعدد الثقافات في جامعة ولاية ويستفيلد ومحاضرة في جامعة واشنطن، حيث حصلت مرتين على جائزة اختيار الطالب لمعلمة العام من كلية الشؤون الاجتماعية.

عملت ديانجلو مستشارة ومدربة لأكثر من عشرين عامًا في قضايا العدالة العرقية والاجتماعية. لديها العديد من المنشورات والكتب، بما في ذلك «ماذا يعني أن تكون أبيض؟ تطوير محو الأمية العرقية البيضاء».

أثرت مقالتها الأصلية، التي كانت أساس هذا الكتاب، في الحوار الوطني حول العِرق وتم الاستشهاد بها في نيويورك تايمز، وكولورلاينز، وصالون، وأتلانتيك، والإذاعة الوطنية العامة.

للمزيد من الكتب النصية الجديدة، اضغط على الرابط الآن وانضم إلى القناة:

https://t.me/xepub

القناة الاحتياطية:

https://t.me/xepub1

# الملاحظات

[1←]

 صاغ الكاتب الماركسي والناقد الموسيقي الأميركي الإفريقي أميري بركة (1934-2014) هذا المصطلح بناء على نقده تاريخ الموسيقى الأميركية السوداء، وتناول فيه موقع السود، أي موقع الاغتراب والاستلاب والمقاومة المتجذر في تحولات أميركا السوداء.

[←2]

 نقل مصطلح white supremacy إلى العربية بصور عدَّة، منها: السيادة البيضاء، سيادة البيض، تفوق البيض، التفوق الأبيض.

[←3]

 نشر الشاعر الأميركي الإفريقي لانغستون هيوز مجموعة قصصية بعنوان «طرق الناس البيض» The Ways of White Folks، عام 1934، وتتكون من 14 قصة قصيرة تركز في العلاقات بين الأعراق في الولايات المتحدة. مع حكايات عن مقاومة السود والعنف ومظاهر العبودية والعنصرية والطبقية. تعد المجموعة اليوم مثلها مثل كتب أخرى للانغستون، مرجعًا أدبيًّا مهمًّا لفهم سياسات العِرق والعنصرية.

[←4]

 قانون الحقوق المدنية الفيدرالية الأميركي، الذي تم إقراره كجزء من تعديلات التعليم لعام 1972. ويحظر التمييز على أساس الجنس في أي مدرسة أو أي برنامج تعليمي يتلقى تمويلًا من الحكومة الفيدرالية.

[←5]

 يعني بالضبط من تتوافق هويته الجندرية مع جنسه لدى الولادة. ويستخدم كمصطلح للتعبير عن نقيض العبور الجنسي.

[←6]

 سيلاحظ القارئ عبر الكتاب وجود تعبيرين، وهما: «التوتر العرقي» racial stress، وracial tension، و«الانزعاج العرقي» racial discomfort، ولم أعدّ أي منها مصطلحًا بحد ذاته بل تعابير للدلالة على حالة الانزعاج الذي تتفاوت درجاته من الامتعاض وعدم الراحة وصولًا إلى التوتر عند مواجهة البيض بامتيازاتهم العرقية.

[←7]

 الاستدخال internalization (يطلق عليه في علم النفس التقمص والاستبطان) في علم الاجتماع هو دمج المواقف والقيم والمعايير وآراء الآخرين في هوية الفرد أو إحساسه بذاته وتشربها بحيث تصبح جزءًا من الهوية. ومن خلال هذه العملية يستدخل الطفل قيم الأبوين وأخلاق المجتمع الذي تجري تنشئته فيه. كثيرا ما تستخدم المؤلفة هذا المفهوم عند وصف مشاعر البيض بالاستحقاق والتفوق لمجرد أنهم بيض.

[←8]

 وصف كتاب Stamped from the Beginning بأنه «نعي لأسطورة أميركا ما بعد العنصرية»، وهو وهم ازدهر لفترة وجيزة خلال الأشهر الأولى من ولاية باراك أوباما الأولى. كتب كندي العمل خلال ولاية أوباما الثانية، وفيه يضع تلك اللحظة في سياق تاريخي واسع، حيث يغطي الكتاب خمسة قرون من الفكر العنصري، ويعيد قراءة الظلم والعنف العنصري الممنهج في أميركا المعاصرة. عنوان الكتاب مقتبس من خطاب ألقاه جيفرسون أمام الكونجرس عام 1860، قال فيه إن دونية السود لا مجال للشك فيها، وأنهم موسومون بها من البداية، وأنها من طبيعتهم البيولوجية الأصلية.

[←9]

 الفرق بين عمليتي استيعاب Assimilation المهاجرين واندماج Integration المهاجرين، أن الاستيعاب يشير إلى التماهي مع الثقافة المضيفة والانفصال التام عن القديمة، بينما الاندماج يعني الانخراط في الثقافة المضيفة والاحتفاظ بالثقافة الأصلية في آن.

[←10]

 كتبت هاريس مقالًا أكاديميًّا بهذا العنوان عام 1993، كان له تأثير كبير في دراسات العرق، حيث افترضت أن البياض أكثر من مجرد هوية عرقية في الولايات المتحدة. إنه ملكية فعلية يعترف القانون بقيمتها ويحميها. واستشهدت هاريس بمقالة لتشارلز. إيه رايكنشر عام 1964 بعنوان «الملكية الجديدة» لفت فيها إلى مجموعة كاملة من الأصول غير الملموسة، وهذه الملكيات ليست حقًّا طبيعيًّا لكنها بنى متأثرة بعلاقات القوة. عدَّت هاريس البياض إحدى هذه الملكيات قائلة إن حقيقة أن البياض ليس كيانًا ماديًّا لا ينفي عنه صفة الملكية وامتيازاتها. بعبارة أخرى، البياض هو خاصية تحمل قيمة وتنتج منها قيمة مادية وغير مادية. والقانون أصبح يجسد الشرعية ويضفيها على الفوائد التي تعود على المواطنين لمجرد أنهم من البيض.

[←11]

 في عام 2017، ردد اليمين المتطرف شعار «الدم والأرض»، وعدَّ وقتها من أكثر الهتافات التي سُمعت في شارلوتسفيل بفرجينيا إثارة للقلق، فهو مقتبس من الشعار النازي «Blut und Boden»، وضعت هذه العبارة في الأصل كشعار للقوميين الألمان في القرن التاسع عشر وأشاعها المنظر النازي ريتشارد والتر داري، وتستدعي الهوية الوطنية مع الهوية القومية على أساس العنصرية ومعاداة السامية. أصبح الشعار عنصرًا رئيسيًّا في برنامج أدولف هتلر الذي سعى إلى توسيع الأراضي التي احتلها الألمان.

[←12]

 أهدى ميلز كتابه هذا «للسود، والحمر، والبُنيين، والصفر الذين قاوموا العقد العرقي والمنشقين البيض وخونة العِرق الذين رفضوه».

[←13]

 رأى ميلز أن الشخص الناقص هو كيان يبدو (من منظور من يصنفه بالطبع) إنسانًا في بعض النواحي ولكن ليس في جوانب أخرى. إنه إنسان، على الرغم من كونه بالغًا، لكنه ليس شخصًا كاملًا أي معترفًا به اجتماعيًّا. وأن هذا الكيان جزء مما يشكِّل الأيديولوجيا الضمنية للتفوق الأبيض. يقترح ميلز أن من الأهمية بمكان بالنسبة إلى من يقوم بأعمال مناهضة العنصرية أن يدرك هذا المفهوم ويعارضه بما يطلق عليه «سياسات التشخُّص» politics of personhood، وهي نهج فلسفي وسياسي يعارض الشخصية الناقصة التي يجري تنزيل الملونين إليها في النظام العالمي ويدعو إلى إعادة التفكير في تاريخ وثقافة ونظرية المعرفة لشعوب العالم الثالث والملونين.

[←14]

 يعد هذا المقال الصحافي أحد أهم المقالات التي كتبت في العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين، استغرق كوتس عامين في العمل فيه ونشره عام ٢٠١٤، تناول فيه قضايا تاريخية للتمييز في السكن ضد السود مطالبًا بتعويضات كتلك التي دفعتها ألمانيا لضحايا الهولوكوست، وضع المقال مؤلفه في مصافِّ أهم الكتّاب الصحافيين وقاده إلى نشر كتابه الأول «بين العالم وأنا».

[←15]

 اسم تجاري استخدم من 1889 إلى 2021 لصلصة الفطائر ولمنتجات طعام الإفطار الأخرى. على علب منتجات هذا الخط كلها صورة امرأة سوداء من الجنوب مبتهجة تمثل «العبدة السعيدة» التي تستعيد أيام العبودية الحلوة وتتفنن في الطهي لسيدها الأبيض. في 2021 قررت الشركة إلغاء العلامة التي استمرت أكثر من 150 عامًا لتعبر بحسب بيانها عن قناعتها بالمساواة العرقية. ينطبق الأمر نفسه على أرز العم بن الذي حملت عبوته منذ عام 1946 صورة مزارع أرز أميركي إفريقي من تكساس وتغيرت في 2020. أما التشيواوا فكان كلبًا يظهر في إعلان تجاري يتحدث الإسبانية. تشيير الكاتبة إلى يوم كولومبوس الذي يتجاهل العنف الذي تعرض له سكان أميركا الأصليين. أما آبو فهو شخصية مهاجر أميركي تظهر في مسلسل الكرتون عائلة سمبسون وتحمل كل الصور النمطية السلبية عن المهاجرين الهنود.

[←16]

 يفرض القانون الفيدرالي الأميركي تغيير أو تعديل الوظيفة أو بيئة العمل أو الطريقة التي تتم بها الأمور عادة أثناء العمل أو التوظيف، بحيث تتيح هذه التعديلات للفرد ذي الإعاقة الحصول على فرصة متساوية ليس فقط للحصول على وظيفة، ولكن أيضًا يؤدي مهام وظيفته بنجاح مثله مثل الأشخاص غير المعاقين.

[←17]

 على الرغم من أن مراجع عربية ترجمت المصطلح حرفيًّا بالعنصرية المنفِّرة فإنني أميل إلى ترجمتها بالمراوغة، لا سيِّما وأن كل عنصرية منفرة. تعمل العنصرية المراوغة بطرق خفيَّة قائمة على تحيزات ضمنية، تعود جذورها إلى العيش والدراسة والعمل في بيئات مفصولة عرقيًا. وهي بخلاف العنصرية التقليدية الصريحة والصارخة والتي لا يخجل منها أصحابها، تمارس في الأغلب دون وعي وبطرق غير مباشرة من قبل أشخاص يتعاطفون مع ضحايا الظلم العنصري ويدعمون مبدأ المساواة العرقية، ويعتبرون أنفسهم غير متعصبين، ولكنهم في الوقت نفسه يحملون مشاعر ومعتقدات سلبية عن السود أو مجموعات عرقية أخرى. العنصرية المراوغة هي عنصرية العديد من البيض المتعلمين جيدًا والليبراليين. على الرغم من أنها عنصرية خفيّة لكن لعواقبها نفس ضرر العنصرية المعلنة؛ من ذلك ممارستها الفصل العرقي والتمييز في التوظيف.

[←18]

 المعنى الأصلي لكلمة Urban يشير إلى المديني أو الحضري، وبدأ استخدامها للإشارة إلى الأميركيين الأفارقة في أواخر القرن العشرين. مرد ذلك إلى المشاريع الفيدرالية التي تضمنت برامج التطوير الحضري، واستهدفت بشكل أساسي الأحياء الفقيرة حيث يتركز الفقراء والملونون، وقاد هذا إلى استخدام الكلمة بالتبادل في اللغة الدارجة لتدل على السود وأحيائهم. بمرور الوقت، بدأ استخدام كلمة Urban للإشارة إلى الموسيقيين السود خاصة فناني الهيب هوب والراب. في عام 2018 قال سام تيلور، المدير التنفيذي لمجموعة كوبالت الموسيقية: «أنا أكره كلمة حضري وأحتقرها، إنها تعني الدخل المنخفض، غير الآمن. لذلك عندما تقول موسيقى حضرية، بالنسبة إليَّ، تبدو كما لو أنها بحاجة إلى إعادة بناء».

[←19]

 تريفون مارتن شاب أميركي إفريقي (1995-2012) كان في زيارة مع والده لأحد ضواحي مدينة سانفورد في فلوريدا حين أطلق عليه النار رجل أميركي إسباني يدعى جورج زميرمان رأى أن وجود شاب أسود في ذلك الحيِّ مريبًا، في البداية لم تتم مقاضاة الجاني بالاعتماد على قانون stand-your-ground law الذي يعتبر القاتل في هذه الحال تصرف خوفًا من وقوع عنف. أدت مئات المظاهرات إلى جانب إضراب زملائه في المدرسة عن الطعام إلى محاكمة زميرمان ولكن تمت تبرئته. في عام 2019 قام القاتل بمقاضاة أهل القتيل بتهمة تزوير أدله ورفضت الدعوة في 2022، ثم عاد ورفع دعوة تشهير ورفضت هي الأخرى، ليس هذا فقط بل حاول الجمهوريون وضع اسمه للترشح في الانتخابات الرئاسية في 2016 ولكنه لم يلقَ تأييدًا كبيرًا. تأثرت حملة مارتن على السوشال ميديا بشكل كبير بصفحة «كلنا خالد سعيد» المصرية بحسب شهادة القائمين عليها، وغطت واقعة مارتن وتبعاتها على أخبار انتخابات رئاسة أوباما للفترة الثانية التي كانت تدور في الوقت نفسه.

[←20]

 وفقًا لمعجم اللغة الأميركية الدارجة لهذه الكلمة عدة دلالات، من بينها: الرجل الأسود الذي يقول كل شيء فيه إنه مثلي لكنه ينكر أنه كذلك.

[←21]

 فرضت قوانين جيم كرو الفصل العنصري في جميع المرافق العامة في ولايات الولايات الكونفدرالية الأميركية السابقة وفي بعض الولايات الأخرى، بدءًا من سبعينيات القرن التاسع عشر، واستمرت في بعض الولايات ولم تلغَ قانونيًّا حتى عام 1965.

[←22]

 كاتبة وصحافية أميركية إفريقية أصدرت عدة كتب حول النسوية السوداء والعنصرية في أميركا، منها: «كتاب التلوين النسوي البغيض»، و«إذن تريد أن تتحدث عن العرق»، و«ميديوكر: الإرث الخطير للذكور البيض في أميركا».

[←23]

 وقّع الرئيس أندرو جاكسون عام 1830على قانون إبعاد الهنود، والذي يمنح الأراضي الواقعة غرب نهر المسيسيبي مقابل الأراضي الهندية داخل حدود الولاية الحالية. قاوم العديد من القبائل سياسة إعادة التوطين. وفي عامي 1838 و1839 قُتل 4000 فرد من قبيلة الشيروكي وأجبروا على النزوح في مسيرة قسرية أصبحت تُعرف باسم «درب الدموع».

[←24]

 نظام وضع قطع من الأراضي تسمى محميات للأميركيين الأصليين للعيش فيها، بينما استولى المستوطنون البيض على أراضيهم. كان الهدف إخضاع الأميركيين الأصليين لسيطرة الحكومة، وتقليل الصراع بين الهنود والمستوطنين، وتشجيع الأميركيين الأصليين على اتباع طرق الرجل الأبيض.

[←25]

 قانون فيدرالي صدر في 1882 يحظر هجرة الصينيين إلى أميركا، وهو أول قانون يطبق لمنع أفراد مجموعة عرقية أو قومية معينة من الهجرة. ألغي القانون عام 1943.

[←26]

 إبَّان الحرب العالمية الثانية، نقلت الولايات المتحدة قسرا وسجنت حوالي 120.000 شخص من أصول يابانية في معسكرات اعتقال في المناطق الداخلية الغربية من البلاد. ما يقرب من ثلثي السجناء كانوا من مواطني الولايات المتحدة. بدأ هذه الإجراءات الرئيس فرانكلين دي روزفلت عن طريق أمر تنفيذي بعد هجوم اليابان على بيرل هاربور.

[←27]

 إبَّان الحرب العالمية الثانية، نقلت الولايات المتحدة قسرا وسجنت حوالي 120.000 شخص من أصول يابانية في معسكرات اعتقال في المناطق الداخلية الغربية من البلاد. ما يقرب من ثلثي السجناء كانوا من مواطني الولايات المتحدة. بدأ هذه الإجراءات الرئيس فرانكلين دي روزفلت عن طريق أمر تنفيذي بعد هجوم اليابان على بيرل هاربور.

[←28]

 استمر استبعاد غير البيض من هيئة المحلفين طويلًا قبل أن يصدر قانون بمنع التمييز في تكليف المحلفين، رغم ذلك ليس مستغربًا اليوم أن تجد هيئة محلفين كلها من البيض، وفق دراسات أكاديمية ومسوحات ميدانية مختلفة.

[←29]

 كمثال على العنصرية الممنهجة التي تمارسها الدولة كان يجري إجبار السجناء السود على العمل سخرة في المصانع والمزارع.

[←30]

 للولايات المتحدة تاريخ طويل من حملات التعقيم القسري التي كانت مدفوعة بالخزعبلات العرقية لعلم تحسين النسل والذي ينضح بالعنصرية والتمييز على أساس الجنس، ووضعت برامج فيدرالية في الستينيات والسعبنيات منها برنامج Medicaid، استهدفت تعقيم الأقليات وذوي الإعاقة من البيض وخاصة النساء، وهي عمليات استمرت حتى القرن الحادي والعشرين. من أشهر عمليات التعقيم تلك التي أجريت عام 1964 لامرأة سوداء في العشرين من عمرها بسبب تدني معدل ذكائها وبحجة أنها لا تقدر على العناية بنفسها بلا مساعدة، مُحي اسمها بعد تعقيمها من السجلات الرسمية. وفي السنوات بين 1997 و2010 تم إجراء عمليات تعقيم قسرية لحوالي 1400 امرأة في سجون كاليفورنيا بحجة تخفيض النفقات على الدولة. يحكي الفيلم الوثائقي «No Más Bebés» قصة مئات النساء الأميركيات المكسيكيات اللاتي أجبرن على إجراء عمليات ربط قناة فالوب في مستشفى في لوس أنجلوس في السبعينيات.

[←31]

صاغ عالم الاجتماع جون ماكنايت مصطلح «redlining» في الستينيات من القرن الماضي، وهو مشتق من كيفية قيام الحكومة الفيدرالية والمقرضين برسم خط أحمر حرفيًّا على خريطة حول الأحياء التي لن يسمحوا للسكان بالتملك أو الاستثمار فيها على أساس التركيبة السكانية وحدها. كل من يعيش داخل حدود الخط الأحمر من السود والملونين لن يتمكن من الحصول على قرض بنكي لشراء عقار، كان الأمر في البداية مقتصرًا على تملك البيوت، ثم أخذه المتطرفون إلى مستوًى أبعد فضيقوا على غير البيض في الحصول على قرض للدراسة أو لشراء سيارة أو القرض التجاري أو الشخصي. اليوم يعد الحد الأحمر ممارسة غير قانونية وإن كان يمارس بتضييقيات وطرق غير مباشرة.

[←32]

 أصبح مصطلح نزوح البيض شائعًا في الولايات المتحدة في خمسينيات وستينيات القرن الماضي خلال حركة الحقوق المدنية كرد فعل على محاولات الاندماج في المدراس والنقل، ويشير المصطلح إلى هجرة الأميركيين من أصول أوروبية مختلفة من مناطق التطوير الحضري المختلطة عرقيًّا إلى ضواحٍ يسود فيها البيض.

[←33]

قدم المدعي أوليفر براون دعوى قضائية ضد مجلس التعليم في توبيكا، كانساس عام 1951، بعد أن مُنعت ابنته، ليندا من دخول مدارس توبيكا الابتدائية البيضاء بالكامل. في الدعوى التي رفعها، ادعى براون أن مدارس الأطفال السود لا تتساوى مع المدارس البيضاء، وأن الفصل العنصري ينتهك ما يسمى «بند الحماية المتساوية» الذي يتضمن «منفصلين ولكن متساوين» في التعديل الرابع عشر. تم عرض القضية أمام محكمة مقاطعة الولايات المتحدة في كانساس والتي وافقت على أن الفصل في المدارس العامة كان له «تأثير ضار في الأطفال الملونين» وساهم في «الشعور بالدونية» لكن المحكمة لا تزال تؤيد مبدأ «منفصلين ولكن متساوين».

[←34]

عادة ما يرتبط الاستطباق أو ما يسمى بالتطهير الطبقي في الولايات المتحدة بإحلال أصحاب ذوي الدخل المرتفع محل الطبقة المتوسطة، كأن يتم تطوير أبنية معينة فيها ورفع أسعارها فيشتريها ذوو الدخل المرتفع، ما يؤدي إلى زيادة أسعار العقارات والضرائب، وهذا بدوره يقود إلى نزوح وتهجير السكان الموجودين مسبقًا والمحو الثقافي للمجتمع التاريخي. تقود عملية الاستطباق إلى زيادة تسجيل معدلات الجريمة، فمثلًا يأتي السكان الجدد بقيم برجوازية تمنع الضوضاء وتسكع مجموعات الشباب ليلًا، فتزيد التبليغات عن هذه السلوكيات وتصبح حياة سكان الحي القديمة التي اعتادوا عليها سلوكًا خطرًا يهدد طمأنينة السكان الجدد ويخالف القانون. اليوم ينقسم الملونون في مواقفهم تجاه الاستطباق هناك فئة ملونة تراه بصورة إيجابية بينما تراه أخرى يهدد حياتها ويجبرها على تغيرات اجتماعية تشكل تحديًا بالنسبة إليها.

[←35]

 تستخدم الكاتبة تعبير Goog ol’ boys وهو تعبير باللهجة الأميركية الجنوبية يعني رجلًا أبيض هادئًا وعاديًّا محافظًا تلقى تربية وتعليمًا جيدًا ويمكن الوثوق به.

[←36]

 تأتي الكاتبة على ذكر قصة تيل كاملة في الفصل الحادي عشر، ولكن باختصار، في عام 1955 اِدَّعت امرأة بيضاء على الطفل إيميت (كذبًا كما اعترفت وهي على فراش الموت) بأنه غازلها، فاختُطِف وعُذِّب ثم شُنِق على شجرة وتمت تبرئة قاتليه. الجدير بالذكر أن القانون الذي يحمل اسمه Emmett Till Antilynching الذي يعتبر الإعدام خارج نطاق القانون جريمة كراهية فيدرالية لم يجرِ إقراره إلا في 29 مارس 2022 حين وقعه الرئيس الأميركي الحالي جو بايدن.

[←37]

 Special rights أو الحقوق الخاصة مصطلح يستخدم للتعبير عن قوانين تمنح الحقوق لمجموعة أو أكثر ولا تعطيها لمجموعات أخرى، من ذلك سياسات التمييز الإيجابي وجرائم الكراهية ضد الأقليات العرقية والدينية، يجد البعض في فكرة الحقوق الخاصة تناقضًا مع مبدأ المساواة أمام القانون، ويجدها البعض الآخر ضرورية لتمكين الفئات التي تمارس ضدها سياسات غير معلنة في التوظيف مثلًا، منها: النساء والسود والمعاقين.

[←38]

 ترجمت المراجع العربية مصطلح School-to-prison pipeline ب الانتقال من المدارس إلى السجون، لكنني أجد في الترجمة الحرفية تعبيرًا مجازيًّا أفضل فخط الأنابيب تمده سلطة ما في مسار إجباري تتدفق إليه الأشياء بقوة التوجيه والدفع، بخلاف ما تعطيه كلمة الانتقال من انطباع بأنها عملية سلسة. وُضع هذا المصطلح للتعبير عن جانب من مناخ السجن الجماعي في الولايات المتحدة وهو الاتصال بين نظام السجن ونظام التعليم، حيث تستخدم المدرسة تنميطات تصنف وتجرم المراهقين من أبناء الأقليات المحرومة دون إبداء أي تسامح نحو أخطائهم، وتمارس سياسات قاسية زادت في العقد الأخير، كما تساعد في القبض عليهم وإرسالهم إلى السجون. وبذلك أصبحت المدرسة بيئة لتجريم الشباب غير البيض.

[←39]

 بدأ انتشار الكراك (كوكايين مخلوط مع الماء وبيكربونات الصوديوم وربما مواد أخرى) في الأحياء الأميركية السوداء عام 1984، فهو أقل كلفة من الكوكايين الخالص الذي يستخدمه البيض الأغنياء وأبناء الطبقة المتوسطة، والذي انتشر تعاطيه بين البيض في الفترة نفسها. أصبحت الوصفة الأرخص ثمنًا من الكوكايين ذات دلالة عرقية واستجابت لها المؤسسات الرسمية بوصفها قضية عرقية تخص المناطق الحضرية التي تضم في الأغلب أفراد المجتمع الأسود، وأظهرت تقارير كيف أدت شعبية الكراك إلى زيادة معدلات الجريمة في هذه المناطق بشكل كبير. أثناء ذلك وجهت وسائل الإعلام الرأي العام الأبيض إلى رواية عنصرية تتحدث عن الأمهات المرضعات السود اللواتي يتعاطين الكراك ويثقلن كاهل نظام الرعاية الصحية بإنجابهن أطفالًا مدمنين. ورغم أن الدراسات أثبتت أن التأثير الفسيولوجي للكوكايين الخالص والكراك واحد على الأعراق كلها فقد ظلَّ الاستهداف الإعلامي والثقافي بل والسياسي الرسمي يتوجه إلى مجموعات عرقية معينة.

[←40]

 بدأ استخدام تعبير ملكة الرعاية الاجتماعية بعد أن قبض على ليندا تايلور (1926-2002)، أميركية إفريقية ارتكبت احتيالًا واسعًا وأصبحت تعرف ب«ملكة الرعاية الاجتماعية». استخدمت تايلور ثمانين هوية مزيفة في أكثر من ولاية وادعت انتسابها إلى عدة أعراق وحصلت على مساعدات حكومية مختلفة. استخدم رونالد ريغان قصتها في حملته الانتخابية لينتقد البرامج الاجتماعية في أميركا. وفي حين أثارت قصة تايلور غضب فئات مختلفة واستخدمت قصتها في تصوير السود كسالى وانتهازيين يعتمدون على شيكات الرعاية الاجتماعية بدلًا من العمل، لكن هذا كان استخدامًا زائفًا، فالحقيقة أن أكثر المستفيدين من برامج الرعاية هم البيض. عادت قصة ملكة الرعاية إلى السطح في حملة ترامب.

[←41]

 أثناء انتخابات أوباما للدورة الرئاسية الثانية قضت المحكمة العليا بقلب قانون حقوق التصويت لعام 1965، ما أدى إلى السماح لتسع ولايات، معظمها في الجنوب، بتغيير قوانينها الانتخابية دون موافقة فيدرالية مسبقة، وكان لهذا معانٍ عرقية دالة ومحاولة للوقوف في وجه فوز أوباما لدورة ثانية.

[←42]

 «inner city» تعبير في الدارجة الأميركية تحديدًا للدلالة على المناطق السكنية الأفقر والأقدم في وسط المدينة، وأصبح الباحثون يستخدمونه أيضًا كتعبير ملطف للتمييز بين هذه المناطق وبين وسط المدينة حيث المناطق التجارية المركزية. استخدم بهذا المعنى لأول مرة في كتابات البروتستانت الليبراليين البيض في الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، للإشارة إلى نقيض الضواحي الثرية.

[←43]

 يشير مصطلح التنافر الإدراكي أو المعرفي في ترجمات أخرى Cognitive dissonance إلى موقف يتضمن مواقف أو معتقدات أو سلوكيات متضاربة، ينتج منها شعور بالقلق يؤدي إلى تغيير في أحد المواقف أو المعتقدات أو السلوكيات من دون دراسة لهذا التغيير أحيانًا لتقليل الاضطراب واستعادة التوازن.

[←44]

 في النص الأصلي تكتفي الكاتبة بالأنثروبولوجي لوصف بورديو، أضفت صفته الأكثر شيوعًا كعالم اجتماع.

[←45]

 تترجمها بعض المصادر أيضًا بالكونية، وتعتقد كمفهوم فلسفي أن ثمة أفكارًا وقيمًا يمكن أن تشمل العالم بأكمله، وتتجاوز الحدود القومية والدينية والثقافية، من استخداماتها تعميم التصور الغربي لحقوق الإنسان أو حتى مفهوم القانون الدولي.

[←46]

 تستخدم الكاتبة التعبير الإنجيلي Righteous indignation وهو رد فعل «الصالحين» الغاضب على الظلم وسوء المعاملة والإهانة.

[←47]

 لتعبير gotch أي got you، دلالات مختلفة في الثقافة الأميركية، غالبًا ما يعبر عن الإمساك بشخص ما متلبسًا في الفعل.